



الفتنة في ضوء آيات القرآن الكريم أنواعها وأسبابها وآثارها
وطرق الوقاية منها عند المفسرين القدامى والمحدثين دراسة
موضوعية مقارنة

2024

أطروحة الدكتوراه

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

Firas Saleem Yaseen YASEEN

المشرف

Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa M. SHOUSHA

الفتنة في ضوء آيات القرآن الكريم أنواعها وأسبابها وآثارها
وطرق الوقاية منها عند المفسرين القدامى والمحدثين دراسة
موضوعية مقارنة

Firas Saleem Yaseen YASEEN

المشرف

Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa Mohamed SHOUSHA

بحث أُعدّ لنيل درجة الدكتوراه في قسم العلوم الإسلامية الأساسية بمعهد
الدراسات العليا بجامعة كارابوك في تركيا

كارابوك

آب/2024

المحتويات

1	المحتويات
4	صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)
5	صفحة الحكم على الرسالة
6	DOĞRULUK BEYANI
7	تعهد المصادقية
8	مقدمة
11	ÖZET
12	ABSTRACT
13	ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ
14	بيانات الرسالة للأرشفة (باللغة العربية)
15	ARCHIVE RECORD INFORMATION
16	الاختصارات
17	موضوع البحث
17	الدوافع
18	مشكلة البحث
18	أسئلة البحث
18	الأهداف
19	أهمية البحث
19	منهج البحث
20	حدود البحث
20	الدراسات السابقة
38	الفصل التمهيدي: الإطار المفاهيمي للفتنة ومرادفاتها
46	جدول بياني عن الفتنة ومرادفاتها في القرآن الكريم
50	جدول بياني للفظ الفتنة بمعنى الاختبار
51	الفصل الأول: أقوال المفسرين في أنواع الفتن
51	تمهيد

المبحث الأول: أقوال المفسرين القدامى في أنواع الفتن	51
المطلب الأول: الفتن الدينية	52
المطلب الثاني: الفتن الدنيوية	72
المبحث الثاني: أقوال المفسرين المحدثين في أنواع الفتن	85
المطلب الأول: الفتن الدينية	85
المطلب الثاني: الفتن الدنيوية	109
المطلب الثالث: مقارنة بين أقوال القدامى والمحدثين في أنواع الفتن	122
الفرع الأول: الفتن الدينية	122
الفرع الثاني: الفتن الدنيوية	135
الفصل الثاني: أقوال المفسرين في أسباب وقوع الفتن	143
تمهيد	143
المبحث الأول: أقوال المفسرين القدامى في أسباب وقوع الفتن	144
المطلب الأول: أسباب دينية	144
المطلب الثاني: أسباب دنيوية:	164
المبحث الثاني: أقوال المفسرين المحدثين في أسباب وقوع الفتن	174
المطلب الأول: أسباب دينية	175
المطلب الثاني: أسباب دنيوية:	190
المطلب الثالث: مقارنة بين أقوال القدامى والمحدثين في أسباب الفتن	204
الفرع الأول: الفتن الدينية	204
الفرع الثاني: الفتن الدنيوية	216
الفصل الثالث: أقوال المفسرين في الآثار المترتبة على وقوع الفتنة	223
تمهيد	223
المبحث الأول: أقوال المفسرين القدامى في آثار وقوع الفتنة	224
المطلب الأول: الآثار العامة المترتبة على وقوع الفتنة	225
أولاً: الآثار الإيجابية:	225
ثانياً: الآثار السلبية	233
المطلب الثاني: الآثار الدينية	238
المبحث الثاني: أقوال المفسرين المحدثين في آثار وقوع الفتنة	257

257	المطلب الأول: الآثار الدينية
275	المطلب الثاني: آثار الفتن الدينيوية عند المفسرين القدامى والمحدثين
289	المطلب الثالث: مقارنة بين أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في آثار الفتن
289	الفرع الأول: الفتن الدينية
302	الفرع الثاني: الفتن الدينيوية
303	الفصل الرابع: أقوال المفسرين في طرق الوقاية وعلاجها من الوقوع في الفتنة
303	تمهيد
303	المبحث الأول: أقوال المفسرين القدامى في طرق الوقاية وعلاجها من الوقوع في الفتن
304	المطلب الأول: طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدينية
318	المطلب الثاني: طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدينيوية
325	المبحث الثاني: أقوال المفسرين المحدثين في طرق الوقاية وعلاجها من الوقوع في الفتن
326	المطلب الأول: طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدينية
342	المطلب الثاني: طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدينيوية
351	المطلب الثالث: مقارنة بين أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الفتن
351	الفرع الأول: الفتن الدينية
363	الفرع الثاني: الفتن الدينيوية
364	الخاتمة
364	أولاً: النتائج
368	ثانياً: التوصيات
370	المصادر والمراجع
382	السيرة الذاتية

صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)

Fıras Saleem Yaseen YASEEN tarafından hazırlanan “KUR'AN ÂYETLERİ İŞİĞİNDA ÇAĞDAŞ VE KLASİK MÜFESSİRLER AÇISINDAN FİTNENİN ÇEŞİTLERİ, SEBEPLERİ, TESİRLERİ VE ONDAN KORUNMA YOLLARI” başlıklı bu tezin Doktora Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa Mohamed SHOUSHA
Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği ile Temel İslam Bilimlerinde Doktora tezi olarak kabul edilmiştir. 29.08.2024

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu)

İmzası

Başkan : Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa M. SHOUSHA (KBÜ)

Üye : Doç. Dr. Tuğrul TEZCAN (KBÜ)

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Doğan Delil GÜLTEKİN (KBÜ)

Üye : Prof. Dr. Saim KAYADİBİ (MÜ) **ONLINE**

Üye : Doç. Dr. İbrahim İBRAHİMOĞLU (TOĞÜ) **ONLINE**

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Doktora Tezi derecesini onamıştır.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN
Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

صفحة الحكم على الرسالة

أصادق على أن هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب فراس سليم ياسين ياسين بعنوان "الفتنة في ضوء آيات القرآن الكريم أنواعها وأسبابها وآثارها وطرق الوقاية منها عند المفسرين القدامى والمحدثين دراسة موضوعية مقارنة" في برنامج العلوم الإسلامية الأساسية هي مناسبة كرسالة دكتوراه.

Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa Mohamed SHOUSHA

المشرف على الرسالة، العلوم الإسلامية الأساسية

قبول

تم الحكم على رسالة الدكتوراه هذه بالقبول بإجماع لجنة المناقشة، بتاريخ

29/08/2024

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

رئيس اللجنة : Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa M. SHOUSHA (KBÜ)

عضواً : Doç. Dr. Tuğrul TEZCAN (KBÜ)

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi Doğan Delil GÜLTEKİN (KBÜ)

عضواً : Prof. Dr. Saim KAYADİBİ (MÜ)

عضواً : Doç. Dr. İbrahim İBRAHİMOĞLU (TOGÜ)

ONLINE

ONLINE

تمّ منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الدكتوراه في قسم العلوم الإسلامية الأساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN

مدير معهد الدراسات العليا

DOĞRULUK BEYANI

Doktora tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı, araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adı Soyadı: Fıras Saleem Yaseen YASEEN

İmza :

تعهد المصادقية

أقر بأنني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها السارية المفعول

المتعلقة بإعداد أبحاث الماجستير والدكتوراه أثناء كتابتي هذه الأطروحة التي بعنوان:

" الفتنة في ضوء آيات القرآن الكريم أنواعها وأسبابها وآثارها وطرق الوقاية منها عند المفسرين

القديم والمحدثين دراسة موضوعية مقارنة"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث العلمية، كما أنني أعلن

بأن أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستلة من أطروحات أو كتب أو أبحاث أو أية منشورات علمية تم

نشرها أو تخزينها في أية وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد.

اسم الطالب: فراس سليم ياسين ياسين

التوقيع:.....

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد: فمن المهم بمكان الوقوف على تشعبات الفتن، فالفتن تنتشر في مختلف جوانب الحياة، وتؤثر على الفرد والمجتمع، سلبيًا أو إيجابًا، فمن هذا المنطلق يجب على كل مسلم أن يقف على ملابساتها، وتشعباتها، وتختلف هذه الفتن من زمن إلى زمن وفق معطيات العصر الذي يعيشونه، فكانت نظرة المفسرين للفتن ورؤيتها وتوجيهها، تختلف من زمن إلى زمن آخر؛ ولنتعرف إلى كوامن وخبايا هذا الفتن، فقد طرح الباحث بعض الفتن التي يرى أن أساس وارتكاز أغلب الفتن عليها، وتعد المحور الأساس لكل الفتن، فجاء تقسيم الفتن إلى فتن دينية وفتن دنيوية، ثم تأخذ نواحي ومنعطفات أخرى وفق معطيات العصر وتغيرات الواقع، ومن أسس معرفة الفتن، معرفة أسبابها وأسباب وقوعها، وماهي التصورات التي من خلالها إذا اعتنقها وطبقها المسلم، فإنه ينجو بنفسه من متاهات الفتن، صغيرة كانت أو كبيرة، وأسباب الفتن هي المواطن التي من خلالها تقع على أرض الواقع، والمسلم عندما يتتبع هذه الأسباب، فهو بذلك يجعل لنفسه حصناً منيعاً، في الصدد عن الولوج إلى تلك الفتن، وكيفية حماية ليس نفسه فقط؛ بل يتعدى الأمر إلى أن يعصم نفسه وأهله ومجتمعه، ومن لوازم تفشي الفتن التعرف على آثار هذه الفتن، ونتائجها، فتؤثر على الفرد والمجتمع، فعلى المستوى الفردي، يمكن للفتنة أن تؤثر على السلوك والشخصية والإيمان، وعلى المستوى المجتمعي، تؤثر الفتن على الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغالباً ما تنعكس سلبيًا، وقد تنعكس إيجابًا، وللفتنة تأثير كبير على مجرى الحياة، ويمكن أن تؤدي إلى انهيارات مجتمعية، وأمراض كبيرة، مثل الانقسام والصراع والتطرف، فبين العلماء قديماً آثار هذه الفتن، وتتبعوا آثارها، فالآثار تكون في بعض الأحيان وخيمة ووقوعها شديد أكثر من أسباب وقوع الفتن؛ لأن الآثار قد تبقى ملازمة

لفرد وللمجتمع، ويصعب تجاوزها وإزالتها بيسر وسهولة، وبعد أن تم التعرف على مكونات الفتنة وأنواعها وأسباب وقوعها، وما يترتب عليها من آثار، سلبية كانت أم إيجابية، جاء الدور لكي يتعرف المسلم على طرق للوقاية والعلاج من هذه الفتن، فلا بد له من معرفة كيفية وقاية نفسه ومجتمعه وأمته، من مآفات هذه الفتن، التي تعصف بحياة الناس، إذ لو لم يهيا الله سبحانه وتعالى الوقاية والعلاج من هذه الفتن؛ لضلّ الناس وسلّكوا طرقاً ملتوية، فتتجاذبهم الأهواء والأفكار والنزاعات والمنحدرات؛ فتجعل حياتهم جحيماً مرّاً غير مستساغة، فكان للمفسرين القدامى والمحدثين الدور البارز في بيان الطرق السليمة والعلاج الناجع، من أجل التصدي لهذه الفتن، حتى يستطيعوا أن يسيروا في حياتهم بشكل متزن مستقيم، فجاءت هذه الدراسة؛ لتبين أن لكل فتنة أسبابها وآثارها وعلاجها، عند القدامى والمحدثين، دراسة موضوعية مقارنة، مع الترجيح بين أقوال المفسرين قديماً وحديثاً، وبيان الرأي الراجح من هذه الأقوال، فيحافظ المسلم على دينه وأهله ومجتمعه ويعيش حياة كريمة بدون قيود.

الملخص

يهدف هذا البحث إلى عرض موضوع آيات الفتنة في ضوء القرآن الكريم، كما يعرض أنواعها وأسباب وقوعها، ثم يوضح الآثار المترتبة بعد وقوعها على الفرد والمجتمع، كما يبحث عن طرق الوقاية والعلاج من هذه الفتن، وذلك في مقارنة بين رؤية المفسرين القدامى والمحدثين، مع الترجيح بينهما، والوقوف على القول السديد الذي يجعل المسلم على بصيرة من دينه، وذلك حلا لإشكالية الدراسة المتمثلة في عدم وجود دراسات تجمع بين رؤية المفسرين القدامى والمحدثين حول انتشار الفتن والشبهات في المجتمع، والتي باتت تشكل خطرا على القيم والمعتقدات، مما يستدعي حلا يبين مداخل ومخارج الفتن؛ واعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي الاستقرائي، لاستقراء آيات الفتنة في القرآن الكريم، والمنهج التحليلي، لتحليل ما تم جمعه من الآيات، واستخلاص المنهج الصحيح للتعامل مع الفتن، والمنهج المقارن، الذي يكشف عن خبايا الفتن ويزيل عنها كل غموض، بين رؤية القدامى والمحدثين، وذلك سدا للفجوة البحثية المتمثلة في غياب الرؤية الشاملة في الدراسات السابقة، والتي تجمع بين آراء القدامى والمحدثين من المفسرين مما تسبب في تشتيت المسلمين فكريا وعقديا، وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج منها: أن لكل فتنة أسباب وآثار ولها طرق ووقاية وعلاج خاص بها، ولا يمكن تعميم ذلك على كل الفتن، مما يجعل المسلم يتجنب الفتن ويعرف كيف يخلص نفسه ومجتمعه منها، كما تكمن أهمية مقارنة الفتن بين المفسرين القدامى والمحدثين، في فهم أعمق للفتن، والوصول إلى رؤية واضحة وشاملة تجمع الرؤى القديمة والحديثة، وتساهم في إثراء المعرفة العلمية.

الكلمات المفتاحية: المفسرون، الفتنة، آيات، القدامى، المحدثين، آثار، العلاج.

ÖZET

Bu araştırmada Kur'an-ı Kerim ışığında fitne ayetleri konusunun, türlerinin ve oluşum sebeplerinin ortaya konulması, daha sonra da fitne ayetlerinin birey ve toplum üzerindeki etkilerinin açıklanması amaçlanmakta ve aynı zamanda bu fitneleri önlemenin ve tedavi etmenin yollarını da aramaktadır. Bu, klasik dönemden iki müfessirin görüşleri ile modern müfessirlerin görüşlerinin karşılaştırılması, aralarında tercih yapılması ve Müslümanın dinini anlamasını sağlayacak isabetli görüşün bulunmaya çalışılması şeklinde ele alınacaktır. Bu, değerler ve inançlar için bir tehdit haline gelen fitne ve şüphelerin toplumda yayılmasına ilişkin klasik ve modern müfessirlerin görüşlerini bir arada ele alan çalışmaların eksikliği olarak ifade edilen bu çalışmanın problematiğine dair bir çözüm olarak görülmektedir ki bu da fitne konusunun tüm yönleriyle ele alınıp aydınlatılmasını gerektirmektedir. Araştırmacı, çalışmasında Kur'an-ı Kerim'deki fitne ayetlerini tespit etmek için betimleyici ve tümevarımsal yaklaşımı ve ayetlerden toplananları analiz etmek ve fitne konusunun çözümü noktasında doğru yaklaşımı çıkarmak için analitik yaklaşımı kullanmış ve klasik ve çağdaş müfessirlerin fitne konusundaki görüşlerini ortaya çıkarıp, belirsizlikleri ortadan kaldırmak adına karşılaştırmalı yaklaşımdan istifade etmiştir. Bu da önceki çalışmalarda yer almayan ve Müslümanların fikrî ve inanç yönünden dağılmasına sebep olan boşluğun ortadan kaldırılmasına bir katkı anlamına gelmektedir. Araştırma bazı önemli sonuçlar elde etmiştir. Bunlardan bazıları şunlardır: Her fitnenin nedenleri ve sonuçları olup yine kendine özgü yöntemleri, tedavisi vardır. Bunların bütün fitnelere teşmil edilmesi mümkün değildir. Bu da Müslümanın fitnelerden kaçınmasını ve kendisini ve toplumunu bunlardan nasıl kurtaracağını bilmesini sağlamaktadır. Klasik ve çağdaş müfessirlerin fitne görüşlerini karşılaştırmanın önemi, fitne meselesinin daha derin anlaşılmasında, klasik ve çağdaş bakış açılarını birleştiren ve bilimsel bilginin zenginleşmesine katkıda bulunan açık ve kapsamlı bir vizyona varılmasında da yatmaktadır.

Anahtar Kelimeler: Müfessirler; fitne; ayetler; klasik ve çağdaş alimler; etkiler; çözüm.

ABSTRACT

This research aims to present a comprehensive study of the concept of 'fitnah' (trials, tribulations, or temptations) as depicted in the Quran. It delves into the various types of fitnah, the underlying causes that precipitate them, and their subsequent ramifications on both individuals and society. Furthermore, the study explores preventive measures and remedies for these trials, drawing comparative analyses between the perspectives of classical and contemporary Quranic exegetes. By critically evaluating these perspectives, the research seeks to identify the soundest interpretations that can equip Muslims with a profound understanding of their religion. This endeavor addresses a significant research gap, namely the dearth of studies that juxtapose the views of classical and contemporary scholars on the prevalence of fitnah and doubt in contemporary society. These issues pose a serious threat to Islamic values and beliefs, necessitating a comprehensive solution that illuminates the entry points and exits of fitnah. Employing a descriptive-inductive approach, the researcher has meticulously analyzed Quranic verses about fitnah. Additionally, a comparative methodology has been adopted to uncover the intricacies of fitnah and dispel any ambiguities by contrasting the perspectives of classical and contemporary exegetes. This research effectively bridges a gap in existing scholarship, which has hitherto lacked a holistic view that integrates the insights of both classical and contemporary scholars. Such a fragmented understanding has often led to intellectual and doctrinal confusion among Muslims. The findings of this study reveal that each type of fitnah has its unique causes, consequences, preventive measures, and remedies. This underscores the importance of a nuanced approach, enabling Muslims to avoid falling prey to fitnah and to devise effective strategies for their personal and communal liberation. Moreover, the comparative analysis of fitnah through the lens of classical and contemporary exegesis offers a deeper understanding of this complex concept, fostering a comprehensive perspective that integrates both historical and contemporary insights. This research significantly contributes to the scholarly discourse on Islam.

Keywords: Exegesis; fitnah; Quranic verses; classical scholars; contemporary

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	Kur'an Âyetleri Işığında Çağdaş Ve Klasik Müfessirler Açısından Fitnenin Çeşitleri, Sebepleri, Tesirleri Ve Ondan Korunma Yolları
Tezin Yazarı	Fıras Saleem Yaseen YASEEN
Tezin Danışmanı	Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa Mohamed SHOUSHA
Tezin Derecesi	Doktora
Tezin Tarihi	29.08.2024
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimler
Tezin Yeri	KBÜ/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	382
Anahtar Kelimeler	Müfessirler; fitne; ayetler; klasik ve çağdaş alimler; etkiler; çözüm.

بيانات الرسالة للأرشفة (باللغة العربية)

عنوان الرسالة	الفتنة في ضوء آيات القرآن الكريم أنواعها وأسبابها وآثارها وطرق الوقاية منها عند المفسرين القدماء والمحدثين دراسة موضوعية مقارنة
اسم الباحث	فراس سليم ياسين ياسين
اسم المشرف	أ.م. د. حسام موسى محمد شوشى
المرحلة الدراسية	الدكتوراه
تاريخ الرسالة	29.09.2024
تخصص الرسالة	العلوم الإسلامية الأساسية
مكان الرسالة	جامعة كارابوك - معهد الدراسات العليا
عدد صفحات الرسالة	382
الكلمات المفتاحية	المفسرون، الفتنة، آيات، القدماء، المحدثين، آثار، العلاج.

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Name of the Thesis	Sedition in the light of the verses of the Holy Quran, its types, causes, effects, and methods of prevention according to ancient and modern interpreters
Author of the Thesis	Firas Saleem Yaseen YASEEN
Advisor of the Thesis	Assist. Prof. Dr. Hossam Moussa Mohamed SHOUSHA
Status of the Thesis	Ph.D
Date of the Thesis	29.08.2024
Field of the Thesis	Basic Islamic Sciences
Place of the Thesis	UNIKA/IGP
Total Page Number	382
Keywords	Exegesis; fitnah; Quranic verses; classical scholars; contemporary

الاختصارات

د.م: دون مكان.

د.ت: دون تاريخ.

ص: الصحيفة.

م: تاريخ الميلاد.

هـ: تاريخ الهجرة.



موضوع البحث

آيات الفتنة في القرآن الكريم الأنواع والآثار وطرق الوقاية عند المفسرين القدامى والمحدثين دراسة موضوعية مقارنة.

الدوافع

1. توغل الفتن في الحياة التي نعيشها وانتشارها، وانحيار الأفراد والمجتمعات، والفوضى والضياع الذي نشاهده اليوم، والتخبط الواضح في الأنظمة والقوانين، وهذا كله منبعه الفتن، فكان لابد من طرق للتعامل معها، والوقوف على آثارها وانعكاسها لنسلم منها.
2. انغماس الناس وغفلتهم بالوقوع في الفتن، دون أن يكون لهم دراية بهذا الأمر؛ مما جعلني أركز في إيجاد حلول تعين المسلم من التنبه، من غفلة الوقوع في الفتن.
3. الفتن سبب في خراب العقول والأفكار والبلدان، فكانت الحاجة الملحة إلى توصيف الفتن، وبيان ضررها ومآلاتها، واستنطاق القرآن الكريم في كيفية التصدي لمثل هذه الفتن التي تواجهنا.
4. تسليط الضوء بين رؤية المفسرين القدامى والمحدثين، لموضوع الفتنة وكيفية التعامل معها، من حيث أسبابها وآثارها، مع إيجاد مقارنة بين مفهوم القدامى والمحدثين؛ لنقف على حلول علمية متينة، يمكننا من خلالها معرفة النجاة من الفتن قديما وحديثا.
5. السؤال الذي يشغل الفكر دائما لماذا تتواجد الفتن في حياتنا؟ فجاءت هذه الدراسة لكشف الأسباب والآثار وطرق الوقاية والعلاج، والعوامل التي من خلالها توضح وجود الفتن في الماضي والحاضر.

مشكلة البحث

تقع إشكالية البحث في كثرة الشبهات التي تحيط بنا، وانتشارها في المجتمع، حتى بات قسم من المسلمين لا يفرقون بين ما هو ابتلاء وامتحان أو فتنة، ويفترض الباحث أن ثمة اختلاف في الرؤية التفسيرية، وأنواعها وأسبابها وطرق الوقاية منها عند المفسرين، قديماً وحديثاً، بناءً على اختلاف الزمن وتنوع الفتن، هذا الاختلاف كان نتاجاً لنوع الفتن في كل عصر، فما كان في القرون القدامى ليس الذي في القرن الحالي، وبالتالي اختلفت النظرة التفسيرية من زمن إلى زمن، ومن ثم جاء هذا البحث ليبين الفرق بين اختلاف الرؤية التفسيرية لكل فريق، كما جاءت هذه الدراسة لرد الشبهات التي باتت تشكل خطراً على القيم والمعتقدات، فمن الضروري بمكان أن نميط اللثام عن دراسة كهذه؛ حتى يسلم المسلم لدينه ومعتقداته.

أسئلة البحث

1. ما مفهوم الفتنة ومرادفاتها في القرآن الكريم؟
2. ما مفهوم أنواع الفتن وأسباب وقوعها عند المفسرين؟
3. ما مظاهر الآثار المترتبة على وقوع الفتنة على الفرد والمجتمع عند المفسرين؟
4. ما سبل وطرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتنة عند المفسرين؟
5. كيف اختلفت النظرة التفسيرية للفتن في القرون الأولى وقرن المفسرين المحدثين؟

الأهداف

1. بيان مفهوم الفتنة وأنوعها في القرآن الكريم.
2. الوقوف على أنواع الفتن وأسباب وقوعها عند المفسرين.

3. إبراز الآثار المترتبة على وقوع الفتنة على الفرد والمجتمع عند المفسرين.
4. توضيح ومعرفة وتتبع طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتنة عند المفسرين.
5. إيجاد مقارنة للفتن بين آراء المفسرين القدامى وآراء المفسرين المحدثين؛ وذلك لرؤيتهم في كيفية توصيفها والوصول إلى سبل النجاة منها.
6. تجنب الوقوع في الفتن من خلال الاطلاع على واقع الحياة التي نعيشها وانتشارها في كل ميادين الحياة.

أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث في بيان مفهوم الفتنة والوصول إلى أنواعها في القرآن، من خلال استقراء الآيات؛ مما يستدعي معرفة أسباب الفتنة ووقوعها عند المفسرين القدامى والمحدثين، مع بيان أبرز الآثار المترتبة من وقوع الفتنة، وتوضيح أثرها على الفرد والمجتمع، عند المفسرين قديماً وحديثاً، وكشف اختلاف النظرة التفسيرية من زمن إلى زمن؛ لنبين الفرق بين اختلاف الرؤية التفسيرية لكل فريق؛ مما يدلنا على معرفة لإشكالية البحث، المتمثلة في انتشار الفتن وخطرها وآثارها، ولرد الشبهات التي باتت تشكل خطراً على القيم والمعتقدات؛ مما يستدعي حلاً لتطبيق طرق الوقاية والعلاج من الانغماس في الفتن، والتي تحيط بالمسلم، وخاصة في واقعنا المعاصر.

منهج البحث

تعتمد الدراسة على المناهج الآتية :

1. المنهج الوصفي الاستقرائي: حيث سيتم استقراء الآيات التي تخص الفتنة وبيان مرادها وموضعها والغاية منها، عند المفسرين.

2. المنهج التحليلي: وذلك لتحليل ما تم جمعه من آيات، وآراء المفسرين، وبيان الفرق بين نظرة

المفسرين للفتنة قديما وحديثا.

3. المنهج المقارن: حيث سيتم المقارنة بين منهج المفسرين القدامى ومنهج المفسرين المحدثين

في مفهوم الفتنة.

حدود البحث

تعتمد هذه الدراسة على حد واحد فقط وهو **الحد الموضوعي**، حيث يناقش البحث، آيات الفتنة في القرآن الكريم أنواعها أسباب وقوعها، وآثارها وطرق الوقاية والعلاج منها، عند المفسرين القدامى والمحدثين.

الدراسات السابقة

عرض موجز لنماذج من الدراسات، التي سبقت وتناولت موضوع الفتنة:

1. دراسة وبحث للكاتبة د. نوال عمر عبدالله باسعد بعنوان: (المنهج النبوي في التعامل مع

الفتن)¹

هذا البحث يبين منهجية النبي الكريم في التعامل مع الفتن أثناء وبعد وقوعها، ابتداء بالإيواء إلى الله عز وجل، وعدم استشراف الفتن والتعرض لها، والتعامل مع مجريات الأحداث بحكمة ووعي، والبشارة بالخير وسط مجريات الفتن، واستحضار الأدلة الشرعية الخاصة بالفتن، وأخذ الدروس والعبر، وقد قسّمت الكاتبة البحث إلى مباحث ومطالب، فجاء في المبحث الأول: المنهج النبوي في التعامل مع الفتن تحسبا لوقوعها، وكانت المطالب هي المطلب الأول: الاستعاذة بالله من شر الفتن، المطلب الثاني: التسليح بالعلم

¹ د. نوال عمر عبدالله باسعد، **المنهج النبوي في التعامل مع الفتن**، وهو بحث محكم نشر في (جامعة جدة: كلية الآداب والعلوم الانسانية، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، 2020م).

الشرعي، المطلب الثالث: تطبيق إجراءات الوقاية والحماية، المطلب الرابع: الاهتمام بالحصانة الفكرية، المطلب الخامس: التنبيه على السنن الله الإلهية الخاصة بالفتن، وتكلمت في المبحث الثاني: عن المنهج النبوي في التعامل مع الفتن أثناء وبعد وقوعها، وجاءت المطالب على النحو الآتي: المطلب الأول : الإيواء إلى الله عز وجل، المطلب الثاني : عدم استشراف الفتن والتعرض لها المطلب الثالث: التعامل مع مجريات الأحداث بحكمة ووعي، المطلب الرابع: البشارة بالخير وسط مجريات الفتن، المطلب الخامس: استحضر الأدلة الشرعية، الخاصة بالفتن وأخذ الدروس والعبر، والخاتمة. وبينت الكاتبة بأهم النتائج منها: أن العلم الشرعي سلاح في وجه كل فتنة، وأهمية عدم استشراف الفتن، مع لزوم جماعة المسلمين، وأهل الرأي والعلم والحكمة لاسيما وقت اشتدادها، وأخذ الدروس والعبر منها.

هذا ما ورد في هذا البحث من منهج النبي الكريم في التعامل مع الفتن؛ ولكن الكاتبة لم تتطرق إلى تعامل القرآن الكريم مع الفتن، ولم تبين آثار الفتن على الفرد والمجتمع، ولم تبين أسباب وقوع الفتن، ولم تركز في دراستها على طرق الوقاية والعلاج للفتن من خلال القرآن الكريم، وهذا سيكون مدار بحثنا في هذه الدراسة، ولمّ شعث الفتنة وآثارها وأسبابها وطرق وقايتها عند المفسرين قديما وحديثا.

2. دراسة بحثية للكتاب أشرف شعبان محمد بعنوان: (الفتن وطرق علاجها في الإسلام)¹.

وهو بحث علمي محكم، بذل فيه المؤلف جهدا واضحا في توصيف الفتنة في الإسلام، وإيجاد طرق للتعامل مع الفتن، وبين خلالها بعضا لآثارها وعلاجها، فتكلم في الفصل الأول: عن مفهوم الفتن، وطبيعتها وصفات أهلها، وأماكن خروجها، وبين في الفصل الثاني: توصيف الفتن بين الماضي والحاضر ، وطرح خلال هذا الفصل أسباب الفتن، وملابسات ظهورها، وأنواع الفتن وألوانها، وآثار الفتن ونتائجها، ووضح في الفصل الثالث: علاج الفتن والوقاية من آثارها السلبية، في ضوء الإسلام، أكد في هذا الفصل

¹ أشرف شعبان محمد، الفتن وطرق علاجها في الإسلام (القاهرة: جامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية، 1438 هـ).

عن التدابير اللازمة للوقاية من الفتن قبل وقوعها، وركز على كيفية التعامل مع الفتن أثناء وقوعها، وختم الفصل بالوقوف على الحكم من وقوع الفتن بين الناس.

بين خلال هذا البحث عن الفتن التاريخية وظهورها أيام الصحابة، وفتن فكرية، وما سنركز عليه في دراستنا هو الفتن التي طرحها القرآن الكريم وبينها المفسرون القدامى والمحدثون، وما يلاحظ على هذا البحث أنه يركز في بحثه على الأحاديث النبوية، وما نركز عليه في دراستنا هو الحديث عن الفتن في ضوء القرآن الكريم، وضوء أقوال المفسرين، وبين آثار الفتن بشكل عام على المجتمع ولم يركز على آثار الفتن الدينية والدنيوية، ولم يبين آثارا لكل فتنة، وهذا هو محط البحث الذي سندرسه عن الفتنة، وبين المؤلف علاج الفتن، وكان الغالب عليها العلاج من الأحاديث النبوية، وسيكون العلاج الذي نطرحه من القرآن الكريم عند المفسرين قديما وحديثا، وكذلك عقد مقارنة بين أقوال المفسرين القدامى والمحدثين، في أنواع الفتن وأسباب وقوعها، والآثار المترتبة من وقوع الفتن، ومقارنة بين أقوال القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الفتن، مع الترجيح بين الأقوال.

3. دراسة للكاتب محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم بعنوان: (بصائر في الفتن)¹.

هذا الكتاب عبارة عن ومضات وتنبيهات وإرشادات، تبصّر المسلم بالفتن، وكيفية النجاة منها، فبين في كتابه تحذير النبي ﷺ من الفتن، وأن الفتن واقعة لا محالة، والحذر من الشر هو باب من أبواب الخير، ونوه على طبائع الفتن، من أنها تؤثر على القلوب، وأنها متى ما وقعت فإنها سرعان ما تتطور، وتخرج عن حدود السيطرة؛ حتى إنها لتستعصي على من أشعلوها إن حاولوا إطفاءها، وأكد على أن نور الفطنة يبدد ظلمات الفتنة، ثم بين الصبر زمن الفتن، وأن يجزي المؤمن على صبره، وأن الفتن كثيرة في هذه الحياة، فلا بد من الصبر على هذه الفتن، وتطرق إلى بعض المواقف بالثبوت في الفتن من قصص الصحابة

¹. محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، بصائر في الفتن (مصر: الدار العالمية، 2008 م).

والصالحين، وثباتهم زمن الفتن، ثم وضع بعض الأسباب المنجية من الفتن، مثل وجوب حفظ اللسان، وكذلك اعتزالها والفرار منها، وأن مواجهة الفتنة يكون بالعمل الصالح، والدعاء والتضرع زمن الفتن، والتعوذ بالله تعالى من الفتن، وختم كتابه بذكر أدلة السُّنة على جواز تمني الموت إذا خاف على دينه من الفتن.

هذا ما جاء في الكتاب، وهو عبارة عن بصائر وإرشادات توعوية من الفتن؛ لكن المؤلف لم يتطرق إلى أنواع الفتن، وهذا هو الذي سيكون مدار بحثنا عن الفتن، ولم يركز على أسباب وقوع الفتن الدينية والدنيوية، وهذا ما سنقف عليه في دراستنا للفتن، ولم يذكر المؤلف الآثار المترتبة من وقوع الفتن عند المفسرين، فسنبين هذا الأمر في دراستنا للفتن، وذكر المؤلف بعض الأسباب المنجية من الفتن، وذكر جملة من الأسباب العامة ولم يركز على العلاج من القرآن الكريم، وهذه إحدى المحاور التي سنتطرق إليها في دراستنا عن الفتن، ثم سأعقد مقارنة بين أقوال المفسرين القدامى والمحدثين لمفهوم الفتنة ونظرتهم مع بيان الترجيح بين أقوالهم.

4. دراسة للكاتب مصطفى بن أحمد بن سلطان عسيري بعنوان: (سياسة الإسلام في التعامل مع

الفتن المعاصرة)¹.

تناول الباحث في هذه الدراسة موضوع سياسة الإسلام وأوضح النهج الذي يتبعه الدين في التعامل مع الفتن والتحديات المعاصرة، وبين فيها عددا من الفتن القديمة والفتن التي ستطرأ علينا في الواقع وكيفية تعامل نصوص الإسلام فيها، وبين طرق الوقاية منها، فجاءت هذه الدراسة مقدمة، وفصل تمهيدي بين فيه الإطار المنهجي للدراسة، وجاء الفصل الأول بعنوان: الفتنة مفهومها أنواعها أسبابها التحذير منها، ويشتمل على أربعة مباحث، المبحث الأول: مفهوم الفتنة في القرآن والفرق بين الفتنة

¹ مصطفى بن أحمد بن سلطان عسيري، سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة (الرياض: دار القبس، 2007 م).

والابتلاء، المبحث الثاني: أنواع الفتنة أولاً: الفتن التي زالت وانتهت الماضية، منها مقتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ثانياً: الفتن المستمرة منها: الأموال والأولاد - النساء - التفرق والاختلاف، المبحث الثالث: أسباب الفتنة، المبحث الرابع: التحذير من الفتنة في ضوء الكتاب والسنة، أولاً: التحذير من الفتنة في القرآن، ثانياً: التحذير من الفتنة في السنة النبوية، وكان الفصل الثاني بعنوان الفصل الثاني، الفتن المعاصرة وآثارها، المبحث الأول: المقصود بالفتن المعاصرة ونشأتها وأصولها، المبحث الثاني: الأصول والضوابط الشرعية لمسألة التكفير، المبحث الثالث: موقف العلماء من جماعات التكفير، المبحث الخامس: الآثار والأضرار المترتبة على الأعمال الإجرامية والتخريبية، وتكلم في الفصل الثالث عن: السياسة الشرعية في التعامل مع الفتن المعاصرة ويتضمن ثلاثة مباحث: المبحث الأول: السياسة الشرعية قبل وقوع الفتنة، المبحث الثاني: السياسة الشرعية حال وقوع الفتنة، منها الفرق والتأني والحلم، وعدم الحكم على الشيء، والاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم الجماعة، المبحث الثالث: السياسة الشرعية بعد انتهاء الفتنة، وفي نهاية الكتاب جاءت الخاتمة، وتتضمن النتائج والتوصيات،

هذا ما تم دراسته في هذا الكتاب، لكن الباحث لم يتطرق الكاتب آراء المفسرين ونظرتهم للفتنة بل اكتفى بالنصوص العامة من الكتاب وأحاديث النبي ﷺ، ولم يتطرق لبعض الفتن ونظرة المفسرين قديماً وحديثاً، ولم يتطرق لأسباب وقوع الفتن الدينية أو الدنيوية عن المفسرين، وهذا سيكون من صلب الدراسة للفتن، ولم يركز على الآثار الإيجابية والآثار السلبية للفتن، بل حددها فقط في مسألة الأعمال الإجرامية والتخريبية، وما سببته هو الآثار للفتنة بصورة عامة وبصورة خاصة لكل فتنة، وانعكاسها وتائجها، وبين الوقاية من الفتن بشكل عام، وما سنتطرق إليه هو الوقاية العلاج عند المفسرين القدامى والمحدثين، من الفتن الدينية والدنيوية، وكذلك عقد مقارنة بين أقوال المفسرين القدامى والمحدثين، في أنواع الفتن وأسباب وقوعها، والآثار المترتبة من وقوع الفتن، ومقارنة بين أقوال القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من

الفتن، مع الترجيح بين الأقوال.

5. دراسة بحثية للكاتب إبراهيم بن عبد الله الدويش بعنوان: (الفتنة ومعناها في ضوء الكتاب

والسنة)¹.

وهو بحث تكلم فيه المؤلف عن الفتن ومعناها في ضوء الكتاب والسنة، بين في البداية تمهيدا بالتفاؤل مهما عصفت رياح الفتن وكيفية التعامل معها، وقد قسم بحثه إلى ثلاثة فصول، تكلم في الفصل الأول: عن الفتن ومعناها في الكتاب والسنة، وأنواع الفتن، وتكلم في الفصل الثاني: عن ذكر طائفة من الأخبار الواردة في الفتن وما هو كائن فيها، ثم بين فيه شفقة النبي ﷺ على أمته، ومعرفة الفتن المستقبلية للتخطيط والاستعداد، وبين في الفصل الثالث: فوائد وحكم من وقوع الفتنة، وبعض النصوص الواردة فيها، تطرق في هذا الفصل، عن الغاية من وجود الفتن في حياتنا؛ وأنها تأتي للاختبار والامتحان، أو تأتي لرفع الدرجات، وأن الفتن قضاء كوني مقدر من الله، وأن كثيرا من الفتن سبب وقوعها؛ حتى يتوب الناس من لهوهم، وكذلك لتقوية ودعم الإيمان الذين نقلت إليهم هذه الأخبار، حيث يجدون الوقائع المطابقة لها، وإذا سمع المسلم بالفتن، تولد لديه الخوف والانكسار للعلي الغفار، فيسأل الله أن يعينه على التصدي لهذه الفتن.

ذكر المؤلف لمحات عن الفتن في ضوء القرآن الكريم والأخبار الواردة عن النبي ﷺ، لكنه لم يذكر الفتن المعاصرة التي تصيب الفرد والمجتمع وهذا ما سنتناوله في دراسة الفتنة، والمؤلف لم يبين آثار الفتنة على الفرد والمجتمع، من الناحية الدينية أو الدنيوية، ولم يذكر المؤلف أسباب وقوع الفتنة عند المفسرين القدامى والمحدثين، وهذا ما سنطرحه في دراستنا، ولم يتطرق المؤلف إلى الوقاية من الفتن التي تصيب

¹. إبراهيم بن عبد الله الدويش، الفتنة ومعناها في ضوء الكتاب والسنة، وهو بحث محكم في مجلة رابطة العالم الإسلامي السنة الثالثة والعشرون العدد (221) العام 1428هـ.

المسلم، وهذا ما سنركز عليه في دراستنا للفتنة، والمؤلف عرّج على بعض الحلول من الأحاديث النبوية، ولم يورد الحلول في ضوء القرآن الكريم، وفي ضوء أقوال المفسرين القدامى والمحدثين، وهو ما سنطرحه في دراستنا من بيان الحلول الناجعة من الفتن التي تصيب المسلم في حياته، وكذلك عقد مقارنة بين أنواع الفتن وأسباب وقوعها، وفي آثارها وطرق الوقاية والعلاج عند المفسرين القدامى والمحدثين، مع الترجيح بن الأقوال.

6. دراسة للباحث أبو عبد الله فيصل بن حيان آل صبحان بعنوان: (مسائل في الفتن)¹.

هذا الكتاب إنما هو محاولة لتأصيل الفتن، بالنظر فيما جاء فيه من النصوص والآثار، ومواقف السلف الأبرار، وقد رتبها المؤلف على مسائل ليكون ذلك أنشط للقارئ، وأروح لنفسه وفكره،

تكلم في المسألة الأولى: أن الفتن واقعة في أمة سيدنا محمد ﷺ وسلم قدرا وكونا، ولا بد من ذلك رضي الناس أم لم يرضوا. وبين في المسألة الثانية: بأن ينبغي أن يُعلم أنها كثيرة جدا لا يمكن حصرها، والمسألة الثالثة: أن الفتن متفاوتة، منها الصغير ومنها الكبير، ومنها الخاص ومنها العام، والمسألة الرابعة: أن الحق واضح جلي لا لبس فيه ولا خفاء، حتى في أوقات الفتن. ووضح في المسألة الخامسة: أنه لا تزال طائفة من أمة سيدنا محمد ﷺ على الحق ظاهرة منصور، لن يضرها من تخلى عنها أو من عارضها، إلى أن يتحقق أمر الله، وبين في المسألة السادسة: أن الفتن مرتع خصب لأهل الأهواء والبدع؛ لنشر أهوائهم وبدعهم وتلبيسها على الناس، المسألة السابعة: أن بعض البلاد أكثر فتنا من غيرها وأشد، وتحدث في المسألة الثامنة: أن الفتن الكبيرة العظيمة التي تعم الأمة وتؤثر فيها تأثيراً بالغاً، المسألة التاسعة: أن العبادة في الفتن، أفضل من العبادة في غيرها، المسألة العاشرة: أن الله تعالى وقت الفتن بهذه الأمة ألطافاً ورحمة، المسألة الحادية عشر: أن صاحب الشريعة كما بين لنا الفتن، بين لنا المخرج منها وكيفية التعامل معها.

¹. أبو عبد الله فيصل بن حيان آل صبحان، مسائل في الفتن (بيروت: مؤسسة الريان، 2005 م).

هذه أهم المسائل التي بينها المؤلف في كتابه عن الفتن، لكن المؤلف لم يبين أسباب وقوع الفتن المجتمعية ولا الفردية، وهذا ما سنقف عليه في دراستنا للفتنة، وبين المؤلف آثار الفتن على الأمة ولكن على عجلة، وما سنتطرق اليه هو البحث في آثار الفتن على الفرد والمجتمع، وبيان الآثار لكل فتنة وفق ما بينه المفسرون القدامى والمحدثون، ثم إن المؤلف لم يركز على طرق الوقاية والعلاج من الفتن، وسيكون هذا محورا هاما في دراستنا، في كيفية العلاج والوقاية من الفتن في ضوء القرآن الكريم عند المفسرين قديما وحديثا.

7. دراسة للباحثة ليلي محمد عبد الحميد سلامة بعنوان: (منهج القرآن الكريم في الوقاية من فتنة

الحياة الدنيا)¹ بينت الباحثة في هذه الرسالة الفتن التي تواجه المسلمين في الحياة الدنيا، وبين صفات الدنيا، وما يتعلق بوصفها من القرآن الكريم والسنة النبوية، واحتوت هذه الرسالة على تمهيد وأبواب، فذكرت في التمهيد المنهجية التي سلكتها في دراستها، والقرآن، والوقاية والفتنة، والفرق بين الفتنة والابتلاء، والحياة الدنيا، جاء في الباب الأول عن الحياة الدنيا في القرآن الكريم، ويشتمل على فصلين، الفصل الأول: قيمة الحياة الدنيا وصفتها كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتضمنت مباحث رئيسية : المبحث الأول : قيمة الحياة الدنيا، المبحث الثاني: صفة الحياة الدنيا في القرآن الكريم، المبحث الثالث: صفة الحياة الدنيا في السنة النبوية، الفصل الثاني: الصفات والأعمال الموقعة في فتنة الحياة الدنيا، وتكلمت في الباب الثاني عن فتنة الحياة الدنيا، ويشتمل على فصلين: الفصل الأول: أنواع الفتن، الفصل الثاني: فتنة المال والبنين أدلة من الواقع، ووضحت في الباب الثالث على الوقاية من فتنة الحياة الدنيا، ويشتمل على

¹ ليلي محمد عبد الحميد سلامة، منهج القرآن الكريم في الوقاية من فتنة الحياة الدنيا، وهو رسالة لنيل شهادة الماجستير في الجامعة الأمريكية المفتوحة، كلية أصول الدين، 1426هـ.

فصلين : الفصل الأول: المنهج الوقائي في القرآن الكريم ويشتمل على مبحثين: المبحث الأول:
سمات المنهج القرآني وخصائصه، المبحث الثاني: الصفات والأعمال الواقية من فتنة الحياة الدنيا
كما وردت في القرآن الكريم، الفصل الثاني: منهج القرآن الكريم في الوقاية من الفتن. وأما
الخاتمة: فقد احتوت على أهم نتائج البحث، التوصيات والمقترحات. وبينت في الخاتمة على عدة
أمور منها، أن وصف الحياة الدنيا بأنها متاع وغرور، وأنها زائلة لا يُقصد به نفص اليد منها،
والتخلي عنها، وإنما عدم التعلق بها واتخاذها دار بقاء، بل هي دار ممر وليست دار مقر، وقد
أوضحت أن الآيات الكريمة التي نددت بالذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة إنما جاءت
في: الحض على الجهاد بالمال والنفس، أو لتقريع الكفار، أو للحض على ابتغاء الخير والحق
وتحمل التضحيات في سبيلهما، أن هناك صفات تؤدي للوقوع في الفتن يجب الحذر منها،
ومنها: الجهل وهو الجهل بدين الله، والجهل بحقيقة الدنيا، والتكذيب بآيات الله والاستهزاء بها،
وحب الدنيا، والحرص على المصالح الشخصية، وبينت بعض الصفات التي هي بمثابة الواقية من
الفتن، منها توحيد الله عز وجل، والإيمان بالغيب، وقيام الليل، والدعاء والاستغفار.

هذه فحوى الرسالة التي بينت فيها الباحثة ما يتعلق بشؤون الفتنة في الحياة الدنيا،
وبينت الوقاية من الفتن الدنيوية، ولكن الباحثة لم تتطرق إلى أنواع الفتن التي تعصف بحياة
الناس، ولم تتطرق إلى آراء المفسرين للفتن، ولم تبين آثار الفتن، ولم تركز على قضية أسباب وقوع
الفتن، وبينت وقاية عامة من الفتن، ولم توضح الوقاية والعلاج الناجع من الفتن في ضوء القرآن
الكريم، وأقوال المفسرين القدامى والمحدثين، كل هذا سيكون مدار دراستنا ومحط النظر في البحث
عن الفتنة وأسبابها وآثارها وكيف السبيل إلى علاجها.

8. دراسة للباحث سعود بن عبد الله الفنيسان بعنوان: (اختلاف المفسرين أسبابه آثاره)¹

وأصل هذا الكتاب هو رسالة دكتوراه، أخذ الباحث فيه الامتياز مع مرتبة الشرف، يتكلم الباحث عن أسباب اختلاف المفسرين، وما له أهمية في كشف المعاني للقرآن الكريم، وقبل أن يدخل في الدراسة عمل تمهيدا تكلم فيه عن نشأة التفسير، ومراحل تطوره، واتجاهاته العامة. وقد قسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب وفصول، أما الباب الأول: بيان الأسباب العامة لاختلاف المفسرين، وفيه أربعة فصول، تكلم في الفصل الأول، عن اختلاف القراءات في القرآن الكريم ومقاييس قبولها، والفصل الثاني، المباحث اللغوية والبيان مثل الإعراب، والاشتراك والحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد، والإجمال والتقييد والبيان، والأمر والنهي، والفصل الثالث: دعاوى النسخ والاختلاف فيها، والفصل الرابع: مواقف المفسرين من القضايا العقلية، وفهم المتشابه.

والباب الثاني: بيان الأسباب الخاصة لاختلاف المفسرين، وفيه خمسة فصول، الفصل الأول تكلم فيه عن اختلاف مقاييس النقد لسند الروايات، أما الفصل الثاني اختلاف مقاييس النقد لمتن الروايات والفصل الثالث عن الاختلاف في مصادر التشريع مما لا نص فيه، وجاء في الفصل الرابع عن الانتماء العقدي، ودرس نموذجين هما الزمخشري المعتزلي، والطبرسي الشيعي. أما الفصل الخامس، فتكلم فيه عن الانتماء المذهبي، ودرس فيه نموذجين هما: أبو عبد الله القرطبي المالكي، وأبو بكر الجصاص الحنفي.

أما الباب الثالث: بيان آثار الاختلاف بين المفسرين، وفيه فصلان تكلم في الفصل الأول عن اختلاف المفسرين في العقائد،

هذا الكتاب قدم فيه المؤلف جهدا وعملا علميا واضحا، بين فيه اختلاف المفسرين وكيف يؤثر منهج المفسر في فهمه لكتاب الله عز وجل، وضرب أمثلة لذلك؛ فكان هذا الكتاب نظري وتطبيقي؛

¹ سعود بن عبد الله الفنيسان، اختلاف المفسرين أسبابه آثاره (الرياض: دار اشبيلى، 1997 م).

لكن المؤلف لم يبين اختلاف مناهج المفسرين، ورؤيتهم لفهم النص بين المفسرين القدامى والمحدثين، وهذا ما سنبينه في دراستنا، حيث سنرى كيف كان للمفسرين رؤيتهم ونظرتهم التفسيرية بين الماضي والحاضر، وكيف اختلفت وجهات النظر في تفسيرهم، ولم يتطرق المؤلف إلى اختلاف وجهات نظر المفسرين في بعض المواضيع مثل الفتنة، وهذا ما سنتطرق إليه في دراستنا حيث سنورد أحد المواضيع وهي الفتنة، وكيف تغيرت وجهات نظر المفسرين قديماً وحديثاً؛ لنرى ما هي المستجدات للفتن المفسرين القدامى والمحدثين، وأثرها على الفرد والمجتمع من ناحية دينية ودنيوية، وكيف عالجها القرآن الكريم، مع المقارنة بكل ما ذكر من أنواع الفتن وأسباب وقوعها، وآثارها، وطرق الوقاية والعلاج من الفتن الدينية والدنيوية، والترجيح بين القدامى والمحدثين.

9. بحث محكمٌ لدكتور أحمد محمد الشرقاوي بعنوان: (اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه)¹ في هذا

البحث بين الكاتب أسباب اختلاف المفسرين أسبابه بين ضوابطه، وكيف نشأ الاختلاف بين المفسرين، ثم يورد دفع الإشكال الذي يحصل في اختلاف المفسرين على عدة أقوال ويردُّ شبه أعداء الإسلام الذين يريدون النيل من تراث التفسير للقرآن، وقد قسم بحثه على عدة مباحث، فتكلم في المبحث الأول: عن مفهوم الاختلاف، المبحث الثاني: عن أنواع الاختلاف، وجاء في المطلب الأول: الاختلاف المذموم، وبين ذلك بأمثلة، المطلب الثاني: الاختلاف المحمود، وأعطى أمثلة على ذلك، وبين له أسباب عديدة أهمها، اختلاف التعبير، الاختلاف في عودة الضمير، أن يكون اللفظ مشتركاً في اللغة، اختلاف القراءات، وغيرها من الأسباب، وتكلم في المبحث الثالث عن: قواعد مهمة في التعامل مع اختلاف المفسرين.

¹ أحمد محمد الشرقاوي، اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه (جامعة الأزهر: كلية أصول الدين والدعوة، المجلة العلمية بالكلية العدد السابع عشر، 2004م).

هذا ما بينه الكاتب في بحثه هذا، ولم يتطرق الباحث إلى اختلاف وجهات نظر المفسرين قديما وحديثا، ونظرتهم لبعض المواضيع مثل الفتنة، وهذا سيكون محط بحثنا، وبين تغيير وجهات النظر في موضوع الفتنة عند المفسرين قديما وحديثا، وبيان آثار الفتنة، والوقاية والعلاج من الفتن الدينية والدنيوية، والمقارنة بينهما.

10. دراسة للكاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن السحبياني بعنوان: (الفتنة وموقف المسلم

في ضوء القرآن)¹.

هذا الكتاب بذل فيه المؤلف جهدا كبيرا في موضوع الفتن، فمن خلال دراسته للفتنة، أحاط بشتات هذا الموضوع، ورسم الخطوط العريضة لها، وبين فيه كل أو غالب ما يتعلق بالفتنة في القرآن الكريم، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أبواب، ذكر في الباب الأول مجالات الفتنة، بين فيه ابتلاء الأنبياء، وابتلاء أقوام الأنبياء، وابتلاء الناس جميعا بالخير والشر، ونوه في هذا الباب على محاربة الإسلام، والتشكيك في صدق النبي ﷺ، وإثارة العصبية والتحزب بين المسلمين، ووضح في هذا الباب كذلك الصد عن سبيل الله من الإغواء والخداع، وإغراق الناس بالشهوات، أما في الباب الثاني فركز على مظاهر الفتنة وأسبابها، والتحذير منها، وأورد مظاهر الفتنة من الشرك والنساء وإتيان الذكران والحكم والسلطة، ووضح أسباب الفتنة، من الأموال والأولاد والمعصية واتباع الشيطان ومولاة الكافرين واتباع المتشابه، ثم ختم هذا الباب في أساليب القرآن في التحذير من الفتنة، وتحدث في الباب الثالث عن الفتنة وسبل النجاة منها، من تمييز الصادقين من الكاذبين، والحذر من الشيطان وكيدته، والتنبيه لمحاولة أهل الكتاب من فتنة المسلمين عن دينهم، وختم هذا الباب في سبل النجاة من الفتنة، من الاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم الجماعة، والصبر، واللجوء إلى الله ومقاومة أسباب الفتنة، والحذر من الأعداء والحذر من الإشاعات، والثقة بنصر

¹. عبد الحميد بن عبد الرحمن السحبياني، الفتنة وموقف المسلم في ضوء القرآن (الرياض: دار القاسم، 1996م).

الله، ثم بين أهم النتائج التي توصل اليها.

هذا الكتاب جمع فيه صاحبه مكامن الفتنة في القرآن الكريم، وبين مظاهرها وأساليبها وآثارها وكيفية الحلول عند وقوع الفتنة، وبين الآيات التي وردت فيها الفتنة ودراستها دراسة متأنية، مما جعل هذا الكتاب متميزا عن غيره؛ لأن المؤلف ركز في الآيات التي وردت فيها الفتنة، أما باقي الكتب فجاءت في بيان الأحاديث عن الفتنة، فوضح المؤلف هنا، ما ورد في الفتنة في القرآن الكريم، ودرستها وتحصيلها، وعلاجها من خلال القرآن الكريم، غير أن المؤلف لم يذكر الفتن المعاصرة، التي تحتاحنا اليوم، وتوغلها في مجتمعنا، وهذا ما سنبينه في هذه الأطروحة من التركيز على الفتن المعاصرة، وبيان أضرارها، ولم يذكر المؤلف الآثار المترتبة للفتنة على الفرد والمجتمع، وإنما ذكرها على وجه العموم، وسنركز في دراستنا على الآثار الإيجابية والآثار السلبية، ثم نركز الدراسة على جعل آثارا لكل فتنة، عبر ما بينه المفسرون القدامى والمحدثون، ثم نبين طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدينية والدنيوية للفرد والمجتمع، وهذا ما لم يذكرها المؤلف، وكذلك عقد مقارنة بين أقوال المفسرين القدامى والمحدثين، في أنواع الفتن وأسباب وقوعها، والآثار المترتبة من وقوع الفتن، ومقارنة بين أقوال القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الفتن، مع الترجيح بين الأقوال.

11. دراسة للمؤلف حسين بن محسن أبي ذراع الحازمي بعنوان: (موقف المسلم من الفتن في

ضوء الكتاب والسنة)¹.

جمع المؤلف في هذا الكتاب عددا كبيرا من الفتن التي تحيط بالمسلم قديما وحديثا، ومن ضمنها فتن أشراط الساعة ومقدماتها، وقد عمل المؤلف تمهيدا واحتوى على

¹ حسين بن محسن أبي ذراع الحازمي، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة (الرياض: مؤسسة الجريسي، 2000م) وأصل هذا الكتاب هو رسالة ماجستير في جامعة أم القرى نال بها الكاتب درجة الامتياز، سنة 1996م.

عدة مباحث المبحث الأول: يتناول هذا المبحث تعريف الفتنة من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، بالإضافة إلى استكشاف العلاقة بين المفهومين يقدم المبحث بدايةً تعريفًا لغويًا للفتنة، موضحًا الجذور اللغوية للكلمة ودلالاتها في اللغة العربية، ثم ينتقل إلى التعريف الاصطلاحي للفتنة كما يتم استخدامها في العلوم الشرعية والمفاهيم الدينية، مع تسليط الضوء على كيفية تداخل هذين التعريفين، وأوجه الترابط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في مختلف السياقات، المبحث الثاني: يتناول هذا المبحث أوجه الفتنة كما وردت في القرآن الكريم، حيث يتم استعراض الآيات التي تشير إلى أنواع الفتن وتأثيرها على الأفراد والمجتمعات، المبحث الثالث: يركز هذا المبحث على سنة الله في اختبار المؤمنين بالفتن، موضحًا كيف أن الفتن تمثل جزءًا من الابتلاءات التي يواجهها المؤمنون، ودورها في تمييز الصادقين عن غيرهم، المبحث الرابع: يتناول هذا المبحث مواقف الناس أمام الفتنة، وينقسم إلى ثلاثة مطالب، حيث يتم تحليل استجابات الأفراد والجماعات للفتن المختلفة وكيفية تعاملهم معها المطلب الأول: استقبال الناس للفتنة، المطلب الثاني: فتنة الناس بعضهم البعض، المطلب الثالث: فتنة الإنسان نفسه، وأما البابان فهما كما يلي: الباب الأول: الفتن في ضوء الكتاب والسنة، ويشتمل على ستة فصول: الفصل الأول: إخباره ﷺ عن ظهور الفتن وتعظيمه لشأنها، ويشتمل على مبحثين، المبحث الأول : إخباره له عن ظهور الفتن ومجيئها. المبحث الثاني: شدة وقع الفتن وعظم شأنها، ويشتمل على ثمانية مطالب، المطلب الأول: فتن كقطع الليل المظلم، المطلب الثاني: وقوع الفتن كالظلل، المطلب الثالث: الفتنة العمياء الصماء التي تجعل الناس كالأنعام، المطلب الرابع: الفتنة التي تموج كموج البحر، المطلب الخامس: فتن لا تدع بيتًا إلا دخلته، المطلب السادس: فتن تُذهب العقول، المطلب السابع: وقوع الفتن كرياح الصيف، المطلب الثامن: تمحي الموت من شدة الفتن، الفصل الثاني: يؤر الفتن ومصدر ظهورها ويشتمل على أربعة مباحث، المبحث الأول : ظهور الفتن من المشرق، المبحث الثاني : وقوع الزلازل قبل المشرق، المبحث الثالث: طلوع قرن

الشیطان من قبل المشرق المبحث الرابع: رأس الکفر نحو المشرق، الفصل الثالث: فتنة التفرق والاختلاف، ويشتمل على خمسة مباحث، المبحث الأول: الفرق بين الاختلاف والافتراق، المبحث الثاني: التنبيه على بعض الأخطاء في التفرق والاختلاف، المبحث الثالث: أسباب الافتراق، المبحث الرابع: افتراق هذه الأمة واختلافها، المبحث الخامس: سبل الوقاية من التفرق والاختلاف، الفصل الرابع: فتنة النساء، ويشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: دواعي فتنة المرأة وظواهرها، المبحث الثاني: فتنة الخلوة بالنساء والتحذير منها، المبحث الثالث: التحذير من فتنة النساء، الفصل الخامس: فتنة المال، ويشتمل على أربعة مباحث، المبحث الأول: التحذير من فتنة المال، المبحث الثاني: فتنة هذه الأمة وهلاكها المال، المبحث الثالث: فتنة انتشار الربا، المبحث الرابع: عقوبات آكل الربا، الفصل السادس: فتنة القتال، ويشتمل على أربعة مباحث، المبحث الأول: إخباره بفتن الاقتتال من بعده. المبحث الثاني: فتنة اقتتال المسلمين مع الروم، المبحث الثالث: فتنة اقتتال المسلمين مع الترك، المبحث الرابع: فتنة اقتتال المسلمين مع العجم، الباب الثاني، ما يجب على المسلم تجاه الفتن، الفصل الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة، الفصل الثاني: التقوى وملازمة العبادة، ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث، المبحث الأول: فضل العبادة زمن الفتن، المبحث الثاني: أهمية الصلاة وفضلها إبان الفتن، المبحث الثالث: الصبر على الفتن، ويشتمل على مطلبين، المطلب الأول: فضل الصبر وأهميته، المطلب الثاني: الصبر إبان حلول الفتن، المبحث الرابع: الصبر على حفظ اللسان وكفه في الفتن، الفصل الثالث: لزوم جماعة المسلمين، ويشتمل على مبحثين، المبحث الأول: الآيات القرآنية التي تحث على الجماعة وتأمير بها، المبحث الثاني: الأحاديث الدالة على وجوب لزوم جماعة المسلمين، الفصل الرابع: العزلة وترك القتال في الفتنة، ويشتمل على ستة مباحث: المبحث الأول: التفضيل بين العزلة والخلطة، المبحث الثاني: الحالات التي تُسرّع فيها العزلة، المبحث الثالث: العزلة والخلطة إيان فتنة القتال، المبحث الرابع: اعتزال وهجر أرض المعاصي والفتن، المبحث

الخامس: فضل الشام إبان الفتن، المبحث السادس: التعرب وسكنى البدو في الفتنة، والخاتمة.

هذا ما تناوله المؤلف في كتابه؛ لكنه لم يتطرق لأسباب وقوع الفتنة عند المفسرين، ولم يتناول آثار الفتنة على الفرد والمجتمع، ولم يتطرق إلى الفتن المعاصرة التي تحيط بالمسلمين اليوم، وهذا ما سنتناوله في دراستنا عن الفتنة، مع بيان اختلاف المفسرين قديما وحديثا في تحديد معنى الفتنة، وبيان أنواع الفتن الدينية والدنيوية، وكذلك أسباب وقوع الفتن عند المفسرين القدامى والمحدثين، وبيان الآثار العامة للفتن، والآثار الخاصة لكل فتنة، وبيان طرق ووقاية لكل الفتن الذي سنذكرها خلال الدراسة. وكذلك عقد مقارنة بين أقوال المفسرين القدامى والمحدثين، في أنواع الفتن وأسباب وقوعها، والآثار المترتبة من وقوع الفتن، ومقارنة بين أقوال القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الفتن، مع الترجيح بين الأقوال.

12. دراسة للكاتب حمود بن عبد الله التويجري بعنوان: (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن

والملاحم وأشراط الساعة)¹.

هذا الكتاب جمع فيه المؤلف الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وغير ذلك من الأحداث التي أخبر النبي ﷺ أنها ستكون بعده إلى قيام الساعة، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام رئيسة، وهي كتاب في الفتن، وكتاب في الملاحم، وكتاب في أشراط الساعة، ذكر الأحاديث التي وردت في الفتن، التي أخبر عنها النبي ﷺ، وأخبر بها أصحابه بأنها ستقع في قابل الأيام، وذكر فيها تحريم القتال، والصبر على الفتن، والوقائع التي حصلت زمن الصحابة وغير ذلك، ثم تطرق للملاحم، وبين أن الملحمة اسم للقتال الشديد بين المسلمين والكفار، بخلاف ما كان بين المسلمين؛ فإنه يسمى فتنة، وذكر فيها عددا من فتح المدن، وفتح القسطنطينية، وفتح غيرها، وذكر تواتر الملاحم في آخر الزمن، وتحدث عن

¹ حمود بن عبد الله التويجري، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (الرياض: دار الصميعي، 1414 هـ).

قتال اليهود، كل ذلك ذكره مسنداً من الأحاديث عن النبي ﷺ، ثم ختم كتابه في الحديث عن أشرار الساعة، وبين أشرارها وعلاماتها وما جاء فيها عن النبي ﷺ، وذكر ما يكون من فتن في آخر الزمان، من خروج الدجال، والدابة، وغيرها من العلامات والأمارات لقيام الساعة.

ما يميز هذا الكتاب أنه تحرى فيه الأحاديث الصحيحة من ناحية المتن والسند، وترك الأحاديث الضعيفة والمنكرة والمكذوبة، وقد قسم كتابه تقسيماً على وفق الأحداث وتتابعها، وعلى الترتيب التاريخي للفتن والملاحم، وأشرار الساعة، فخرج بكتاب واضح المعاني، يزيل الإشكال إن حصل هناك لبس في بعض الروايات، وينقص الكتاب؛ أنه لم يتطرق لآثار الفتن على الفرد والمجتمع؛ وهو ما سنركز عليه في البحث عن الفتن، ولم يطرح الوقاية والحلول والعلاج من الفتن، التي تعصف بحياة الناس، وركز المؤلف على جمع المرويات من السنة فقط، بدون ذكر الفتن التي أوردها القرآن الكريم، فقد جمع الأحاديث عن النبي ﷺ التي تخص الفتن، والذي سأتناوله في الكتابة عن معطيات الفتن وآثارها وأسبابها وكيفية العلاج من القرآن الكريم.

الفجوة البحثية

تغطي الدراسة بيان أنواع الفتن في القرآن الكريم ومعناها، وكشف الشبهات التي تحيط بنا، وانتشارها في المجتمع، حتى بات قسم من المسلمين لا يفرقون بين ما هو ابتلاء وامتحان أو فتنة، والتي أدت إلى تشتيت المسلمين فكرياً وعقدياً، وكيف تناول المفسرون لموضوع الفتنة في القرون القديمة، مع المفسرين المحدثين، وفهمهم لها، وتوضيح رؤيتهم التفسيرية وأنواعها وأسبابها، وطرق الوقاية منها قديماً وحديثاً، فما كان في القرون المتقدمة، ليس الذي في قرن المفسرين المحدثين، وبالتالي اختلفت النظرة التفسيرية من زمن إلى زمن، ومن ظواهر الفتنة والتي قد تؤدي إلى فقدان العيش وفق المنهج الإسلامي وعلى الطريق المستقيم، مع بيان أثر الفتن على الفرد والمجتمع، من آثار عقدية ودينية ونفسية وصحية، وآثار اقتصادية، فكان لزاماً

التصدي لرد الشبهات التي باتت تشكل خطرا على القيم والمعتقدات، ومعرفة طرق الوقاية والعلاج من
الفتن الدينية والدنيوية التي تحيط بنا، من خلال استقراء الآيات القرآنية، التي تخص موضوع الفتنة، ورؤية
المفسرين لها قديما وحديثا.



الفصل التمهيدي: الإطار المفاهيمي للفتنة ومرادفاتها

أولاً: مفهوم الفتنة لغة واصطلاحاً

جاءت الفتنة على معاني لغوية متعددة منها "فتن: الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار"¹.

وتأتي الفتنة بمعنى "الاختبار والامتحان، تعني كلمة "فتن" الذهب عندما يتم كسرها "فتنة"، كما أن الفعل "مفتون" يشير إلى عملية إدخال الذهب إلى النار بهدف اختبار جودته. وعندما يُشار إلى الدينار بأنه "مفتون"، فإن ذلك يدل على أنه قد تم اختباره أو امتحانه"².

ومن معانيها اللغوية الإحراق كما في قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: 10] "أي حرقوهم"³. "ويسمى الصائغ الفتان، وكذلك الشيطان، ومن هذا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار: الفتين"⁴. "وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتعرضون للفتن في دينهم، مما يعني أنهم كانوا يتعرضون للتعذيب بهدف إبعادهم عن إيمانهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: 191]، تشير الفتنة إلى العذاب، كما تُفهم أيضاً على أنها ابتلاء من الله لقوم ما"⁵.

¹ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (د.م، دار الفكر، 1399هـ) 4/472.

² زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ) ص 234.

³ الرازي، مختار الصحاح، ص 234.

⁴ محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1414هـ) 13/317.

⁵ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال) 8/127.

وتأتي الفتنة لمعاني متنوعة تطلق كلها على معنى الفتنة قال الخليل بن أحمد الفراهيدي¹: "تشير الفتنة إلى الأحداث التي تحدث بين الناس، مثل الحروب والصراعات، كما يُستخدم مصطلح "الفتن" في سياق العشق، حيث يُقال "فتن بها" أو "افتتن بها" للدلالة على الشعور بالحب أو العشق، بالإضافة إلى ذلك، يُشار إلى الشيطان باسم "الفتان"، ويمكن استخدام هذا المصطلح للإشارة إلى مجموعة من الأفراد أيضاً، وقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ [الصفافات: 162]، أي: مضلين².

من خلال ما سبق يتبين أن "جماع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد"³.

وتأتي بمعنى الاستخلاص كما في قوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: 40] أي أخلصناك إخلاصاً. يُستخدم تعبير "فتنت الرجل" للإشارة إلى إزاحته عن موقفه أو معتقداته السابقة، ومنه قول الله جل وعز: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: 73] أي ليزيلونك⁴. "يمكن القول إن "افتتن الرجل" أو "فُتِنَ" تعني أنه تعرض لفتنة أدت إلى فقدانه لأمواله أو عقله، مما يجعله مَفْتُونًا ... والفتون أيضاً: الافتتان، يتعدى ولا يتعدى، ومنه قولهم: قلبٌ فاتِنٌ، أي مُفْتَتِنٌ ... والفاتِنُ: المضِلُّ عن الحق"⁵.

¹ أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، البصري، أحد الأعلام، وكان رأساً في لسان العرب، ديناً، ورعاً، قانعاً، متواضعاً، كبير الشأن، توفي سنة (170 هـ). ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي، سير أعلام النبلاء (القاهرة: دار الحديث، 2006 م) 7/ 97، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (لبنان: المكتبة العصرية، د.ت) 1/ 557.

² الخليل بن أحمد بن الفراهيدي، العين، 8/ 127.

³ محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001 م) 14/ 211.

⁴ أبو منصور، تهذيب اللغة، 14/ 213.

⁵ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، 1987 م) 6/ 2176.

"ويقال: العيش فتنان، أي: لوان... والفتان: جلدة يلبسها الرجل"¹.

ومن معاني الفتنة قولك: "فتن الرجل بالمرأة وافتتن، وأهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها، وأهل نجد يقولون: أفتنته، قال أعشى همدان فجاء باللغتين: لئن فتنني لهي بالأمس أفتنت ... سعيدا، فأسمى قد فلا كل مسلم"².

وللفتننة معاني متعددة بحسب ما يراد من الكلام فمعنى: "وافتن في الشيء: فتن فيه، وفتن إلى النساء فتونا وفتن إليهن: أراد الفجور بهن، والفتنة: الضلال والإثم، والفتان: المضل عن الحق، والفتان: الشيطان؛ لأنه يضل العباد، صفة غالبية"³.

والفتنة: "اختلاف الناس في الآراء... وقوله ﷺ: «فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر»⁴ يكون القتل والحروب والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تحزبوا، ويكون ما يبيلون به من زينة الدنيا وشهواتها فيفتنون بذلك عن الآخرة والعمل لها"⁵.

وللفتننة صيغ متعددة فكلمة الفتنان تأتي بمعنى "غشاء يكون للرحل من آدم والجمع: فتن"⁶.

¹ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، **مجممل اللغة لابن فارس**، وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986 م) ص711.

² ابن منظور، **لسان العرب**، 13 / 317.

³ المصدر السابق 13 / 318.

⁴ أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب» تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة، 1422هـ) 9 / 48 حديث رقم 7060. والذي ذكره صاحب كتاب تاج العروس هذا الحديث بلفظ (إني أرى الفتن خلال بيوتكم) وهذا اللفظ لا يوجد إلا في مسند البزار الذي يروى عن إسامة بن زيد، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، **مسند البزار**، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 2009م) 7 / 20.

⁵ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية) 35 / 493.

⁶ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000 م) 9 / 502.

ومن صيغ الفتنة قولك "ورق فتين: أي فضة محرقة، ودينار مفتون: فتن بالنار، والفتان: من أبنية المبالغة في الفتنة؛ ومنه الحديث: أفتان أنت يا معاذ؟" ¹2.

ولها معاني أخرى مثل "الفضيحة، وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ [المائدة: 41]، قيل: معناه فضيحته، وقيل: كفره ³. وتأني لمعنى الامتحان، إذا امتحن الشخص ⁴.

هذه أهم المعاني التي اشتملت على معنى الفتنة، ولها معاني أخرى بحسب السياق اللغوي للكلام فتكون بمعنى "الاختبار، والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق بالنار، وقيل: الفتنة الغلو في التأويل المظلم، يقال: فلان مفتون يطلب الدنيا أي قد غلا في طلبها" ⁵.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الفتنة لها أوجه ومعاني لغوية كثيرة، فهي من قبيل المشترك اللفظي، بحيث يتحد اللفظ ويتغير المعنى بحسب الكلام المراد إيصاله للسامع.

ثانيا: مفهوم الفتنة اصطلاحاً

عُرِفَت الفتنة بأنها "ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر، يقال: فتنت الذهب بالنار، إذا أحرقته بها؛ لتعلم أنه خالص أو مشوب، ومنه: الفتانة، وهو الحجر الذي يجرب به الذهب والفضة" ⁶.

¹ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول 1/ 142، حديث رقم 705.

² الزبيدي، تاج العروس، 35/ 496.

³ ابن منظور، لسان العرب، 13/ 319.

⁴ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 13/ 320.

⁵ أبو منصور، تهذيب اللغة، 14/ 213.

⁶ أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة) 692. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م) 165. وينظر: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1996م) 2/ 1264.

وعرفها صاحب كتاب التوقيف على مهمات التعاريف بأنها "البلية، وهي معاملة تظهر الأمور

الباطنة"¹.

والفتنة في الاصطلاح لا تخرج عن معناها اللغوي، فاللغوي والاصطلاحي متشابهان في المعنى، ولا يخرج

المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي².

ثالثا: الفرق بين الفتنة والابتلاء

من خلال ما سبق نأتي الآن لتتعرف إلى الفرق بين الفتنة والابتلاء حتى يتضح المعنى ونضع كل معنى في

مكانه الصحيح فالابتلاء هو "نوع من الاختبار، ويحمل عليه الإخبار أيضا"³. ويأتي الابتلاء بمعنى "البلية

و البلوى و البلاء واحد والجمع البليان و بلاه جربه واختبره وبابه عدا وبلاه الله اختبره يبلوه بلاء بالمد،

وهو يكون بالخير والشر و (أبلاه إبلاء) حسنا و ابتلاه أيضا"⁴.

"يقال: ابتليته بلاء حسنا وبلاء سيئا، والله تعالى يبلي العبد بلاء حسنا ويبلّيه بلاء سيئا"⁵.

"وابتلاه ابتلاء بمعنى امتحنه"⁶.

"ويقال: بلي فلان وابتلي إذا امتحن، والبلوى: اسم من بلاه الله يبلوه"⁷، ويأتي البلاء بمعنى "الغم، كأنه

يبلي الجسم، والتكليف بلاء، لأنه شاق على البدن، أو لأنه اختبار"⁸. "فصار بهذا الوجه بلاء، (أو لأنه

اختبار)، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: 31] أو لأن

¹ زين الدين بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف (القاهرة: عالم الكتب، 1990م) ص 256.

² ينظر: مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الكويتية (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1427 هـ) 32/ 18.

³ أحمد بن فارس القزويني، مقاييس اللغة، 1/ 292.

⁴ الرازي، مختار الصحاح، 40.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، 14/ 84.

⁶ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (بيروت: المكتبة العلمية) 1/ 62.

⁷ ابن منظور، لسان العرب، 14/ 84.

⁸ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005 م) 1264.

اختبار الله العباد تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا"¹، فهنا قد ابتلى الله المؤمنين المجاهدين بالقتال، ليرى صدقهم وعزمهم، فعبر عن هذا الأمر بالابتلاء، ليختبرهم ويميزهم.

"والبلاء يكون منحة، ويكون محنة"²، ويقال: "ابتليت الرجل فأبلاني، أي: استخبرته فأخبرني"³.

هذه أهم معاني الابتلاء في اللغة، وقد ورد الابتلاء في القرآن الكريم على عدة أوجه:

"الأَوَّل: بمعنى النعمة: ﴿وَلِيَبْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ [الأنفال: 17] أي وليُنعم.

الثاني: بمعنى الاختبار والامتحان: ﴿هَئَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: 11] ...

الثالث: بمعنى المكروه: ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 49] أي محنة"⁴.

ويردُ الابتلاء بمعنى "الغمّ من حيث إنّه يُبلى الجسم ... وسمي التكليف بلاء من أوجه: أحدها: أن التكليف كلها مشاق على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بلاء، والثاني: أنّها اختبارات، ولهذا قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ [محمد: 31]، والثالث: أنّ اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء، فالحنّة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر"⁵.

قال الإمام ابن الجوزي: "أوضح المفسرون أن البلاء في القرآن الكريم يُعبر عنه من خلال وجهين

رئيسيين: أحدهما: الاختبار، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة:

¹ الزبيدي، تاج العروس، 37/ 207.

² الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 1264، الزبيدي، تاج العروس، 37/ 207.

³ الزبيدي، تاج العروس، 37/ 206.

⁴ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1996 م) 2/ 274.

⁵ أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (دمشق: دار القلم، 1412 هـ) 145.

124]، وفي الأنبياء: ﴿وَنَبَلُوكُم بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]، والثاني: النعمة، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ﴾ [البقرة: 49] ¹.

"إن من يتأمل التعريف اللغوي لكل من الفتنة والابتلاء يجد أنه لا فرق بينها، وهذا صحيح من جهة واحدة هي المعنى اللغوي، لكن من ينظر في الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة الفتنة وكلمة الابتلاء يجد الفرق بينهما واضحاً². فالفتنة لها مدلولات لغوية كثيرة، وتتغير معناها بحسب السياق المراد إيصاله للمتلقي.

فمن خلال دلالة معنى الفتنة يتضح الفرق بينهما لأن "الفتنة أعم من الابتلاء حيث تأتي الفتنة على معان كثيرة، والابتلاء واحد من هذه المعاني، رغم أن عدداً من الآيات القرآنية جاءت فيها الفتنة بمعنى الابتلاء إلا أن هناك فرقاً بينهما من حيث الاستعمال اللغوي، وذلك في كون الفتنة أشد من الابتلاء"³.

مما سبق يتبين الفرق بين الفتنة والاختبار _الابتلاء_ من " تشير الفتنة إلى أحد أشد أنواع الاختبارات وأكثرها تأثيراً، حيث يمكن أن تحدث في سياقات تتعلق بالخير أو الشر، كما يتضح من قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] وقال تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: 16، 17] تم اعتبار النعمة بمثابة فتنة، حيث يُقصد من ذلك زيادة في اختبار الشخص الذي أنعم الله عليه بها وبالتالي، فإن المعنى المقصود هو شدة المسؤولية المترتبة على تلك النعمة"⁴.

¹ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م) 189.

² السحيباني، الفتنة وموقف المسلم في ضوء القرآن ص 27.

³ المصدر السابق، ص 27.

⁴ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم (مصر: دار العلم، د.ت) ص 217.

وهناك فرق آخر من خلاله يتبين الفرق بين الفتنة والابتلاء حيث "تأتي أفعال الابتلاء أحياناً مسندة إلى الله ﷻ بالاسم الظاهر مثل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ [البقرة: 124]، ومثل: ﴿إِنَّمَا يَبْتَلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ﴾ [النحل: 92]، وأحياناً يأتي الإسناد في أفعال الابتلاء إلى الضمير مثل: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: 152]... أما الفتنة فإننا لا نجد أن الأفعال منها تأتي مسندة إلى الاسم الظاهر من أسماء الله تعالى مطلقاً، ولعل السبب في ذلك والله أعلم كون الفتنة تأتي على معانٍ غير حسنة مثل: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: 101]¹.

وهناك مرادفات تأخذ في بعض الأحيان معنى الفتنة أو نوعاً من أنواعها، أو معنى واحداً من معاني الفتنة، وفقاً للسياق القرآني، أو وفقاً لاستخدامها في إيصال معنى آخر بنفس لفظ الفتنة فتطلق على " يتجلى الكفر والغلو في التأويلات البعيدة، بالإضافة إلى الفضيحة، والبلايا، والعذاب، والقتال، كما يمكن أن يُظهر التحول من الحسن إلى القبيح، والميل نحو شيء ما، والإعجاب به، ويمكن أن يحدث ذلك في سياقات تتعلق بالخير والشر"².

هذه الأوجه تأخذ معنى الفتنة في حالات معينة؛ لأن الفتنة يُعبر عنها بالألفاظ المختلفة، تدل من خلال هذه الألفاظ على الفتنة، مثل الامتحان والاختبار والتمحيص.

¹ السحيباني، الفتنة وموقف المسلم في ضوء القرآن ص27.

² أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ) 2/ 88. وينظر: مصطفى بن أحمد بن سلطان عسيري، سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة (الرياض: دار القبس، 2007 م).

جدول بياني عن معاني الفتنة ومرادفاتهما في القرآن الكريم

اللفظة القرآنية	معنى الفتنة	الآية	عدد المرات
فتنة	الشرك	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [البقرة: 193]	22
الفتنة	الكفر	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: 7]	6
فتونا	الاختبار والاختبار	﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: 40]	1
يفتنون	الاحراق في النار	﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: 13]	3
فتنته	الضلالة	﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ [المائدة: 41]	1
فتنة	الشدة والرخاء	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْحَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]	22
فتنا	التكليف	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 3]	5
فتنوا	العذاب	﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ [النحل: 110]	2
الفتنة	الإثم	﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: 49]	6
ليفتنونك	الإزالة	﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: 73]	1
يفتنكم	القتل	﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: 101]	1
يفتنوك	الصد	﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: 49]	1
فتنتهم	المعذرة	﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23]	1
فتنة	العبرة	﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85]	22

1	﴿بِأَيْكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: 6]	الجنون	المفتون
22	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: 63]	العقوبة	فتنة
3	﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: 126]	المرض	يفتنون
1	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: 155]	القضاء	فتنتك

جدول بياني للفظ الفتنة بمعنى الابتلاء

اللفظة القرآنية	الآية	نوع الفتنة	عدد المرات
فتنة	﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60]	فتنة دينية	22
فتنة	﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]	فتنة دينية	22
فتنة	﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: 111]	فتنة دينية	22
فتنة	﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبْ﴾ [الحج: 11]	فتنة دينية	22
فتنة	﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: 63]	فتنة دينية	22
فتنة	﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 49]	فتنة دينية	22
فتنة	﴿فَإِذَا أُودِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسِ﴾ [العنكبوت: 10]	فتنة دينية	22
فتونا	﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: 40]	فتنة دنيوية	1
يفتنون	﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2]	فتنة دينية	3
فتنا	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 3]	فتنة دينية	5
فتنا	﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: 53]	فتنة دينية	5
فتنتهم	﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام: 23]	فتنة دينية	1

22	فتنة دينية	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 25]	فتنة
22	فتنة دينوية	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28]	فتنة
22	فتنة دينوية	﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: 20]	فتنة
1	فتنة دينية	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: 155]	فتنتك

جدول بياني للفظ الفتنة بمعنى الاختبار

اللفظة القرآنية	الآية	معنى الفتنة	عدد المرات
فتنة	﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾ [الإسراء: 60]	فتنة دينية	22
فتنة	﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾ [الأنبياء: 111]	فتنة دينوية	22
فتنة	﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: 20]	فتنة دينوية	22
فتنة	﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات: 63]	فتنة دينية	22
فتونا	﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: 40]	فتنة دينوية	1
لنفتنهم	﴿لَنَفْتَنَّهُمْ فِيهِ﴾ [طه: 131]	فتنة دينوية	2

الفصل الأول: أقوال المفسرين في أنواع الفتن

تمهيد

أرسل الله تعالى رسله وأنباءه للناس كافة، ليرشدوهم إلى الطريق المستقيم، وهذا الطريق هو الذي يضبط حركة حياة الإنسان، ويعصمه من الوقوع في الخلل والزلل، ومن طبيعة العيش في الحياة الدنيا أنها جُبلت على الكدر والمجاهدة والتحمل، وذلك ليرى الله عز وجل من المسلمين صدقهم وعزمهم ويقينهم بشرع الله تعالى، ففي كل عصر من العصور تظهر الفتن بين الفينة والأخرى، ليمحص الله تعالى الصادقين المؤمنين، وتختلف هذه الفتن من زمن إلى زمن وفق معطيات العصر الذي يعيشونه، فكانت نظرة المفسرين للفتن ورؤيتها وتوجيهها، تختلف من زمن إلى زمن آخر؛ ولنتعرف إلى كوامن وخبايا هذا الفتن، فقد طرح الباحث بعض الفتن التي يرى أن أساس وارتكاز أغلب الفتن عليها، وهي تعد المحور الأساس لكل الفتن، وقد قسم الباحث الفتن إلى فتن دينية وفتن دنيوية، وذلك لرجوع الفتن إلى هذين الأصلين قم تتفرع بعدها الفتن وفق معطياتها ووفق تطبيقاتها، وكانت نظرة المفسرين القدامى وآراؤهم في أغلب الفتن تختلف عن نظرة وآراء المفسرين المحدثين؛ وذلك لكون بعض الفتن تحتاج إلى ما يوجهها بمنظور يختلف عن غيره من العصور، والفتن تختلف باختلاف الزمان والمكان، ومن خلال الآيات القرآنية، وآراء المفسرين يمكن أن نحيط للثام عن الفتن الدينية والدنيوية، التي تنتشر بين المسلمين، والوقوف على مكوناتها، وتشعباتها، ومداخلها ومخارجها، لتتضح الرؤية وتزال العتمة.

المبحث الأول: أقوال المفسرين القدامى في أنواع الفتن

لا يخلو عصر من العصور من الفتن والحن، ففي كل عصر فتنته ومصائبه، فبث الله تعالى الفتن بين خلقه ليرى صدق عزمهم، وتحملهم وثباتهم أمام المغريات، وأمام عواصف رياح الفتن، التي تجعل الحليم حيراناً،

فقد دون المفسرون أقوالهم وآرائهم عن الفتن قديماً وحديثاً، وتحدثوا عنها وفق ما يناسب عصرهم ووقتهم، وتختلف الفتن من زمن إلى زمن، وفق تغير الزمان والمكان، ووفق توصيف المفسرين للفتن، فمن خلال الاطلاع على أقوال المفسرين في الفتن، يمكن أن نقسمها إلى فتن دينية وفتن دنيوية، وكيف تناولها المفسرون القدامى والمحدثون، وكيف كانت وجهات نظرهم في رؤية الفتن من زمن إلى آخر.

المطلب الأول: الفتن الدينية

أولاً: فتنة الثبات على الحق: "إن من سنن الله عز وجل في خلقه ابتلاءهم واختبارهم، ليميز بين الصادقين والمنافقين، فطبيعة الحياة الدنيا وما يتعرض له الإنسان فيها من تحديات وصعوبات تجعل من المستحيل أن يخلو الفرد من الابتلاءات والحن، فقد يفشل في عمل، أو يخيب أمله في أمرٍ ما، أو يفقد شخصاً عزيزاً، أو يمرض هو أو أحد أحبائه، أو يتعرض لخسارة في ماله، أو ... إلى آخر ما يفيض به نهر الحياة ... إن خلق السماوات والأرض، وخلق الموت والحياة، وتزيين الأرض بما فيها، جاء لحكمة الابتلاء والاختبار لعباده، ليميز من يسعى إلى رضا الله وما عنده من ثواب، عن الذين يفضلون الدنيا وزخرفها"¹.

والفتنة والإيمان متلازمان للمؤمنين في الدنيا، فلا بد من افتتان المؤمنين، وهذه سنة الله، قال

الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2] فقد "وضح

للمسلمين أنه لا مفر من التعرض للابتلاء والمشقة في سبيل الله عز وجل، فلا يمكن أن يظنوا أنهم سيُتركون لمجرد تصديقهم بتوحيد الله دون أن يُختبر إيمانهم، كما أن الله سبحانه وتعالى قد اختبر الأمم

¹ حسين بن محسن أبي ذراع الحازمي، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة (الرياض: مؤسسة الجريسي، 2000م) وأصل هذا الكتاب هو رسالة ماجستير في جامعة أم القرى نال بها الكاتب درجة الامتياز، سنة 1996م، ص 51.

السابقة من المؤمنين قبل هذه الأمة، وسيختبرهم ليُظهر من هم الصادقون في إيمانهم عند البلاء"¹.

والله سبحانه وتعالى يتلى بالخير والشر قال ربنا: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:

35] أي: "تُعَرِّفُ الفتنه بأُحَا اتباع النفس والهوى دون هدى، بينما يُعْتَبَرُ الخير في العصمة من المعاصي وتوفير العون على الطاعة"².

والفتنة والابتلاء لا تكون لأهل الظلم فحسب، بل يتلى الله أهل الإيمان مصداقا لقول الله

تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 25]. قال الطبري³: "يخاطب

الله تعالى المؤمنين برسالته قائلاً: "اتقوا الفتنة"، أي الحذر من الاختبار والابتلاء الذي قد يرسله الله لاختباركم، هذه الفتنة لن تصيب فقط من ظلموا، وهم الذين ارتكبوا أفعالاً غير مشروعة أو اقترفوا ذنوباً بينهم وبين الله، بل قد تمتد آثارها إلى غيرهم، ويحذر الله عز وجل من الوقوع في المعاصي أو ارتكاب الآثام التي تستوجب العقوبة الإلهية"⁴.

وقد يتلى الله أهل الإيمان بالكافرين من العذاب، فقد يتلى الله أهل الإيمان بالكافرين فيعذبوهم

ويصدوهم عن دين الله، قال الله تعالى حكاية عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ

لَنَا﴾ [الممتحنة: 5]. أي: "يدعو المؤمنون قائلين: "يا رب، لا تجعلنا عرضة للعذاب الذي يسببونه لنا،

ولا تُنزل بنا عذاباً من عندك". إذ سيقول أعداؤهم: "لو كان هؤلاء على حق، لما تعرضوا لهذه المحن، ولما

¹ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته (بيروت: دار إحياء التراث، 1423 هـ) 3/ 372.

² أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري، تفسير التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، 1423 هـ) ص 104.

³ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، المؤرخ المفسر الإمام، كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، عارفاً بالقراءات، حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكامه، عالماً بالسنن، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، توفي سنة (310هـ). ينظر: أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002 م) 2/ 548، خير الدين الزركلي، الأعلام للزركلي (د.م: دار العلم للملايين، 2002 م) 6/ 69.

⁴ محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة، 2000 م) 13/ 47.

سلطانا عليهم"¹.

بل حتى من ناحية بسط الرزق، فقد يبسط الله للكافرين بالمال ويقتر على المؤمنين، جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: 5] معناه: "تضييق علينا في الرزق، وتوسع لهم فيه، فنضطر إلى الاعتماد عليهم، مما يجعل ذلك اختباراً وابتلاءً لنا"².

ويدعوا أهل الإيمان أن لا يظفر بهم الأعداء، حتى لا يخطر ببال الكافرين أنهم على حق والمؤمنين على باطل، بل حتى من ناحية الابتلاء، يخاطب المؤمنين الله تعالى أن لا يثقل عليهم بالابتلاء، حتى لا يشمت بهم الأعداء³.

هؤلاء هم أهل الإيمان يريدون القوة من الله، وأن لا يمتن عليهم أحد من خلقه مسلمين أو كافرين، وهذه هي عزة المسلم، وشمخ نفسه، وعدم الرضى للخنوع لأحد.

والمؤمنون ينظرون لمن قبلهم بعين الاعتبار، ويتعظون بمن سبقهم من أهل الإيمان، الذين أذوا في سبيل الله تعالى، وافتتنوا من أجل ثباتهم على الدين القويم، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: 142] أي: "ولم يأتكم بعد ما يشبه سنة الأمم التي

سبقتم في الابتلاء، ويقصد بذلك المؤمنين من الأمم الماضية، ثم جاء الحديث عنهم للعظة والاعتبار

لأصحاب النبي ﷺ، فقال الله تعالى: أصابتهم الشدائد والحزن، حيث واجهوا الشدة (البلاء) والضراء،

وعانوا من الهزات والخوف"⁴.

¹ أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، 1989م) ص 655.

² مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 2/ 246.

³ ينظر: مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 2/ 246، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005 م) 9/ 612.

⁴ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 182.

وقد أخبر النبي ﷺ عن من كان قبلنا من أهل الإيمان في من ثبت أمام العقبات والتعذيب، نصرة لدين الله تعالى، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان هناك أناس في الأمم السابقة يتعرضون لأشكال شديدة من التعذيب؛ حيث يؤخذ الرجل فيحفر له قبر في الأرض، ثم يُوضع فيه، ويُستخدم المنشار لوضعه على رأسه، فيقسم إلى نصفين، ويُستخدم أمشاط من الحديد لتمشيط جسده حتى يُزيل ما دون اللحم والعظم. ورغم كل ذلك، لم يمنعهم ذلك من الاستمرار في دينهم، ثم أكد النبي أن هذا الأمر سيكتمل في النهاية¹.

وهذا الأمر هو اختبار وامتحان للمؤمنين من الله تعالى؛ لمعرفة مدى تحمل المؤمنين الأذى والعذاب في سبيل الله؛ وليعلم الله تعالى قوة إيمانهم وصلابته قال ربنا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: 31] ولنا في الأنبياء عبرة وعظة؛ لأنهم يتلون أكثر من المؤمنين أنفسهم فيتحملون ذلك، مرضاة لله تعالى، وتمسكا بدينه جل وعلا، فعن سعد بن أبي وقاص، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة»².

" لقد تعرضت الأمم السابقة، مثل إبراهيم الخليل عليه السلام، للفتن والابتلاءات؛ حيث أُلقي في النار، كما واجهت جماعات أخرى ألواناً من التعذيب، حيث نُشروا بالمنشير بسبب تمسكهم بدين الله ولم يتراجعوا عن ذلك، وكذلك، عانى قوم موسى من فتنة فرعون، وقد مرَّ العديد من المؤمنين عبر العصور

¹ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، 20/9، حديث رقم 6943.

² أخرجه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في الصبر على البلاء، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998 م) 4/602، حديث رقم 2398. قال عنه الإمام الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

بمثل هذه الابتلاءات"¹.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الجزاء العظيم يتناسب مع البلاء العظيم، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي بما قدره الله، نال رضاه، ومن سخط عليه، استحق سخطه"².

ومن طبيعة الدنيا هي الابتلاء؛ لأن الله تعالى جبلها على ذلك؛ ولأنها دار ممر وليست بدار مقر، فيبتلي الله تعالى عباده ليرى صدقهم وإخلاصهم وثباتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155] فقد "أوضح الله سبحانه وتعالى للمؤمنين أن الحياة الدنيا هي مكان للاختبار، وأنه يختبرهم من خلالها، لذا أمرهم بالصبر في مواجهة هذه الابتلاءات، وبشّرهم فقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ثم بيّن لهم أن هذا هو نفس النهج الذي اتبعه مع أنبيائه وأصفياؤه، وذلك لتهدأ نفوسهم وتطمئن إلى أن الابتلاء جزء من سنة الله في عباده الصالحين، فقال جل شأنه: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا﴾ إِنَّ الْبَأْسَاءَ تشير إلى الفقر، بينما الضراء تعني السقم أو المرض، وقد زلزلت الأمم بالفتن وما تعرضوا له من أذى من قبل الناس"³.

وللإمام الشافعي نظرة مختلفة لتفسير هذه الآية، حيث ربطها بأعمال المكلفين، فقد سئل الإمام الشافعي عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ.....﴾ [البقرة: 155] فقال الإمام الشافعي رحمه الله: "يشير الخوف إلى الخوف من الأعداء، بينما يعبر الجوع عن الجوع الذي قد يشعر به المسلم في شهر رمضان، ويعني نقص الأموال الزكاة التي ينبغي إخراجها، في حين ترمز الأنفس إلى الأمراض، أما الثمرات، فتتمثل الصدقات التي تُعطى، ويأتي بشري الصابرين كجزء من الثواب على تحمل

¹ حسين الحازمي، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة ص51.

² أخرجه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في الصبر على البلاء 4/ 601، حديث رقم: 2396، قال عنه الإمام الترمذي (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه).

³ الطبري، تفسير الطبري 22/ 185-186.

هذه الابتلاءات وأداء الواجبات"¹.

ومن ابتلي وافتتن وصبر فقد نال الظفر، وارتفعت درجاته عند الله تعالى، قال النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»².

ومن تصبه فتنه أو مصيبة ثم يرجع إلى ربه ويؤوب إليه، يجزيه الجزاء الكبير، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156] "يعني الله تعالى: "أخبر، يا محمد، الصابرين الذين يدركون أن كل ما ينعمون به هو من عندي، ويعترفون بعبوديتي، ويؤمنون بتوحيدي كربّ لهم، ويصدقون بالآخرة، وعندما يختبرهم الله ببعض المحن والابتلاءات، يقولون: "إننا ممالك ربنا ومعبودنا في الحياة، ونحن عبده وسنعود إليه بعد وفاتنا، مع تسليم لقضائه ورضا بأحكامه"³.

ومن سلم أمره لله تعالى هدأت نفسه واستراحت روحه، فالرضا والصبر فوائده كبيرة فقد "أوضح الله سبحانه وتعالى أن المؤمن الذي يسلم لأمر الله ويسترجع عند وقوع المصيبة، يُكتب له ثلاث ميزات من الخير: الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبيل الهدى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يسترجع عند المصيبة، فإن الله سيَجبر مصيبتَه، ويُحسن عاقبته، ويجعل له خلقًا صالحًا يرضاه"⁴.

¹ أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تفسير الإمام الشافعي، تحقيق: د. أحمد بن مصطفى الفزان (السعودية: دار التدمرية، 2006 م) 1/ 242.

² أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) 4/ 2295، حديث رقم 2999.

³ الطبري، تفسير الطبري 3/ 221_222.

⁴ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419 هـ) 1/ 264_265.

ثانياً: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: إن سنة الله تعالى في هذه الدنيا إجراء الخير للخلق، وابتلائهم واختبارهم، ولما بعث الله تعالى رسله وأنبيائه إلى الناس، منهم من اتبعهم، ومنهم من صد وجحد عن دعوتهم، وكفروا بما جاء به الأنبياء، وتنكبوا من السير على الطريق القويم، وإرشادهم على الهدى والسداد، ولكن قسم من اتباع الأنبياء لم يكتفوا بعدم الانقياد لهم وعدم اتباعهم فقط، بل أعلنوا العداء والمكر والحرب للأنبياء ولدعوتهم، وهذه من الفتن الكبيرة التي من شأنها أن تصد الناس عن اتباع الأنبياء والسير وفق منهجهم، وقد ذكر القرآن الكريم، كيف كانت عداوتهم وبغضهم للأنبياء قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 3] أي: "لقد اخترنا الأمم السابقة الذين أرسلنا إليهم رسلنا، حيث قالوا ما قالته أمتك، يا محمد، تجاه أعدائهم، وتعرضوا لأذيتهم رغم تمكيننا لهم، كما حصل مع موسى حين أرسلناه إلى بني إسرائيل، حيث ابتليناهم بفرعون وأعدائه، وكذلك مع عيسى حين أرسلناه إلى بني إسرائيل، حيث تعرض أتباعه للابتلاء من قبل من تولى عنه، وهكذا، يواجه أتباعك أيضاً الابتلاءات من مخالفيك من أعدائك، والله تعالى يعلم ما كان منهم قبل الاختبار، وأثناءه، وبعده"¹.

وكانت الشعوب تصد دعوة الأنبياء بمحض هواهم وتكبرهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70] يعني: "بما لا يوافق هواهم، فَرِيقًا كَذَّبُوا مثال عيسى ومن قبله، وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ مثل يحيى وزكريا، وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، فالله تعالى أمر النبي بتبليغ الرسالة، وأمره بأن لا يحزن عَلَيْهِمْ إن لم يؤمنوا، لأنهم من أهل السوء الذين فعلوا هذه الأفعال، ثم قال: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة: 71] يعني: ظنوا أن لا

¹ الطبري، تفسير الطبري، 8/19.

يبتلوا بتكذيبهم الرسل، وقتلهم الأنبياء، ويقال: ظنوا أن لا يعاقبوا، ولا يصيبهم البلاء والشدة والقحط"¹.

ولقد أخبر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بأن أمته لم تختص بالفتن دون غيرها من الأمم " وأنها ستواجه التحديات وتعرض للاختبارات كما تعرضت لها الأمم السابقة، ثم أنزل عليه: ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيِّي مَا يُوعَدُونَ.....﴾ [سورة المؤمنون: 94، 93]، فاستعاذ نبي الله بالله تعالى، فاستجاب الله دعاءه وحماه"².

"وبعضهم يقول: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: 20] الأنبياء وقومهم"³.

ولم يكذب يسلم نبي من الأنبياء من استهزاء قومه، واتهامهم وتشنيع دعوتهم، وتكذيبهم فقلد أخذ الله العهد من " تم توجيه بني إسرائيل في التوراة للعمل بتعاليمها واتباع ما جاء فيها من أحكام ومبادئ، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70] ... يشير النص إلى أن اليهود قسموا إلى فريقين: فريق منهم أنكر رسالة عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، بينما الفريق الآخر قام بقتل مجموعة من الرسل، ومن بينهم زكريا ويحيى عليهما السلام، وهم من رسل بني إسرائيل"⁴.

فبنوا إسرائيل كانوا من أشد الناس عداوة للأنبياء والمرسلين؛ لأن الله تعالى كلما أرسل إليهم رسول كذبوه، وآذوه ونصبوا له العداة وأن الله تعالى " أرسل إليهم رسلا وأنهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً أن لا يكون من الله لهم ابتلاء واختبار بالشدائد من العقوبات بما

1 أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تفسير السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي (بيروت: دار الفكر، د.ت) 1/ 430.

² الطبري، تفسير الطبري 11/ 429.

³ يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، البصري، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: الدكتور هند شلي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004 م) 1/ 474.

⁴ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 494.

كانوا يفعلون"1.

ولقد دعا سيدنا إبراهيم قومه إلى الله تعالى، وإلى الإيمان بدعوته، وقال لهم: "أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا"2.

فما كان من قوم سيدنا إبراهيم إلا أن قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68] واجتمعوا عليه وأضرموا له النيران وتنادوا بينهم و ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: 68]؛ ولكن الله تعالى أبطل خاصية الإحراق وقال للنار: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 69، 70] فكانت عليه بردا وسلاما قال إبراهيم، خليل الله، إنه لم يشعر بفرح أو نعمة أكبر من تلك التي عاشها خلال الفترة التي قضاه في النار"3، وهذه من رحمة الله تعالى بنبيه إبراهيم عليه السلام، فنجى الله تعالى سيدنا إبراهيم من هذه الفتنة العظيمة، ولو لم يكن مؤيدا من الله تعالى، لربما تززع وتنازل عن مبادئه ومعتقداته؛ ولكنها النبوة والعون والسداد من الله تعالى وحده.

ولقد كُذِّبَ نبينا وسيدنا محمدا ﷺ من قبل قومه قال ربنا: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: 36] "يَقُولُهُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَيْ: يَعِيبُهَا وَيَسْتُثْمَهَا"4.

وهذا دأب الأمم مع أقوامهم، فكلما جاءهم نبي سخروا واستهزؤوا به قال جل شأنه: ﴿وَمَا

1 الطبري، تفسير الطبري 478 / 10.

2 الطبري، تفسير الطبري 464 / 18.

3 الطبري، تفسير الطبري 466 / 18.

4 يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام 312 / 1.

يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزخرف: 7] "يوضح النص أنه لم يكن هناك جيل من تلك القرون أو أمة من الأمم السابقة إلا وقد أرسل إليهم نبي يدعوهم إلى الهدى واتباع طريق الحق، وعندما جاءهم ذلك النبي، كان بعض أفراد تلك الأمم يسخرون منه ويستهزئون به، كما يفعل قومك معك يا محمد لذا، لا ينبغي أن يثقل ذلك على نفسك أو يؤلمك، لأن ما يقوم به قومك في استهزائهم بك هو نفس المسلك الذي اتبعه أسلافهم وأئمتهم من أهل الكفر بالله"¹.

حدثت فتنة للنبي ﷺ خلال حادثة الإسراء والمعراج، حيث أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو ما يعرف ببيت المقدس، في هذه الرحلة، اجتمع به جميع الأنبياء، وأمهم في الصلاة وبعد ذلك، عاد إلى مكة وصلى صلاة الغداة، إلا أن قومه كذبوه، لذلك يُعبر عن ذلك بأنه كان فتنة للناس، في إشارة إلى تكذيب أهل مكة له"².

واتهموه ﷺ بأشد التهم، وأبشع الأوصاف قال ربنا: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: 4]، فقد قال: "المنكرون وحدانية الله هذا، يعنون محمدا ﷺ، ساحر كذاب"³.

وحاشاه من هذه التهم والأوصاف، وما إطلاقهم هذه الصفات السيئة؛ إلا ليصدوا الناس عن دعوته ومنهجه، فصرفهم الله تعالى عنه، ونشر دعوته وتعاليمه، جابت الأرض طولا وعرضا رغم كيدهم وحقدهم.

وهذه طبيعة كل من جاء بالدعوة إلى الله، ونشر الفضيلة؛ فانه يُفتتن ويُمتحن ويختبر ولقد "امتحن الرسل بالمرسل إليهم ودعوتهم إلى الحق والصبر على أذاهم، وتحمل المشاق في تبليغهم رسالات

¹ الطبري، تفسير الطبري 21 / 570.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2 / 318.

³ الطبري، تفسير الطبري 21 / 148.

رَبِّهِمْ، وَامْتَحَنَ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ بِالرُّسُلِ، وَهَلْ يَطِيعُونَهُمْ، وَيَنْصَرُونَهُمْ، وَيَصْدَقُونَهُمْ، أَمْ يَكْفُرُونَ بِهِمْ، وَيَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيَقَاتِلُونَهُمْ"¹. لأن الله تعالى أرسل المرسلين حتى يكونوا قدوة للأمم، ويعاينوا كيف صبروا على أقوامهم وثبتوا على مبادئهم قال ربنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [المتحنة: 6] ومعنى الآية: "إن المؤمنين قدوة حسنة لهم في الأنبياء والرسل الذين تم ذكرهم، وذلك لمن يرغب في لقاء الله ورجاء ثوابه والنجاة في الآخرة، ومن يتجاهل ما أمره الله به وينأى بنفسه عن الدعوة الإلهية، ويظهر الولاء لأعداء الله، فإنه سيقابل تجاهله بإعراض الله عنه، حيث إن الله غني عن إيمان جميع خلقه وطاعتهم، ويمتاز الله بالحميد في عيون أهل المعرفة، الذين يدركون فضله"².

ثالثاً: فتنة الشبهات: أنزل الله تعالى القرآن الكريم فيه آيات واضحة بينات محكمات، ومن الآيات فيها متشابهات كما أخبر بذلك رب العزة إذ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]، ومعنى هذه الآية أنها "في هذه النصوص تكمن حجة الله الواضحة وحماية للعباد من الزلل، كما تسهم في دفع الخصوم والباطل، هذه النصوص غير قابلة للتغيير أو التحريف عن المعاني التي وضعت لها، وهي ما يُعرف بالنصوص المحكمة، أما النصوص الأخرى فهي متشابهات، صادقة في مضمونها، ولكنها قابلة للتفسير والتأويل، وقد ابتلى الله العباد بها كما ابتلاهم في قضايا الحلال والحرام، ولا ينبغي أن تُحوَّر هذه النصوص لتخدم الباطل أو أن يُحرف معناها عن الحق"³.

¹ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي (الرياض: مكتبة المعارف، د.ت) 2/ 160 _ 161.

² الطبري، تفسير الطبري 23/ 320.

³ الطبري، تفسير الطبري 6/ 177.

لأن في القرآن الكريم آيات واضحة في الدلالة على معانيها، لا تقبل التأويل ولا التصريف إلى معاني أخرى، وكذلك توجد في القرآن آيات متشابهات، أي: ما تشابهت معانيها، أو عرفها قوم وجهلها قوم آخرون، ولكن غالب القرآن الكريم آياته واضحة؛ لأن النبي ﷺ في كثير من الأحيان يبين للصحابة ما تشابه من آيات القرآن فالنبي ﷺ "يُتلى عليكم آيات الله بوضوح وإيضاح، حيث تشمل بياناً دقيقاً للحلال والحرام، الهدف من ذلك هو إخراج الذين آمنوا، أي أولئك الذين صدقوا بتوحيد الله وأطاعوه، وعملوا الصالحات، من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة والوضوح، كما تهدف هذه الآيات إلى نقلهم من عالم الشبهات والضلالات إلى عالم الأدلة والبراهين الساطعة، ويُقال أيضاً إن النبي ﷺ دُعي ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهذا كله بقدرة الله وتقديره المسبق"¹.

وقد حذر الله تعالى من الذين يتبعون المتشابه والشبهات في دين الله تعالى، قال الله تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 7]. قال ابن عباس: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ

زَيْغٌ﴾ شكّ وخلاف وميل عن الهدى"²، وبين أنهم باتباعهم للشبهات، فإنهم يريدون بذلك الفتنة كما

قال الله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: 7]، "يفهم من النص أن الذين في قلوبهم انحراف عن الحق

وميل نحو الباطل يتجهون إلى اتباع الآيات المتشابهة في الكتاب، تلك التي قد تكون ألفاظها تحمل

تفسيرات وتأويلات مختلفة، يفعلون ذلك بهدف إحداث التشويش واللبس، سواء لأنفسهم أو للآخرين،

محاولين استخدام تلك الآيات لدعم الباطل الذي يميلون إليه، بدلاً من الالتزام بالحق الذي وضحه الله في

الآيات المحكمة والواضحة في معانيها، يسعون بذلك إلى إثارة الشبهات وإضفاء اللبس على الحقيقة"³.

والذين يتبعون الشبهات، إنما يريدون اللبس على المسلمين، والحيدار عن الحق وإثارة الشكوك في

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3/ 464.

² مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت) ص 43.

³ الطبري، تفسير الطبري 6/ 197.

نفوسهم، وتأني معنى الفتنة بأنها "الشبهات إنما أهلكوا به"¹. وعبر عنها في موضع آخر من أن ابتغاء الفتنة للناس إنما هو الكفر "يتبعون ما كان متشابهاً من النصوص بهدف إثارة الفتنة، أي سعيًا نحو نشر الكفر وزعزعة الإيمان"².

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: إن المقصود بقوله تعالى "فيتبعون ما تشابه" هو اتباعهم للآيات التي تتشابه في ألفاظها ويمكن أن تحمل معاني مختلفة عبر التأويلات المتعددة. وذلك بهدف تبرير أباطيلهم وتحقيق ما يدعون إليه من ضلال وانحراف عن طريق الحق، مستخدمين هذه التأويلات لإضفاء الغموض والتشويش على من يفتقرون إلى المعرفة العميقة بطرق تفسير هذه النصوص ومعانيها المتنوعة"³. فاتباع المتشابه والشبهات أمر يودي بصاحبه إلى منحدرات لا تحمد عقباه، وإلى أباطيل وضلالات بعيدة عن الحق، وهم بذلك يريدون تأويله وإبتغاء تأويله يعني: تفسيره على ما يوافق هوى نفوسهم"⁴.

لذلك حذر النبي ﷺ من الذين يجادلون في آيات الله تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»⁵.

¹ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تفسير ابن المنذر، تحقيق: سعد بن محمد السعد، (المدينة النبوية: دار المآثر، 2002 م) 128 /1.

² مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 264.

³ الطبري، تفسير الطبري 6/ 185.

⁴ أبو محمد سهل التستري، تفسير التستري 46.

⁵ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «منه آيات محكمات» [آل عمران: 7] 6/ 34 حديث رقم 4547.

فبين لنا النبي ﷺ أن هؤلاء القوم يريدون التفرقة بين المسلمين بيث أباطيلهم وهم يتبعون الشبهات وهم أهل الزيغ والجور، وهم بذلك بعيدون عن "الاستقامة وعن العدل ... فيتبعون ما تشابه منه، يطلبون بذلك مثل الذي كان من الأمم الخالية فيما جاءتهم به رسلهم صلوات الله عليهم ابتغاء الفتنة، وهي فساد ذات البين حتى يكون عنها القتل وما سواه مما يجلبه من البغضاء والشحناء والتفرق، الذي تجري معه الأمور بخلاف ما أمر الله عز وجل به فيها بقوله: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، ومن كان كذلك خرج عن الإسلام، وصار من غيره، واستحق النار"¹.

وقسم من الناس يحشر نفسه في متاهات المعاني، ويريد بذلك تشتيت المسلمين عن دينهم، ويسأل عن صغائر الأمور يشير إلى أن الذين يرغب الله في إلحاق البلاء والضلالة بهم يتساءلون باستنكار عن طبيعة المتشابهات في القرآن، قائلين: "لماذا لا يكون الأمر على هذا النحو؟" مما يدل على عدم فهمهم للمقاصد الحقيقية للنصوص القرآنية"².

ولابد للمسلم من الابتعاد عن إثارة مواطن الشبهات، وعن الخلافات التي من شأنها أن تضعف قوة المسلمين، وتكسر شوكتهم، أمام أعدائهم، ويتحرى في حياته مواطن الحلال والحرام، والابتعاد بنفسه عن الأمر المشتبهة، وقد قال النبي ﷺ في الحديث قوله: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبها لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرمى حول الحمى.....»³.

¹ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (د.م): مؤسسة الرسالة، 1494 م) 6/337.

² الطبري، تفسير الطبري 6/179.

³ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه 1/20 حديث رقم 52.

قال الإمام النووي¹: إن الأشياء ثلاثة أقسام حلال بين واضح لا يخفي حله ... وأما الحرام البين فالخمر والخنزير... وأما المشتبهات إلى الأمور التي لا تتضح فيها معالم الحل أو الحرمة، مما يجعل الكثير من الناس غير قادرين على معرفة حكمها. بينما يتمكن العلماء من تحديد حكم هذه المسائل من خلال النصوص الشرعية أو القياس أو الاستصحاب أو غير ذلك (ستيراً لدينه وعرضه) أي حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي وصان عرضه من كلام الناس فيه (وقع في الحرام) أي كاد أن يقع فيه².

والله تعالى هو الهادي للطريق الصحيح وهو الذي يهدي من يشاء إلى المنهج الواضح قال الله تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 142] "يقول: يهديهم إلى المخرج من الشبهات والضلالات والفتنة"³.

والمنجد والمنقذ من الشبهات والفتنة في كل زمن، هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو منارة لكل طالب حق وهو "هُدًى لِلْمُتَّقِينَ" أي بياناً لهم من الضلالة للمتقين، الذين يتقون الشرك والكبائر والفواحش، فهذا القرآن بيان لهم من الضلالة، وبيان لهم من الشبهات، وبيان الحلال من الحرام ... إنه يعتبر هداية من الضلال ورحمة من العذاب، ويُقال أيضاً إن ما جاءكم يحمل في طياته بياناً واضحاً يقطع الشبهات ويزيلها عنكم"⁴.

فالقرآن الكريم هو الحكم والفيصل في قطع الشبهات، والله تعالى هو الذي يخرج العباد من "إن التوبة تمثل الانتقال من المعاصي إلى حالة النور، حيث تعمل على تطهير النفس من الذنوب.. كما تشير

¹ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الإمام الفقيه الحافظ الأوحى القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء، وكان إماماً بارعاً حافظاً زاهداً متقناً اتقن علومها شتى وبارك الله في علمه وتصانيفه توفي سنة (676هـ). عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ (بيروت: دار الكتب العلمية 1403 هـ) ص 513. إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابائي البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1951 م) 2/ 524.

² ينظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على مسلم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1329 هـ) 11/ 27.

³ عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 1/ 248.

⁴ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 22 _ 496.

هذه العملية إلى الانتقال من ظلمات الصراط إلى نور الجنة, بالإضافة إلى ذلك، تُعبر عن الانتقال من ظلمات الشبهات إلى نور البرهان والحجة الواضحة¹.

فعلى الإنسان تتبع مواطن اليقين والحق في حياته، ولا يتبع المواطن المشتبهة، والتي تؤدي بصاحبها إلى منعطفات بعيدة عن منهج الله، ولا يوجد مثل القرآن الكريم والسنة النبوية، حاجزا أمام الشبهات، كذلك الالتفاف حول العلماء الربانيين المخلصين، إذ هم صمام أمان لكل شبهة وفتنة، فالتمسك بهم وبتعاليمهم أصبح ضرورة وحاجة ملحة.

رابعاً: فتنة الاختلاف والتفرق: أنزل الله تعالى الكتب والرسائل على أنبيائه، وأمر عباده باتباع الطريق المستقيم، الذي يوصل عباده إلى مرضاة الله تعالى، ويوصل الناس إلى طريق قويم لا عوج فيه ولا اعتلال، ومنهج الأنبياء والرسل عليهم السلام، هو توحيد الكلمة ورض الصف، واجتماع القلوب، ونبد الفرقة والاختلاف والتشتت، كما وأوصانا ربنا بعدم الانقياد إلى هتافات من سبقنا؛ بسبب تفرقهم واختلافهم على أنبيائهم؛ ولأنهم خرجوا عن منهج رسلهم بترويج الفرقة والخلافات، وقد عناهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 150].

وهؤلاء هم "اليهود كفروا بعيسى ومحمد ﷺ، ويرغبون في التفريق بين الله ورسله، يتظاهرون بالإيمان ببعض الرسل، مثل موسى، بينما يكفرون بآخرين، مثل عيسى ومحمد ﷺ يسعون بذلك إلى وضع مذهب أو دين يتضمن الإيمان ببعض الرسل والكفر بآخرين، مما يجعلهم في واقع الأمر كافرين بحق"².

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3/ 65.

² مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 418.

فهؤلاء القوم يريدون بهوهم أن يؤمنوا ببعض الرسل ويكفروا ببعضهم وهذا منهج خاطئ، لا يتوافق مع منهج الأنبياء ثم بعده مباشرة مدح الله تعالى من يتبع الأنبياء فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ...﴾ [النساء: 152] يعني إن الذين يؤمنون بالله تعالى ورسوله جميعاً، ولا يميزون بينهم، هم المؤمنون الحق، هؤلاء يُعلنون أنهم لا يفرقون بين أي من الرسل، وبناءً على إيمانهم بالله وكتبه ورسوله، فإن الله سيمنحهم أجورهم.¹

وقد نبه الله تعالى المسلمين على تفرق الأمم قبل بعثة النبي ﷺ إلى طوائف و فرق متعددة فهؤلاء "الذين قاموا بتفريق دينهم الإسلامي الذي أمروا باتباعه، وانحرفوا نحو ديانات أخرى، مثل اليهود والنصارى قبل بعثة محمد ﷺ، كانوا يمثلون شيعاً وأحزاباً مختلفة، مثل اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم، وقد قيل للنبي محمد ﷺ إنه ليس له علاقة بهم، فمصيرهم إلى الله وحده، وسيقوم بإخبارهم بما كانوا يفعلونه"².

فقد أمرنا الله تعالى بعدم اتباع من قبلنا في تفرقهم وتشذمهم وتشنتهم، وأمرنا أن لا نكون مثلهم قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]، قال الإمام مجاهد³: "يعني: أمة محمد ﷺ فأعفاهم، ويشير ذلك إلى ما يعانون منه من اختلافات

¹ ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ) 1/ 718.

² مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 599.

³ الإمام مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، شيخ القراء والمفسرين، روى عن: ابن عباس - فأكثر وأطاب - وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وكان من العباد والمتجربين في الزهاد مع الفقه والورع مات بمكة وهو ساجد سنة (104 هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء 4/ 449، محمد بن حبان الدارمي، البستي، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: مرزوق على إبراهيم (المنصورة: دار الوفاء، 1991 م) ص 133.

وفتن"1.

فإن الله تعالى قادر أن ينزل على عباده عذاباً شديداً، ويشتت أمرهم ويفرقهم " تتمثل هذه الفكرة في أن هذه الفرق والأحزاب تتبنى أهواءً متباينة، مثلما حصل مع الأمم السابقة، ويُندر بأن بعضهم سيتعرضون لأذى بعض، حيث قد يؤدي ذلك إلى حدوث اقتتال بينهم، مما يُفضي إلى انقراض معظمهم، مع بقاء عدد قليل فقط"2.

والله عز وجل لا يرضى لعباده أن يكونوا متفرقين متناحرين، ومتباغضين؛ حتى لا تذهب قوتهم، وتباد شأفتهم، ويذهبوا أدراج الرياح، فيكونوا تبعاً لقوى الأمم الأخرى، ولقد أخبر الله تعالى " النبي محمد ﷺ بريء من أولئك الذين انحرفوا عن الدين الحق وقاموا بتفريقه إلى طوائف وأحزاب، هؤلاء ليسوا من أتباعه، ولا هو منهم، حيث إن الدين الذي أرسل به هو الإسلام، وهو يتبع مبدء إبراهيم الحنيفية، كما قال له ربه وأمره أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا.....﴾ [الأنعام: 161]3. فكان الحكم قاسياً، على كل من تجرأ على تفرقة المسلمين، وإرادة الشر بهم وبوحدتهم، وكذلك على مفارقة دين الإسلام الخالد فكل من فارق "دينه الذي بعث به ﷺ من مشرك ووثني يهودي ونصراني ومتحيف، يعتبر هذا الشخص مبتدعاً، حيث أضاف إلى الدين ما أدى به إلى الانحراف عن الصراط المستقيم والدين القيم، المتمثل في ملة إبراهيم المسلم وبذلك، يكون هذا الشخص بريئاً من النبي محمد ﷺ، والنبي أيضاً بريء منه، مما يندرج تحت عموم قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ [الأنعام: 159]4.

1 الإمام مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد ص23.

2 مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1 / 565.

3 الطبري، تفسير الطبري 12 / 271.

4 الطبري، تفسير الطبري 12 / 271.

ولقد أرشدنا الله تعالى إلى نبذ الاختلاف، وعد الانقياد وراء الطرق المتشعبة الموصلة إلى التفرق،

وإلى اتباع السبل المنحرفة عن الصراط المستقيم فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153] معنى هذه الآية هو "أن هذا الإسلام ديني

الذي ارتضيته طريقاً مستقيماً يُنصح بعدم اتباع اليهودية والنصرانية، حيث يُشار إلى أن هذا هو الطريق

المستقيم، والذي يمثل سنة الجماعة. ولذلك، ينبغي الالتزام به وعدم الانحراف نحو السبل المختلفة التي تمثل

الأهواء المتنوعة ... ثم قال: فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يعني: فيضلكم عن دينه ذَلِكَمَ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

يعني يجتنبون الأهواء المختلفة"¹.

فهو سبحانه وتعالى أمرنا باتباع الطريق المستقيم بداية الآية، ثم بعدها نَحَانَا عَنْ اتِّبَاعِ السَّبِيلِ

والطرق الملتوية للنزاع والشقاق، وأخبرنا بأنها طريق للهلاك، وأنها تبعد الأمم والأفراد عن الطريق الصحيح،

وهي سبيل إلى إضعاف وحدة المسلمين، قال الإمام مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام:

153] "يعني: الانحراف والضلالات"².

فكل صاحب هوى وصاحب فرقة، يرى أنه على الحق ومسلكه هو مسلك أهل الحق، وأنهم هم

المتمسكون بما أمر الله؛ ولكنهم واهمون وهم بعيدون كل البعد عن الحق، وكل فرقة منهم تغمرهم الفرحة؛

لأنهم يدعون أنهم على الحق ولكن هيهات "وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53]

معنى هذا الكلام أي: "كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق، فأحدثوا البدع التي أحدثوا

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون أن الصواب

معهم دون غيرهم"³.

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 495.

² الإمام مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد 331.

³ الطبري، تفسير الطبري 20/ 101.

ولقد دعا الله عباده إلى التكاتف والتعاقد ولم الشمل في آيات كثيرة، حتى تقوى شوكتهم، وتظهر وحدتهم، ونبههم على عدم التفرقة، قال الله تعالى أمرا المسلمين: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ [آل عمران: 103]، يعني "يُحْت المسلمون على عدم الاختلاف في الدين كما اختلف أهل الكتاب، ويُذكرهم بنعمة الإسلام التي حظوا بها، حيث كانوا في الجاهلية أعداء، يقتل بعضهم بعضاً، ولكن الله ألف بين قلوبهم، فأصبحوا إخوة بفضل رحمته، وكانوا على حافة النار، فأنقذهم الله منها، مما يعني تحويلهم من حالة الشرك إلى الإيمان، ويُشير هذا إلى أهمية التعرف على علامات هذه النعمة لكي يهتدوا إلى الطريق الصحيح"¹.

فسمى الله تعالى الوحدة بالحبل وذلك لقوة الترابط والتماسك، فالحبل المتين لا يمكن قطعه بسهولة ويكون قويا في نفس الوقت، ثم ذكّر الله المسلمين كيف كانوا يتقاتلون فيما بينهم عندما كانوا أعداء، فمنّ الله تعالى عليهم بأن جعلهم قوة واحدة، وجماعة واحدة وما هذا الاجتماع والتكاتف إلا نعمة من الله تعالى عليهم، فمتحدين نقف أما إذا كنا متفرقين فسندهب أدراج الرياح، ونصبح شتاتا بين الناس، لذا فالوحدة أمر ضروري للمسلمين؛ لأنّ تعالى "أمر ... المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم: إنما هلك من كان قبلكم بالمرء والخصومات في دين الله"².

وأعداء الإسلام دائما يحاولون زرع الفتنة والاختلاف والتفرق بين المسلمين، ومهما حاول الأعداء أن يجرونا إلى الخلافات، فلا بد من تفويت الفرصة عليهم، ونبذ شعاراتهم الزائفة التي تريد النيل من المسلمين ومن وحدتهم.

¹ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 293.

² الطبري، تفسير الطبري 9/ 321_322.

المطلب الثاني: الفتن الدنيوية

أولاً: فتنة الأولاد: تحدث المفسرون عن فتنة الأولاد في أكثر من موضع وذلك لأثرها على النفوس وملازمتها للإنسان طول حياته فقد قال الإمام الطبري في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] أي: "تعتبر الأموال والأبناء، التي منحها الله للناس، بمثابة اختبار وابتلاء، فالله أعطى هذه النعم ليختبر سلوككم في كيفية أدائها والامتثال لأوامره ونواهيه فيما يتعلق بها، من المهم أن تدركوا أن الله لديه خير وثواب عظيم لمن يطيعونه في ما أمرهم به ونهى عنه، سواء في ما يتعلق بأموالهم أو بأبنائهم، وبالتالي ينبغي عليكم طاعة الله فيما كلفكم به، لتنالوا الجزاء الوفير من ثوابه في الآخرة"¹.

وأورد الإمام الطبري قولاً للصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بخصوص فتنة الأولاد في قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] قائلاً: "لا يخلو أحد منكم من التعرض للفتن، لذا يُنصح من يشعر بأنه مُعرض لها أن يستعين بالله طلباً للنجاة من الفتن المضللة"².

وقيل أنها فتنة الاختبار، أي اختبارهم قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً.....﴾ [الأنبياء: 35]³.

وقال الإمام مقاتل بن سليمان⁴ في تفسيره عن قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] "يعني أن البلاء يأتي نتيجة لأن النصيحة كانت موجهة لهم بدافع الحفاظ على

¹ الطبري، تفسير الطبري، 13/ 486.

² عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 5/ 1685.

³ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 13/ 487.

⁴ مقاتل بن سليمان البلخي المفسر، أبو الحسن، روى عن مجاهد، والضحاك، قدم بغداد، وحدث بها، قال الشافعي: الناس عيال في التفسير على مقاتل، توفي سنة (150 هـ). شمس الدين بن قَائِمَاز الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار المعرفة، 1963 م) 4/ 173، أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد 15/ 207.

أموالهم وأبنائهم، حيث كانت هذه الممتلكات تحت تصرفهم، ومن المهم أن نعلم أن الله لديه جزاء عظيم لمن يستجيب لنصائحه"¹.

وجاء في تفسير الإمام ابن أبي حاتم² قوله عن فتنة الأولاد فيما يرويه عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في قول الله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] "يُشير إلى أن ذلك يُعتبر اختباراً لهم، مستشهداً بقول الله: "ونبلوكم بالشر والخير فتنة، وإلينا ترجعون"³.

هذه هي الأقوال التي ذكرها المفسرون القدامى عن فتنة الأولاد، والمطلع على هذه الفتنة يجد أن "ما يتعلق بالأولاد، فإنهم يكونون فتنة في أحوال خاصة، وذلك يكون بفرط المحبة لهم، والشغل بهم عن كثير من الخيرات، ولهذا حذر الله تعالى منهم ومن الأزواج بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: 14]"⁴.

وجاء في الحديث الذي ثبت عن النبي ﷺ في شأن الحسن والحسين عندما "كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما"⁵.

فهذا النبي ﷺ لم يشنه أنه كان يخطب في الناس حتى ترك المنبر ونزل واحتضن الحسن والحسين،

¹ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، 2/ 110.

² عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي أبو محمد الإمام بن الإمام الحافظ أبي حاتم، صنف تصانيف عديدة منها كتاب السنة والتفسير، حافظ للحديث، ومن كبارهم، توفي سنة (327 هـ). ينظر: إبراهيم بن محمد بن عبد الله برهان الدين، المقصد الارشد، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (الرياض: مكتبة الرشد، 1990 م) 2/ 105، خير الدين الزركلي، الأعلام للزركلي 3/ 324.

³ عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 5/ 1685.

⁴ السحيباني، الفتنة وموقف المسلم في ضوء القرآن ص 276.

⁵ أخرجه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما 6/ 122، حديث رقم 3774. قال عنه الإمام الترمذي: (هذا حديث حسن غريب).

وهو دليل واضح أن فتنة الأولاد تأخذ بالعقول، ولها وقع في النفوس وفي بعض الأحيان قد يتحمل الوالدان مشاقا وآثاما من أجل "تربيتهم والإنفاق عليهم، وتأهيل الثروة لهم، ولربما فتن الولد والديه بسبب فسقه وطغيانه كما قال سبحانه في قصة الغلام الذي قتله العبد الصالح قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: 80]¹.

وقصة أبناء بعض الأنبياء توضح هذا الأمر، من أن الولد قد يكون سببا في شقاء أو حزن والديه، أو سببا في إسعادهما وبهجة قلوبهما فقد جاء في القرآن الكريم، عن ابن سيدنا نوح عليه السلام أنه رفض أن يؤمن مع من آمن من قوم سيدنا نوح قال الله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: 42، 43].

بينما نجد أن ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو إسماعيل عليه السلام كان على طوعية تامة لأوامر والده وقد استسلم لكل ما يطلب منه، حتى لا يخالفه في أمره ولا يشق طاعته قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

والولد يكون سببا في شقاء والديه وأذيتهما؛ بسبب جحوده وأثما يفتنان به وبكفره قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: 80]، أي: "الغلام، فإنه كان كافرا، ووالديه مؤمنين، فعلمنا أنه يرهبهما: يقول: يغشيهما طغيانا، وهو الاستكبار على الله، وكفرا به"².

¹ عبد الرحمن السحيباني، الفتنة وموقف المسلم في ضوء القرآن، ص 276.

² الطبري، تفسير الطبري 85/18.

ولقد حذر الله تعالى من فتنة الأولاد واتباعهم؛ لكونهم في بعض الأحيان سببا في صدهم عن الدين، وعن الإسلام ووصفهم الله تعالى بالأعداء قال ربنا في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ.....﴾ [التغابن: 14]. فقد جاءت هذه الآية تبين أن: "هذا في أناس من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو نفر من الحي، فيخرجون من عشائريهم ويدعون أزواجهم وأولادهم وآباءهم عامدين إلى النبي ﷺ فتقوم عشائريهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم، فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم، ولا يؤثروا عليهم غيرهم، فمنهم من يرق ويرجع إليهم، ومنهم من يمضي حتى يلحق بنبي الله ﷺ".¹

"ولقد جاء في القرآن العظيم آيات عظيمة .. كلها دلائل واضحة وبراهين ساطعة، تكشف لنا تلك الفتنة العظيمة، وتبين خطرها، ذلك إذا اقتزنت بالأحوال التي سبق بيانها، والتفصيل فيها، ففي القرآن ذم الله تعالى أموال المنافقين وأولادهم؛ لأنهم استغلوها في طاعة الله"²، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.....﴾ [التوبة: 55]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا.....﴾ [التوبة: 85]، فهذا شأنهم في الدنيا، وأما في الآخرة فالأمر أشد وأعظم ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المجادلة: 17].

مما سبق يتضح للعاقل اللبيب، أن فتنة الأولاد على الإنسان فتنة كبيرة، وإذا ما أحسن تصرفه مع أولاده؛ فسيكون عليه وبالا وعذابا في الدنيا والآخرة، وهم زهرة الحياة وزينتها، فهم في نفس الوقت يكونوا أعداء للإنسان، وسببا في خراب الديار، وصلاحيهم يبدأ باختيار الزوجة الصالحة، وحسن تربيتهم

¹ الطبري، تفسير الطبري 23 / 425.

² عبد الرحمن السحيباني، الفتنة وموقف المسلم في ضوء القرآن ص 278.

والصبر على أذاهم، والدعاء لهم، ورعايتهم، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وصددهم عن طريق الضياع.

ثانياً: **فتنة المال**: المال عصب الحياة، به تقوم احتياجاته ومتطلباته، ولا غنى لأحد عن المال في حياته، لكن لا بد من الموازنة في كيفية التصرف بهذا المال الذي أعطاه الله تبارك وتعالى للإنسان "حذر المولى سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في غير ما آية من فتنة المال والانشغال به عن ذكر الله وطاعته فهو سبحانه - يعلم مواطن الضعف في هذه الكينونة البشرية ويعلم أن الحرص على الأموال وعلى الأولاد من أعمق مواطن الضعف فيها، فقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]"¹.

فلا بد للإنسان من اتخاذ ما يلزم في الحفاظ على ماله، ومعرفة كيف ينفقه بدون إسراف أو تقتير، ولا يكون المال سبباً لنسيان ذكر الله تعالى فإنه "إذا لم ينتبه المؤمنون إلى ما عند الله من الأجر العظيم واهتموا له، واهتموا بتحصيله، وجاهدوا أنفسهم في سبيل ذلك ووازنوا بين ما بين أيديهم من أموال وأولاد زائلة وبين ما عند الله من أجر عظيم باقٍ خالد، فقدّموا الباقي الخالد على الفاني الزائل، إذا لم يفعلوا ذلك وركنوا بالكلية إلى أموالهم وأولادهم فألهتهم عن ذكر الله، فعند ذلك تكون الخسارة المحققة الماحقة"².

قال الله تعالى حكاية عن الناس الذين يحبون المال فقال ربنا: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20] بمعنى: "وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيراً شديداً، من قولهم: قد جمّ الماء في الحوض: إذا اجتمع"³.

وقد جعل الله تعالى المال زينة في هذه الحياة، ثم بعدها ذكر الله تعالى عباده بأن الباقيات

¹ حسين الحازمي، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة ص 241 .

² المصدر السابق.

³ الطبري، تفسير الطبري 415 / 24.

الصالحات هي خير عند ربك ثوابا وخير أملا قال ربنا في كتابه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46] "يقول تعالى ذكره: المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها ... مما يتزين به في الحياة الدنيا، وليس من عداد الآخرة ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ ... الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا، خير يا محمد عند ربك ثوابا من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون بها، التي تفنى، فلا تبقى لأهلها"¹.

وسبب تعلق الإنسان بالمال هو حب الظهور على الغير والمفاخرة، وحب التملك، فيطمع الإنسان ويطغى، وبعض الناس يعمى عن واجباته فلم يعد يرى إلا جمع المال، فيصبح شغله الشاغل في الحياة، بحيث يصل إلى مرحلة مهما جمع من أموال لا يملئ عينه، ولا يملئ عين ابن آدم إلا التراب، كما أخبر النبي ﷺ: «لو أن لابن آدم مثل واد مالا لأحب أن له إليه مثله، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»² ويقول الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ.....﴾ [الفجر: 20] لذلك فإن الله تبارك وتعالى ذكر الإنسان دائما بأن لا يجعل من المال سببا لنسيان ذكر الله وأمواره ونواهييه، وأداء ما عليكم من الفرائض، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [المنافقون: 9] بمعنى: "يُحِثُّ المؤمنين على عدم انشغالهم بأموالهم أو أولادهم عن ذكر الله، مما يعني أنه ينبغي عليهم الحفاظ على طاعة الله وتعزيز علاقتهم به"³.

وهذا نداء وإخبار من الله تعالى بأن لا تشغلكم أموالكم "يتعلق الأمر بأهمية أداء الفرائض في أوقاتها المحددة، إذ إن من يُشغل عن ذكر الله وخدمته بسبب انغماسه في ملذات الدنيا، فإنه يُعتبر مخدوعًا، حتى وإن شعر بنشاط في عبادته، الاستثناء في هذا السياق هو من يحصل على توفيق الله عز

¹ الطبري، تفسير الطبري 31/ 18.

² أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال 8/ 92، حديث رقم 6437.

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3/ 453.

وجل"1.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يعني: ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله ولم يعمل بطاعته ولم يؤمن بوحدايته،
﴿قَاوِلِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يعني: يُعتبر هؤلاء الأشخاص مغبونين فيما يتعلق بحظوظهم من كرامة الله
ورحمته، حيث إنهم فقدوا متع الدنيا وفي الوقت نفسه حُرموا من النعيم في الآخرة².

وقد بين الله تبارك وتعالى أن الإنسان سيبتلى في ماله قال ربنا: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ [آل
عمران: 186] بمعنى لتختبرن بالمصائب في أموالكم ولتبلون في أموالكم وأنفسكم يعني بالبلاء والمصيبات،
ولتختبرن في أموالكم بالنقصان والذهاب، ويقال بوجوب الحقوق فيها³.

وحذر الله تعالى عباده بأن المال فتنة فلا يأمنوا جانبه ولا يركنوا إليه، ولا يتشبثوا به؛ لأنه زائل لا
محالة قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] ومعنى الآية: لا يخلو أحد
منكم من وجود فتنة، حيث يُشير الله تعالى إلى أن الأموال والأبناء تُعتبر فتنة يعني: يُعتبر ذلك بلاءً، إذ
إن النصيحة المقدمة لهم كانت مرتبطة بمصالحهم المالية وأبنائهم، حيث كانت هذه الأمور تحت تصرفهم،
ويُشير إلى أن الله لديه جزاء عظيم لمن يستجيب لأوامره، ومن يعاني من الفتن، ينبغي عليه أن يستعين
بالله للنجاة منها⁴.

فإن الله تبارك وتعالى "إذا منحك الله المال، فإنك ستنشغل بحفظه، أما إذا لم تحصل عليه،

فستكون مشغولاً بالسعي للحصول عليه. إذًا، متى ستجد الوقت للتوجه إلى الله وعبادته"⁵.

¹ أبو محمد سهل التستري، تفسير التستري ص168.

² ينظر: الطبري، تفسير الطبري 23/ 410، أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3/ 453.

³ ينظر: مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 320، الطبري، تفسير الطبري 7/ 454، أبو الليث السمرقندي،
تفسير السمرقندي 1/ 271.

⁴ ينظر: مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 2/ 109، عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 5/ 1685.

⁵ أبو محمد سهل التستري، تفسير التستري 169.

ولم يكن معيار التفاضل بين الخلق عند الله تبارك وتعالى بكثرة الأموال ولا الأولاد ولا الجاه؛ ولكن معيار التفاضل عند الله عز وجل، هي القلوب وما فيها من التقوى والإيمان ونزع الدنيا منه، والتمسك بمراقبة الله تعالى؛ لذلك قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»¹.

ولشدة تعلق الإنسان بالمال فإنه يترك ماله ويأكل من أموال اليتامى، يترك ماله الحلال ليأكل مال اليتامى ظلماً، وهذه من طبيعة النفس أنها تميل للهوى والريغ قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: 2] معناه: "يُخَاطَبُ اللَّهُ الْأَوْلِيَاءَ مُشِيرًا إِلَى ضَرُورَةِ إِعَادَةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِلَيْهِمْ عِنْدَمَا يَبْلُغُونَ سِنَ الرِّشْدِ، وَالَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ بِبُلُوغِ النِّكَاحِ، كَمَا يُحَذِّرُهُمْ مِنْ اسْتِبْدَالِ الْأَمْوَالِ الْحَرَمَةِ بِالْأَمْوَالِ الْحَلَالِ، مُشَدِّدًا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ تَنَاوُلِ أَمْوَالِهِمُ الْحَلَالِ بَيْنَمَا يَسْتَوْلُونَ عَلَى الْأَمْوَالِ الْحَرَمَةِ الْخَاصَّةِ بِالْيَتَامَى، كَمَا يُبْنِيهِ إِلَى أَهْمِيَّةِ عَدَمِ خَلْطِ الْأَمْوَالِ الرَّدِيئَةِ بِالْأَمْوَالِ الطَّيِّبَةِ"² لذلك في ختام الآية، يُحذِرُ اللَّهُ بِشِدَّةِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى، مُشَدِّدًا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ إِثْمًا عَظِيمًا"³.

"وقد يمنع المرء حق الله تعالى في ماله وثروته، وذلك بكنزه وحبسه، بخلا به وطمعاً قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُخْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: 34، 35]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9)

¹ أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله 4 / 1987، حديث رقم 2564.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1 / 279.

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1 / 279.

فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرَى.....» [الليل: 8 - 11]¹.

وللتخلص من فتنة المال، هو أن يمد الإنسان يد العون لغيره، فعلى الإنسان مساعدة الفقراء حتى تكون هناك موازنة في الحياة، فلا إجحاف ولا تبذير، بل أراد الإسلام أن تكون الحياة متوازنة في كل شيء؛ حتى في الأموال فلو اقتصر الأغنياء على أموالهم فقط، ولم يعطوها للفقراء فسيصبح تضخما اقتصاديا في غير محله، فأرشد الله تعالى وأوجب على الإنسان الزكاة فقال الله تعالى: ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43].

وفُرضت الزكاة لأهميتها وليفت المؤمنين إلى العناية بالمال؛ لكي يطهرها وينميها كما قال الله عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103]، ورغب بالإنفاق على الفقراء والمحتاجين والتصدق عليهم، وجعل الصدقة ثوابها عظيما كبيرا قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ.....﴾ [البقرة: 261].

ولابد للإنسان أن يضحي من أجل التخلص من فتنة المال فقد "وصف سبحانه وتعالى الأجر عنده بأنه أجر عظيم، هذا يجعل المؤمنين يقدمون على هذا الأجر في مقابل التضحية لزينة المال والولد، فإن للمال زينة ورتة، وإن للولد حلاوة ونظارة في النفس، والناس قد يلتهمون بأموالهم تنمية واستثمارا وتجارة ويظنون أنهم بذلك يعملون الصالح لأنفسهم وأبنائهم وهم مفتونون بذلك"².

ولأن الله تبارك وتعالى خبير وهو "العليم بخفايا النفس البشرية وضعفها لم يقل للمؤمنين: ﴿أَتَمَّا أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ﴾ [الأنفال: 28] فحسب ولكنه جل وعلا، أخبرهم بما عنده وأغراهم به؛ لأن النفوس

¹ عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، الفتنة وموقف المسلم في ضوء القرآن ص 273.

² السحيباني، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة ص 345.

لكي تتجافى عن هو المال والولد، لابد لها في المقابل من شيء تحس أنه أعظم وأبقى وأكثر مما بين يديها، ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] في غاية المناسبة في هذا المقام¹.

فالمال نعمة كبيرة على الإنسان أن يبقها بالشكر والحمد لله تعالى، ولا ينسى فضل الله عليه، ولا يجعل من أمواله سببا للطغيان والجشع؛ فإنه أمر ممقوت ولا يرجع لصاحبه إلا بالبور والهلاك.

ثالثاً: فتنة الشهوات: خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه الشهوات، والذي يُزين الشهوات هي النفس والشيطان قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: 53] "يعني: القلوب ميالة إلى الشهوات، ما لم يرحم الله تعالى عباده ويعصمهم من الوقوع في المعصية"².

فالنفس هي من الدوافع للشهوات، وهي التي تحركها إلى فعل المعاصي والمنكرات، وكذلك الشيطان هو سبب رئيس في التزين لهذه الشهوات، ويتعدد التزين كذلك بحسب الجهة الصادرة منه ففرى أن "يُعزى التزين إلى الله تعالى، ويظهر في شكلين: الأول هو تزين يُقصد به امتحان المؤمنين مع منحهم العصمة، والثاني يتعلق بالكفار حيث يكون التزين بمثابة عقوبة مع الخذلان، أما التزين المنسوب إلى الشيطان، فيكون في سياق الوسوسة"³.

والإنسان له أعداء من الداخل والخارج، فأما أعداؤه من الداخل فهي النفس كما سبق، وأما أعداؤه من الخارج كثير، من ضمنهم أعداء الإسلام يقول الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا.....﴾ [النساء: 27] يعني: ويريد اليهود والنصارى وأهل الباطل، أن تميلوا ميلاً عظيماً،

¹ المصدر السابق.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 198.

³ المصدر السابق.

وتتبعون أمر دينهم، وتركوا دين الله تعالى، ويريدون أن تميلوا عن الحق، وتتبعوا الشهوات المذمومة، وتكونوا مثلهم، باتباعهم الشهوات المحرمة¹.

فهم إذا رأوا من المسلمين التزاما وتمسكا بتعاليم الإسلام، أخذوا يجرونهم إلى تركها وإلى اتباع الشهوات والملذات المحرمة، ثم وصفهم الله تعالى بأنهم "أَضَاعُوا الصَّلَاةَ"، يعني: تناول النصوص السابقة موضوع الانحراف عن العبادة وارتكاب المعاصي، حيث يُشار إلى أن بعض الأفراد قد أهملوا أداء الصلاة وأنكروا أهميتها، مما أدى بهم إلى الكفر، كما يُشير النص إلى انغماسهم في الشهوات، مثل تناول الخمر وممارسة الزنا، وهو ما يُعد استحلالاً لهذه الأفعال، ومن ثم يُبرز النص العواقب الوخيمة التي ستواجههم، والتي تُعرف بالغِي، الذي يُفهم على أنه شر أو وادٍ في جهنم يحمل هذا الاسم، ومع ذلك، يتم التأكيد على استثناء أولئك الذين يتوبون عن كفرهم، ويؤمنون بتوحيد الله، ويقومون بأعمال صالحة بعد توبتهم، ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: 60]، يعني: لا ينقصون شيئاً من ثواب أعمالهم².

فقد توعد الله تعالى لمن يريد أن يتبع الشهوات، ولمن أراد أن يروجها للناس بالعذاب الأليم؛ لأن هذا فيه مفسدة على الفرد والمجتمع.

والشهوَات في الدنيا زينها الله تعالى للناس حتى قيل عن الشهوات: "ما أحد أشد لها ذماً من خالقها"³.

يقول الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾

¹ الطبري، تفسير الطبري 8/ 214.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 380.

³ عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 2/ 607.

[آل عمران: 14].

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن عباس في تفسير هذه الآية: "حسن للناس في قلوبهم حب اللذات، يعنى من الإماء والنساء والبنين والأموال المجموعة يعنى الأموال المضروبة المنقشة من الذهب والفضة والفنطار واحد وهو ملء مسك ثور ذهباً... والحيل الروائع الحسان المعلمة والأنعام يعنى والبقر والإبل والحرث يعنى الزرع والمزرعة"¹.

فُزيت في نفوس الناس هذه الأشياء، وهذه الأصناف قد حوت على شهوات الدنيا، وعلى ملذاتها الفانية، وبعد أن بين الله تعالى هذه الأصناف من الشهوات أردف بعدها قائلاً: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: 14] "إنه بلاغاً من الله يوضح أن ما يتمتع به أهل الدنيا من ملذات هو مجرد استمتاع زائل، إذ يسعى الأفراد إلى تحقيق رغباتهم وشهواتهم من خلال ما يمتلكونه في حياتهم الحالية، ويعتبرونه وسيلة لتحسين معيشتهم، ومع ذلك، فإن هذه الملذات ليست مهيئة لهم كزادة لاخرتهم، ولا تقرهم من ربهم، باستثناء ما ينفقونه في سبيل الله وما يُخصصونه من مواردهم وفق الأوامر الإلهية"².

فأخبر الله تعالى أنها متاع؛ حتى ينبه الناس أن هذه أمور زائلة لا تدوم لأحد مهما بلغ من القوة والمنعة، وهو لا محالة ستزول، لذلك رغب الله تعالى بعدها في تركها فقال: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾

[آل عمران: 14] وإن الله تعالى "يعبر النص عن دعوة للتخلي عن التعلق بمغريات الحياة الدنيا، والترغيب في الآخرة، يشير إلى أن متاع الحياة الدنيا، رغم ما يتضمنه من منافع، هو زائل ولن يدوم، في المقابل، فإن الله يعد بالمرجع الصالح في الآخرة، المتمثل في الجنة التي لا تغنى ولا تزول، كما يلفت النظر إلى أن المتقين، الذين لا تنشغلهم زينة الدنيا عن طاعة الله، سيكون لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، مما

¹ مجد الدين الفيروزآبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص44.

² الطبري، تفسير الطبري 6/ 258.

يُظهر أن هذه الجنات، بمساحتها الخضراء ومياهها الجارية، هي خير من الزينة الدنيوية وما تقدمه من متع¹.

وعندما تتملك الشهوات من القلوب فإنها تعمى عن الطاعات ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «اللهم زين لنا الدنيا، وأنبأنا أن ما بعدها خير منها، فاجعل حظنا في الذي هو خير وأبقى»².

والإنسان الذي يتعرض للشهوات ويصرف نفسه عنها يعوضه، الله بالأجر العظيم "لأن الذي يمنع نفسه من الشهوات مع قدرته، كانت فضيلته أكثر من الذي لا قدرة له"³، وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها.....»⁴.

قال الإمام النووي: "ومقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه وكلاهما حريص على هلاك نفسه"⁵.

وهذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس، من أنهم تغلبهم شهواتهم وهواهم، فهم يسرون خلف نزواتهم بدون تعقل ولا روية، ويلهثون وراء المعاصي والذنوب، يحسبون أن هذا فيه نفع لهم، ولكن بعد أن يستقنوا في مستنقع الهلاك، يدركون عظم ما قدموا عليه وسوء المنقلب والعياذ بالله.

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 199.

² أبو بكر بن المنذر النيسابوري، تفسير ابن المنذر 1/ 143.

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 211.

⁴ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي 8/ 102، حديث رقم 6483.

⁵ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على مسلم 15/ 50.

المبحث الثاني: أقوال المفسرين المحدثين في أنواع الفتن

المطلب الأول: الفتن الدينية

أولاً: فتنه الثبات على الحق: يسير الإنسان في هذه الحياة، فيواجه أصنافاً من العقبات أمامه في جميع نواحي حياته؛ لأن الطريق إلى الله طريق يحتاج إلى صبر ومجادة وتحمل؛ وذلك لعظم ما يحمل من رسالة سامية بين جنبيه ألا وهي أمانة الأنبياء، ودعوة الرسل ومنهج الإسلام، وكل من سار على طريق أهل الحق، لا بد له من خوض هذه الفتنة، ألا وهي فتنه الثبات على المبدأ والحق، قال ربنا: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2] أي: "ضرورة اختبار الأفراد من خلال مجموعة من التكاليف والتحديات، يُشير إلى أنه لا يمكن ترك الأصحاب من دون امتحان، حيث يتوجب عليهم مواجهة متطلبات شاقة تشمل الهجرة، والجهاد في سبيل الله، والتخلي عن الشهوات، والالتزام بأداء الطاعات، فضلاً عن تحمل المصائب في النفس والمال والثمار، يهدف هذا الامتحان إلى تمييز المخلصين من المنافقين، والراسخين في الدين من المترددين فيه، كما يُوضح أن الجزاء سيكون وفقاً لمراتب الأعمال التي قاموا بها"¹.

فهذه كلها من الأمور الشاقة على الأنفس، وقليل من يتحمل عبئها وتبعاتها، وخاصة في زمننا هذا إلا ما رحم ربي "ثم ذكر ما هو كالتسلية لهم بما نال من قبلهم بالمشاقّ فقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 3] أي: "لقد خضعت جماعات أتباع الأنبياء في الأمم السابقة للاختبار من خلال مجموعة من المحن والتحديات، حيث تعرضوا لأنواع مختلفة من البأساء والضراء، وقد أظهر هؤلاء الأتباع صبراً كبيراً، وتمسكوا بدينهم بإصرار وثبات"².

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1946 م) 20 / 112.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 20 / 112.

والنفس دائما عندما ترى المقابل قد مرّ بنفس تجربته ويثبت على ما يواجهه في دينه فإنه يكون أقوى وأصلب في مواجهة تلك الفتن والأحداث، وحتى النبي ﷺ هو وأصحابه، قد مروا بنفس الموقف من الترقب والزعزعة في سبيل الثبات على الحق قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214] والمعنى: "أنه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء، ولم يبق لهم صبر، وذلك هو الغاية القصوى في الشدة، فلما بلغ بهم الحال في الشدة إلى هذه الغاية، واستبطنوا النصر ... استمر الأتباع في الثبات على دينهم رغم طول فترة الابتلاء والشدة، حتى جاءهم نصر الله، لذا، يُحث المؤمنون على اتباع هذا النهج، وتحمل الأذى والصعوبات في سبيل السعي وراء الحق، إن نصر الله قريب، ومن يتصف بالصبر كما صبر هؤلاء الأتباع سيحقق النصر والنجاح"¹.

فقد قرن الله تعالى دخول الجنة بما يلاقونه من افتن في طريق الهدى، وفي ثباتهم وتحملهم، وقد عبر الله تعالى عن حالهم بقوله وزلزلوا "والزلازل: اضطراب الأرض، وهو ... استعارة لاختلال الحال اختلالا شديدا بحيث تخيل مضطربة اضطرابا شديدا كاضطراب الأرض وهو أشد اضطرابا للحاقه أعظم جسم في هذا العالم ... تشير زلزلة المؤمنين إلى حالة من الانزعاج والدعر الناتجة عن تفوق أحزاب العدو عليهم من حيث العدد والعتاد"².

فهذه المواقف تبين مدى أهمية صلابة المسلم على دينه، وتبين ضرورة التسليح بسلاح الثبات والرباط، من أجل ما يحملونه من عقيدة صادقة تجاه دينهم وتجاه أمتهم، والذي يضبط حياة المسلم هو اتباع تعاليم الإسلام جملة وتفصيلا وكذلك "تتطلب طاعة الأوامر الإلهية إيمانا راسخا يشبه ثبات الجبال،

¹ محمد الأمين المرعي الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن (بيروت: دار طوق النجاة، 2001 م) 3/ 261.

² محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ) 21/ 283.

تعني الطاعة تحمل النفس على القيام بما قد لا تفضله، بدلاً من الانصياع لما تحب، هذه السمة لا توجد إلا في عدد قليل من الأفراد، وإذا ما التزم هؤلاء بما أمروا به وابتعدوا عن المحرمات، فإن ذلك سيكون خيراً لهم في الحياة الدنيا والآخرة، ويعكس ثباتهم على الحق، ويؤهلهم لنيل الثواب العظيم في الآخرة، إذ إن اللجنة محاطة بالمكارة، بينما النار محاطة بالشهوات، كما ورد في الأحاديث النبوية¹.

فلم يكن الأمر سهلاً على النفوس الضعيفة في تحمل المشاق، وتحمل الأذى والصبر في طاعة الله ورسوله، حتى وصل الأمر لبعض الصحابة أنهم قالوا: "لو أن الله أمرنا أن نقتل أنفسنا أو نخرج من ديارنا لفعلنا"².

فكانت قلوب الصحابة قوية متماسكة في إطاعة الله ورسوله ﷺ، وما قوة هذه القلوب إلا بقوة إيمانهم، وعزمهم القوي؛ لأجل ما يريد الله ويريده رسوله ﷺ، وهنا نأخذ درساً بليغاً في الثبات على الحق، وكذلك "حثّ المسلمين على الثبات على ما أمرهم الله ورسوله به دون أبوه لغيرهم من الملل الذين يحاولون زلزلتهم عنه، وبيان لما في الاستجابة لهم أو التأثر بهم من إثم وضرر في دينهم ودنياهم ... ومنه بثّ القوة في قلوبهم والإهابة بهم بأن لا يخشوا معارضيهم وأعداءهم وأن لا تكون خشيتهم إلا لله وحسب، وبذلك فقط ينصرهم على أعدائهم ويتم نعمته عليهم ويهديهم إلى ما فيه العزة والقوة والسداد"³.

ومهما حاول أعداء الإسلام من نشر مكائدهم وقوتهم، فلن يزعزع موقف أهل الإيمان والحق؛ لأنهم يستمدون قوتهم وعزمهم من عند الله تعالى، فلولا تثبيت الله تعالى لأهل الإيمان ولأهل العقيدة الصالحة فلن يثبتهم شيء على هذا الوجود، يقول الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

¹ د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير (دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418 هـ) 5/ 143-144.

² الزحيلي، التفسير المنير 5/ 144، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (بيروت: دار الفكر، د.م) 2/ 587.

³ دروزة محمد عزت، التفسير الحديث (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1383 هـ) 6/ 258.

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27]

أي: "يثبت الله الذين آمنوا بأن يلقي في روعهم الاطمئنان إلى الحق والجزم به والنطق بمقتضاه، والثبات عليه لا يحيد عن النطق بالحق والعمل به، والرضا بنتائجه"¹.

فمهما أوتي الإنسان من قوة ومن شدة البأس؛ فإنه مفتقر إلى الله تعالى، وهو ضعيف أمام نوازل وزلازل الحياة التي نعيشها، فلولا عطاء الله وكرمه وتثبيتته للمسلم، لظل هائما على وجهه، تُقلبه الأيام وتذروه الرياح أمام أبسط الفتن وأقل المغريات.

ومن رباطة القوة وتطمين الله تعالى لعباده والصبر على الحن والشدائد هناك ثبات أمام مهمة كبيرة ألا وهي النصح للحاكم فكما أن "القول الثابت كما يشمل الصبر في العقيدة يدخل في عمومته الثبات على الحق في نصيحة الحاكم، والامتناع عن قول الباطل مDAHنة له، ويقول للحاكم الظالم: اتق الله، ويكررها كلما اقتضت الحال قولها في غير موارد، إلا إذا كانت الحكمة أن يداور لأجل إيصال الحق إلى قلب الحاكم، وتسويغه في نفسه، فللقول سياسة، وللعلم سياسة، ومنها تسويق الحق ليهضم معناه، وخصوصا في أزمان الفساد كالزمن الذي نعيش فيه ... وما ضيع المسلمين إلا سكوتهم عن القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة"².

وهذا طريق قل سالكوه، وهم الذي اصطفاهم الله تعالى لحمل الأمانة وأداء الرسالة على أكمل وجه، فهم يوجهون العامة والحاكم نحو النصح ونحو الخير، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، فهم يدعون إلى الله على بصيرة وحكمة، وهذا الطريق لا يصمد أمامه إلا من وفقه الله تعالى لذلك إن "تبين الحق من الباطل على محك الشدائد التي لا يصمد لها إلا الواثقون الصادقون الذين لا يتخلون عن دعوة الله، ولو

¹ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير (د.م: دار الفكر العربي، د.ت) 8 / 4022.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 8 / 4023.

ظنوا أن النصر لا يجيئهم في هذه الحياة، إن الدعوة إلى الله ليست تجارة قصيرة الأجل إما أن تربح ربحاً معيناً محدداً في هذه الأرض، وإما أن يتخلى عنها أصحابها إلى تجارة أخرى أقرب ربحاً وأيسر حصيداً... يجب أن يدرك الأفراد أن الدعوة إلى الله تتطلب تضحيات كبيرة، وأن الانضمام إلى هذه الدعوة في مواجهة التحديات الجاهلية يتطلب أيضاً تكاليف عديدة، كما ينبغي أن يكون واضحاً أن عدد الأفراد المخلصين لهذه الدعوة يبقى غالباً محدوداً جداً¹.

لذلك كان النبي ﷺ يكثر دائماً من قول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»².

فسؤال الله تعالى الثبات هو من صميم السير وفق المنهج الصحيح، ووفق ما يريد الله تعالى من عباده، حتى تكون حياتهم راسخة على الحق وعلى الصراط المستقيم.

ثانياً: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: أرسل الله تعالى رسله وأنبيائه بالهدى والنور المبين، وأنزل الله مع كل رسول كتاباً ومنهاجاً يدعو في إلى الله تعالى، وذلك على مر العصور والدهور، فأمن بدعوتهم ورسالتهم أناس كثر، ودخلوا في دينهم؛ ولكن قسم من الناس تنكّر لمنهج الأنبياء ولدعوتهم، فأبى إلا الاستكبار والعناد وعدم الخضوع لما جاء به الأنبياء من عند الله تعالى، بل وأخذوا يتصدون لدعوة الأنبياء والرسول بالكذب والاستهزاء، بل حتى في شن العداوة والتخريب والقتل، فها هم بنو إسرائيل يتحدث الله عنهم فيقول جل شأنه: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا

كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ [المائدة: 70] أي: "لقد أوضح الله

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن (بيروت: دار الشروق، 1412 هـ) 4/ 2036.

² أخرجه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن 4/ 448 حديث رقم 2140، قال عنه الإمام الترمذي (حديث حسن).

تعالى هذه القاعدة العامة، التي تفيد بأن الأفراد كلما جاءهم رسول يحمل رسالة تخالف رغباتهم، حتى وإن كانت مصاحبة لأمر تتوافق مع ميولهم، فإن ردود أفعالهم تتجلى في أحد أمرين: إما التكذيب الذي ينطوي على الإعراض والعصيان، أو استخدام العنف من خلال القتل وسفك الدماء"¹.

فلقد أخذ الله تعالى العهود والمواثيق من بني إسرائيل، بعدم التعرض لهم وعلى أتباع الأنبياء، وسلك طريقهم؛ لكنهم أبوا إلا إعراضاً ونفورا، وأخذوا يقتلون الأنبياء بغير حق؛ لأنهم يسرون خلف أهوائهم ونزواتهم؛ ولكن الله أردف بعد هذه الآية مباشرة بقوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة:

71] يعني: "الفتنة الاختبار بشدائد الأمور على ما فعلوه من المعاصي، كنسب الأئم القوية عليهم بالقتل والتخريب؛ أي: وظن بنو إسرائيل ظنا قويا تمكن من نفوسهم، وأيقنوا أنه لا تقع لهم فتنة من الله بسبب ما فعلوه من الفساد من قتل الأنبياء وتكذيبهم، أو حسبوا أن لا يوجد بهم بلاء وعذاب من الله بقتل الأنبياء وتكذيبهم؛ لأنهم كانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه ويعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم، يجب عليهم تكذيبه وقاتله؛ لأنهم اعتقدوا أن النسخ ممتنع على شرع موسى، وكانوا يعتقدون أن نبوة أسلافهم تدفع عنهما العقاب الذي يستحقونه بسبب ذلك القتل والتكذيب"².

فحسبوا أن لا يفتنوا بالعذاب، ولا يصيبهم مكروه جراء ما فعلوا بأنبياء الله عز وجل؛ ولكن

جرت سنة الله تعالى في النيل لكل من تناول وتعدى على أنبيائه ورسله؛ لأنهم صفوة الخلق، وأمناء

الرسالة الخالدة، وهم خلفاء عن الله تعالى في أرضه، فمن تجرأ عليهم أذاه الله سوء العذاب والمنقلب،

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 96] من الكيد والقتل للأنبياء "إن اتباع الهوى قد أعمى هؤلاء

الأشخاص وأدى بهم إلى عدم رؤية ما جاء به من نور وهداية، كما أنهم لا يدركون الصفات والنعمات التي

¹ محمد رشيد بن علي رضا الحسيني، تفسير المنار (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م) 6/ 398.

² محمد الأمين المهري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 7/ 401.

أشار إليها الأنبياء في بشاراتهم، بالإضافة إلى ذلك، فإنهم لا يسمعون ما يُتلى عليهم من الآيات وما تحويه من حجج وبراهين، وسيقوم الله تعالى بمعاقتهم على ذلك بنفس القدر الذي عاقبهم به على تصرفاتهم السابقة"¹.

فإن الله تعالى عالم بهم وبجأهم، وبما يفعلوه من قتل وتخريب وسفك للدماء وبيقى "تُعتبر اليهود أعداء لله وللإنسانية، حيث نقضوا العهود والمواثيق التي أبرمت معهم، وقد قابلوا الرسل بأسلوبين رئيسيين: إما بالتكذيب والصد والإعراض، أو من خلال ارتكاب جرائم القتل، فقد كذبوا بعبسى عليه السلام وبغيره من الأنبياء، كما قاموا بقتل زكريا ويحيى وغيرهم من الأنبياء.

اعتقد هؤلاء الذين وُفِّعَ عليهم الميثاق أنه لن يُختبروا من قبل الله عز وجل من خلال الابتلاءات والشدائد، متأثرين بهذا الاعتقاد بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18] لقد اغتر هؤلاء بفترة الإمهال الطويلة، مما أدى بهم إلى الانحراف عن الهدى ورفض الاستماع إلى الحق، مما ساهم في تجاهلهم للحقائق"².

هذا عهدهم ومسلكتهم مع الأنبياء الذين أرسلهم تعالى لبني إسرائيل على مر العصور، فكلما جاءهم رسول كذبوه، واعتدوا عليه ورفضوا دعوته؛ حتى أنهم رفضوا دعوة النبي ﷺ، مثل رفضهم للرسل والأنبياء من قبل، ولم يصغوا إلى ما جاء به النبي ﷺ.

والخلاصة في منهج اليهود وبني إسرائيل، أنهم أناس بهت، لا إيمان لديهم ولا عهود ولا مواثيق مهما بدى منهم من خير "يتأرجح اليهود بين التوبة والعصيان، وبين فرص الإنقاذ والتعرض للدمار، حيث يلاحظ أن معظمهم يميل إلى الفسق بينما يظل القليل منهم ملتزمًا بالطاعة، لا يوجد في التاريخ

¹ محمد رشيد رضا، تفسير المنار 6/ 399.

² الزحيلي، التفسير المنير 6/ 268.

شعب يتميز بالتعقيد والمشكلات مثلهم، مما يجعلهم عرضة للاضطراب والقلق المستمر، لذلك، يعيشون في حالة من الخوف والحذر، مما يحول دون شعورهم بالاستقرار والاطمئنان على مر الزمن، ويتجلى هذا الواقع بشكل واضح في حالة فلسطين، على الرغم من إقامة دولتهم هناك¹.

ولقد سار الكفار مسلك اليهود في الصد عن سبيل الله وعن دعوة الرسل والأنبياء، فبعد أن طلبوا أن يكون لهم رسول أو نبي يتبعوه ويسروا خلف منهجه؛ لكنهم جحدوا ونفروا عن هذه الدعوة، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: 42] أي: " أقسم الكافرون بالله أقصى ما لديهم من جهد لتأكيد يمينهم بأنهم إذا جاءهم رسول يندبرهم، فإنهم سيكونون أكثر هداية من بعض الأمم التي كذبت برسالتها ومع ذلك، عندما جاءهم رسول من بينهم يحمل رسالة الإنذار، لم يحدث إنذاره ونصائحه إلا نفورًا متزايدًا عن الحق"².

فهؤلاء يتبعون أهوائهم بغير علم، ويريدون التسلط على المال والجاه، حتى لا ينازعهم فيه أحد، فاتباعهم للأنبياء والرسل، يجعلهم كآحاد الناس، لا فرق بينهم وبين الوجهاء، قال الله تعالى فيهم: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: 13، 14] أي: "كيف يمكنهم أن يتذكروا فيعودوا إلى ربهم ويسلموا له، في حين أن رسولاً مبيناً للحق قد جاءهم، حيث عرفوه كرسول صادق حقاً، إلا أنهم أعرضوا عنه وعما جاء به، فقد اعتبروا أنه مجرد معلم يُعلِّمه آخرون، ولم يروه رسولاً، بل وصفوه بالمجنون، لذا، فإن إمكانية توبتهم وعودتهم إلى التذكر تبدو مستبعدة للغاية"³.

¹ الزحيلي، التفسير المنير 6/ 269.

² لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص 650.

³ جابر بن موسى الجزائري، أيسر التفاسير (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 2003م) 5/ 9.

فاتهامهم بالجنون للرسول، هو طريق لعدم اتباعهم، والتكبر عن قبول الحق، وما قصة سيدنا نوح عن تكذيب قومه ببعيد، فسيدنا نوح عليه السلام، ردوا دعوته وعادوه، على الرغم من المدة الطويلة التي مكث فيها معهم يدعوهم إلى الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ [الفرقان: 37] أي: "وبالمثل، تعاملنا مع قوم نوح عندما كذبوا برسالتنا التي حملها النبي نوح عليه السلام، فقد قضى فيهم تسعمائة وخمسين عامًا يدعوهم إلى الله ويحذرهم من عقابه، لكنهم استمروا في رفض دعوته ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ فقمنا بإغراقهم جميعًا، ولم ينبج منهم أحد سوى الذين كانوا على متن السفينة، وجعلناهم عبرة وعظة للناس كما قال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً.....﴾ [الحاقة: 11، 12] أي: أبقينا لكم"¹.

فلشدة جحودهم ومكرهم، لم يؤمن بدعوة سيدنا نوح عليه السلام إلا القليل من قومه، على الرغم من كثرتهم، وعلى الفترة التي مكث فيها بالدعوة، وهنا لفظة لطيفة في قوله تعالى عن سيدنا نوح: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: 37] أي: "لم يكذب هؤلاء إلا رسولًا واحدًا، وهو نوح، مما يُشير إلى أنه من يكذب برسول واحد فقد كذب بجميع الرسل، إذ لا يُعتبر هناك فرق بين رسول وآخر، حيث يدعو جميعهم إلى توحيد الله ورفض الأصنام والأوثان، ثم يُشير النص إلى مصير المكذبين فقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: 37] أي: وأعدنا لكل من كفر بالله ولم يؤمن برسوله عذابًا أليمًا في الآخرة"².

وهنا تنبيه لطيف كذلك في حق من كذب بدعوة النبي ﷺ من كفار قريش فإن في ذلك "أشير إلى أن قريشًا ستواجه عذابًا في الدنيا والآخرة مشابهاً لما حل بالمكذبين السابقين إذا لم يتراجعوا عن

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 16 / 19.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 17 / 19.

ضلالهم" ¹.

فهذه نماذج من دعوة الأنبياء في أقوامهم، وكيف كانوا يصدون عن دعوتهم، وعن اتباعهم وسلك طريقهم، وتوعد الله تعالى بالهلاك والدمار، لكل من تسول له نفسه بالاعتداء على الأنبياء والرسل فالله تعالى قد " طبقت عليهم السنة الثابتة التي تتعلق بتدمير وإهلاك المكذبين السابقين الذين أنكروا الأنبياء وتآمروا ضدهم، كما حدث لقريش في معركة بدر وغيرها من المواقف، وقد تجلّى وعد الله في ذلك: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، وهذا وعيد شديد لهم بالدمار إن لم يتركوا الكفر والعناد" ².

ومهما وقف أعداء الله وأعداء أنبياء الله تعالى في الصد عن منهج الله وعن دعوة الأنبياء، فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، والله تعالى ينصر رسله وأنبيائه على الرغم من شدة العداوة التي يلاقيها الرسل والأنبياء، فهذه سنة الله في خلقه، وذلك حتى تصل رسالة الله تعالى لكل البشر، وليكونوا من أهل الإسلام الخالد الذي لا يأتيه الباطل مهما تحفّل الأعداء ضده، ومهما تكالبت عليه الأمم، فالله تعالى ناصر رسله ومعينهم على ذلك.

ثالثاً: فتنة الشبهات: جعل الله تعالى تعاليم الإسلام واضحة جلية، وجعلها الله تعالى صالحة لكل زمان، وتوجد في شريعتنا ثوابت ومتغيرات، أما الثوابت فهي الأساس الذي يقوم عليه الدين مثل الصلاة والحج والزكاة وغيرها، وهناك متغيرات، تتغير على حسب الظروف والبلدان والأزمان، وهي كثيرة، ولكن يأتي على الناس في بعض الأزمنة أمور تشكل عليهم، ويشكل فهمها عند الكثير، من هذا الأمور هي الشبهات، فهناك شبهات تتعلق بالمال، ومنها تتعلق بالأحكام الشرعية.

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 17 / 19.

² الزحيلي، التفسير المنير 9 / 322، بتصرف بسيط.

والشبهات أصل كل بلاء وفتنة، وهي أصل من ضلال العبد وغوايته، وشقائه في الدنيا والآخرة، لذلك نهى الشرع عن تتبع الشبهات، والتعرض لها، دون بصيرة وروية وعلم، ودل على أسبابها، وآثارها، وسبل النجاة منها؛ فإن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة¹.

والقرآن الكريم نزل بكلام يتسع لمعاني وفهوم يدركها البعض ويشكل فهما عند البعض الآخر، والقرآن الكريم فيه آيات محكمات ومتشابهات قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7] ومعنى قول الله تعالى: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ أي: "واضحات الدلالة، أو محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال قطعية الدلالة على المعنى المراد"²، ومعنى قول الله تعالى: ﴿متشابهات﴾ أي: "م احتملات لمعان متشابهة لا يتضح مقصودها؛ لإجمال أو مخالفة ظاهرة إلا بنظر دقيق وتأمل أنيق"³.

وبعض الناس يترك الأمور المحكمة ويتبع الأمور المتشابهات، بقصد التضليل قال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: 7] أي: "يمثل الضلال انحرافاً عن الحق نحو الباطل، حيث يتبع الأفراد أهواءهم، مما يدفعهم إلى التمسك بالمتشابهات التي يمكنهم تحريفها لتحقيق مقاصدهم الفاسدة، وفي المقابل يهملون المحكمات التي لا تحتمل اللبس، بهدف إيقاع الناس في الفتنة الدينية

¹ ينظر: وليد بن عبد المحسن العمري، المقولات التي أبطلها القرآن ومنهجها في إبطالها _دراسة تأصيلية موضوعية_ (الرياض: كرسى القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، 1430هـ) 22_23، الذهبي، سير أعلام النبلاء 6/ 641.

² محمد الأمين الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 4/ 179.

³ محمد الأمين الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 4/ 179.

وإضلال أتباعهم"¹.

"وأولئك لأنهم لا يطلبون الحق يتبعون المتشابه يتقصّونه ويتعرفون مواضع الريب، ليشيروا الشبهات حول الحق، ويشككون الناس فيه، ولذا قال سبحانه: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي طلبًا لفتنة الناس عن دينهم وخدعهم، وإثارة الريب في قلوبهم، بأوهام يشيرونها حول المتشابه الذي جاء في القرآن"².

وهؤلاء الذي يطلبون المتشابه وما فيه من ريب غايتهم كما قال الله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ "فهم قد ابتغوا التأويل بانبعاث من الهوى والرغبة في تضليل الناس وإثارة الشكوك حول حقائق الدين، فالرغبة في الفتنة هي المقصد الأول، والرغبة في التفسير أو معرفة المال جاءت تابعة إذ لا تتحقق الفتنة إلا بها"³.

والنبي ﷺ قد بين بأن بعض الناس يتبعون ما تشابه من القرآن ومن أحكام الإسلام وحذر منهم، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ تلا: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]، ثم قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّاهم الله، فاحذروهم»⁴.

وقد حدد لنا النبي ﷺ الطريق السليم، الذي لا غبار عليه في التعامل مع الآيات المتشابهة بالإيمان والتصديق لهذه الآيات، فعن عمرو بن شُعَيْب⁵ عن أبيه عن جده، قال: لقد جلستُ أنا وأخي

¹ الزحيلي، التفسير المنير 3/ 152.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 2/ 1112.

³ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 2/ 1112.

⁴ أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن، حديث رقم 2665، 4/ 2053.

⁵ عمرو بن شُعَيْب بن مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو بن العاص، أَبُو إِبراهيم السَّهْمِي الطائفي، وكانه بعضهم أبا عَبْدِ اللَّهِ، الإمام، المَخْدِث أحد علماء زمانه، كان ثقةً صدوقًا، كثير العلم، حسن الحديث، فقيه أهل الطائف، ومُحَدِّثُهُم توفي سنة (120 هـ). شمس الدين بن قَائِمَاز الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عَوَّاد معروف (د.م : دار الغرب الإسلامي، 2003 م) 3/ 288، الذهبي، سير أعلام النبلاء 5/ 165.

مجلساً ما أحبُّ أن لي به حُمْرُ النَّعَمِ، أقبلتُ أنا وأخي، وإذا مَشِيخَةٌ من صحابة رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حَجْرَةً، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مُغَضَّباً، قد احمر وجهه، يرميهم بالثُّراب، ويقول: «مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكُتُب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يُكَدِّبُ بعضه بعضاً، بل يُصَدِّقُ بعضه بعضاً، في عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»¹.

وإزالة للإشكال قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: 23] " المعنى هنا هو أن الأمور تتشابه في الجمال والصدق والهداية، بالإضافة إلى خلوها من التناقض والاختلاف"².

ويجب على المسلم أن يتبع الأمور التي لا لبس فيها ولا شبه؛ لكي يسلم لدينه ومنهجه وعمله من التناقض في هذه الحياة قال النبي ﷺ: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس.....»³.

ويوجد أسباب لإثارة الشبهات، منها العصبية والنصرة القومية الطائفية بين الشعوب، كذلك عصبية المذاهب والآراء، والتشدد في الدين، والقول بالرأي في القرآن وفي أحكامه، إن العديد من الأشخاص الذين يُعتمد عليهم في الفتوى واستنباط الأحكام الدينية يفتقرون إلى القدرة على فهم السنة النبوية والتفقه في معاني الكتاب، وعندما تواجههم حادثة جديدة فإنهم إذا لم يتمكنوا من استنباط

¹ أخرجه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند أحمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر (القاهرة: دار الحديث، 1995م) حديث رقم، 6702، 6/ 251_252، إسناده صحيح.

² الزحيلي، التفسير المنير 3/ 152.

³ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه 1/ 20، حديث رقم 52.

حكمها من الكتاب أو السنة، يُصدرون آراءً شخصية في تلك المسألة، وقد يكون مصادماً للدليل النقلي، أو لفتاوى الصحابة والتابعين إلى أن آراء الناس تختلف باختلاف الزمان والمكان وشؤون المعيشة وأحوال الاجتماع¹.

وهذا لاشك أنه يثير كوامن الشبهة، وإلقاء ظلاله على الناس في سوء فهم ديننا، وإضعافه، وإلقاء الشبهة بدون معرفة لعواقب ومنقلب هذا التفلت من الانصياع لمنهج قويم متزن. ومن أسباب إثارة الشبهات هي "تشير دسائس أعداء هذا الدين وكيدهم له إلى وضع العديد من الأحاديث التي انتشرت بين بعض رجال الدين، حيث اعتمدت كمراجع لاستنباط بعض الأحكام، رغم براءة الدين منها، والسؤال هنا هو كيف يمكن أن تتفق أعداد كبيرة من الشعوب المختلفة عبر العصور على هذه الأحاديث المرفوضة"².

فنجد أن "الشبهات وما أدراك ما الشبهات، قاصمة الظهر، وحالقة الدين، والسبب في كل بلاء مهين، وسبب كل خلاف وزيف وضلال وكفر ونفاق وشك، نعوذ بالله من شر الفتن ما ظهر منها وما بطن"³.

وأعداء الإسلام اليوم لا ينقطعون عن إثارة الشبهات، وإثارة النعرات التي من شأنها أن تفرق المسلمين، وتفرق كلمتهم، بشتى الوسائل والطرق، فغايتهم هو طمس معالم الإسلام وتعاليمه فقد "سعت فئة من الأحرار والرؤساء إلى إيقاع الضلال بين المسلمين من خلال نشر الشبهات ومحاوله جذب بعض المسلمين إلى دينهم، ومع ذلك، فإن محاولاتهم لن تؤتي ثمارها، حيث لا يضلون سوى أنفسهم، ويعود

¹ ينظر، محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 9/ 177.

² محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 9/ 177.

³ محمد عبد الرزاق عبد الحميد عبد اللطيف، سبل علاج الشباب من الفتن، وهو بحث نشر في مجلة العلوم الإسلامية وهي مجلة علمية فصلية محكمة، العدد 3، ص 20.

وبال إضلال عليهم فقط"¹.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ...﴾ [النساء:

168] فيكون "الظلم هنا ظلم النفس وظلم الغير، وأولئك الذين كفروا ولجوا في كفرهم، واسترسلوا في

جحودهم قد ظلموا أنفسهم بأن أبعدوها عن طريق الهداية وطمسوا نور الحق فيها وارتكبوا من المآثم ما

تردوا به في مهاوي الرذيلة، وظلموا غيرهم بأن أثاروا الشبهات ليضلّوهم، وأوقعوا بهم الأذى ليفتنوهم"².

وقسم من الناس من تجده من المسلمين؛ ولكنه تلوث فكره بتعاليم الغرب، فصار نارا وشرار على

أهل الاسلام، وهؤلاء يتهمون الإسلام بالرجعية والتخلف، وينعتون تعاليم الإسلام بشتى الأوصاف

المخجلة، ويبيّنون للناس بأن الدين هو تاريخ وانتهى زمنه ولا يصلح لزماننا، فهؤلاء قد ابتعدوا عن المنهج

الحق "يعمل هؤلاء على إفساد الأرض من خلال ارتكاب المعاصي، وإثارة الفتن بين الناس، وصدّهم عن

الإيمان، بالإضافة إلى التضليل في العقائد، كما يسعون إلى إثارة الشبهات حول القرآن بهدف الحفاظ

على نفوذهم ومراكزهم"³.

وهم يدعون أنهم أصحاب الانفتاح والتنوير والحرية، وهم قد حادوا عن منهج الله تعالى "وهم في

النهاية الخاسرون في الدنيا بافتضاحهم وتخبّطهم وخزيهم ... فلا سعادة لهم، لأنهم استبدلوا الضلالة

بالهدى ... والفساد بالصالح، والعقاب بالثواب"⁴.

وهم بذلك يتفوقون مع أعداء الإسلام، في بث الفرقة والتشكيك بديننا ومنهج الإسلام، بل

وينفقون الأموال الطائلة في سبيل صد الشباب والمسلمين، عن طريق الهداية وعن تعاليم ديننا الحنيف،

¹ الزحيلي، التفسير المنير 3/ 260.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 4/ 1971.

³ الزحيلي، التفسير المنير 1/ 112 _ 113.

⁴ الزحيلي، التفسير المنير 1/ 113.

فهم يخططون ويكيدون لأهل الإسلام بكل الوسائل والطرق "وإنك الآن لترى أهل أوربا يرسلون الجيوش، والمبشرين من القساوسة، التي تفتح المدارس في بلاد الشرق وغيرها، ويقولون: للمسلمين إن دينهم محشو بالخرافات، والأكاذيب، ويشككون فيه من تعلموا في تلك المدارس، ويصدق بعض غوغائهم تلك الأباطيل، حتى لقد قيل: إن هذا الدين لا يعيش في ظل العلم، ولا يقبل الأفكار والآراء، وهو والعلم عدوان لا يجتمعان"¹.

فهؤلاء خطرهم أشد من العدو؛ لأنهم من أبناء جلدتنا، ويتكلمون بلسان أعدائنا، وتراهم بين الفينة والأخرى، ينشرون شبهاتهم وأباطيلهم على الناس، فهؤلاء قد اتفقوا مع الأعداء وهم "يعمل هؤلاء على تشويه كل حركة ناجحة على وجه الأرض من خلال وسائل الدعاية والإعلام التي يمتلكونها، حيث يساندون أهل الباطل في جهودهم لتشويه وتخطيط هذه الحركات، ومع ذلك، قد يتجنبون في بعض الأحيان الثناء العلني على الباطل وأهله، وذلك بسبب مكرهم وحنكتهم في استخدام الحيل، بالإضافة إلى الظروف المعاصرة، بدلاً من ذلك يكتفون بتشويه الحق وأصحابه، مما يساهم في تعزيز الباطل وهدم الحق، حيث إن الثناء المكشوف عليهم قد يكشف نواياهم"².

كان الأعداء قديماً يغيرون على المسلمين بالعدة والقتال والجيوش من أجل صدهم عن الدين الصحيح، ومن أجل طمس هوية الإسلام وأهله، ولكننا نرى اليوم أن "أعداء الجماعة المسلمة لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب، ولم يكونوا يؤلبون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب، إنما كانوا يحاربونها أولاً في عقيدتها، كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك، ونشر الشبهات وتدبير المناورات، كانوا يعمدون أولاً إلى عقيدتها الإيمانية التي منها انبثق كيانها، ومنها قام وجودها، فيعملون فيها

¹ محمد الأمين المرعي الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 18 / 373.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 2 / 681.

معاول الهدم والتوهين"¹.

وأعداء الحق "كانوا يدركون كما يدركون اليوم تماما أن هذه الأمة لا تؤتي إلا من هذا المدخل ولا تن إلا إذا وهنت عقيدتها ولا تهزم إلا إذا هزمت روحها ولا يبلغ أعداؤها منها شيئا وهي ممسكة بعروة الإيمان، مرتكنة إلى ركنه، سائرة على نهجه، حاملة لرايته، ممثلة لحزبه، منتسبة إليه، معتزة بهذا النسب وحده ... إن الصراع القائم بين الأمة المسلمة وأعدائها يعد، في جوهره، صراعًا حول العقيدة، حتى عندما يسعى الأعداء إلى إضعاف الأمة أو السيطرة عليها، تظل العقيدة هي محور هذا النزاع والمحصولات والاقتصاد والخامات، فإنهم يحاولون أولاً أن يغلبوها على العقيدة، لأنهم يعلمون بالتجارب الطويلة أنهم لا يبلغون مما يريدون شيئاً والأمة المسلمة مستمسكة بعقيدتها، ملتزمة بمنهجها، مدركة لكيد أعدائها"².

وهذا التحشيد والعداء فيه اختبار وامتحان وفتنة للمؤمنين، إن الله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير الذي يحيط علمه بكل شيء، وقد أوضح أن الاختبار الذي يواجهه الناس عظيم، حيث لا يثبت في هذا الاختبار من تنزعزع إيمانه أمام الشبهات وتطيح به الشكوك، والمفسدون دائماً يلغون بالشبهات على الحق؛ ليزلزلوا عقائد المؤمنين³.

فلا بد للمسلم من أن يكون راسخاً ثابتاً أمام الفتن والزعازع، حتى ينجو من المهالك ومن شر المكائد فإن "المنهاج المستقيم الذي يدعو إليه الإسلام هو منهاج يتبعه أصحاب العقول الراجحة والمستقيمة، الذين يظلون ثابتين في تفكيرهم وإيمانهم، ولا تتلاعب بإيمانهم الأهواء، إذ إن إيمانهم عميق الجذور، وقد وصفهم الله العليم الحكيم بأنهم "الراسخون في العلم"، حيث يشير مصطلح "الرسوخ" إلى

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن 1/ 354.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 1/ 354.

³ ينظر: محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 18/ 448، محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 1/ 443.

الثبات والتمكن، فالراسخ في العلم هو المؤمن الذي يتمتع بإيمان قوي وثابت، والذي يستطيع إزالة أي

شبهة تواجهه بفضل بصيرته النيرة، إذ إن الشبهة تشبه الظلمة التي يمكن إزالتها بواسطة الضوء

الساطع"¹.

فكل الشبهات والشكوك التي ينشرها ويبيها أعداء الإسلام، قديما وحديثا، قد رد عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، فتميزت طريقة القرآن في الرد على المخالفين، بأنها: "أقرب الطرق إلى العقل، وأسهلها تناولاً، وأقلها تكلفاً، وأعظمها غناء ونفعاً، وأجلها ثمرة وفائدة؛ فحججه سبحانه التي بينها في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية، ظاهرة، واضحة قليلة المقدمات، سهلة الفهم، قريبة التناول، قاطعة للشكوك والشبه ملزمة للمعاند والجاحد؛ ولهذا كانت المعارف التي استنبطت منها في القلوب أوسع، ولعموم الخلق أنفع"².

ولابد من أن يعلم أهل الإيمان، أن القرآن هو الحق المبين وكذلك "ليعلم الذين أوتوا العلم، وهدوا إلى الصراط المستقيم، وهم المؤمنون القانتون أنه الكتاب المحكم الآيات، البعيد عن الشبهات، هو الحق من ربك، لا شك فيه تنزيل من حكيم حميد، فيؤمنوا به إيماناً صادقاً لا شبهة معه، فتخبت له قلوبهم، وتخشع وتسكن مخلصه مطمئنة، وإن الله لهادي الذين آمنوا بهذا القرآن إلى صراط مستقيم، وسيجازيهم على ذلك أحسن الجزاء"³.

قال الله تعالى: ﴿وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلْنَاهُ﴾ أي: "أطلق على القرآن النور بطريق الاستعارة، فإن القرآن يزيل

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 2/ 1114.

² محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله (الرياض : دار العاصمة، 1408هـ) 2/ 460. وينظر: وليد بن عبد المحسن العمري، المقولات التي أبطلها القرآن ومنهج في إبطالها (دراسة تأصيلية موضوعية) ص 67.

³ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح (بيروت: دار الجيل الجديد، 1413 هـ) 2/ 599.

الشبهات، كما يزيل النور الظلمات" ¹.

وقد تعرض القرآن كثيرا في آياته لإبطال شبه الكافرين، وأعداء الدين فعلى سبيل المثال "أنهم قالوا: إن ما جاء به إنما هو تعليم من البشر، من بعض أهل الكتاب، لا من الله، فأبطل هذه الشبهات بأنه كلام عربي مبين، وما نسبتهم إليه تعليمه أعجمي، فكيف يعلمه الكلام العربي الفصيح، الذي أعجز العرب قاطبة أن يأتوا بمثله" ².

والله تعالى قد هيا وجعل في طبيعة البشر "جهز الله الناس للاستعداد للخير والشر، ومنحهم العقل ليستخدموه في الهداية، كما أرسل إليهم الرسل لتعزيز هذا الاستعداد، ووضع شريعة لتكون معيارا ثابتا لما يتقبلونه وما يرفضونه، وذلك لضمان عدم تركهم يعتمدون على عقولهم فقط" ³.

رابعاً: فتنة الاختلاف والتفرق: لقد بعث الله تعالى الرسل والأنبياء عليهم السلام لتوحيد الله تعالى وتوحيد أتباعهم، على طريق مستقيم لا عوج فيه، ولا تفرق ولا خلاف، ونهى أتباع الأنبياء عن كل ما يورث النزاع والشقاق بين الناس درأ للفتنة وشق الصف، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153] بمعنى "أن هذا صراطي مستقيما لا عوج فيه، فعليكم أن تتبعوه إن كنتم تؤثرون الاستقامة على الاعوجاج، وترجعون الهدى على الضلال" ⁴.

وُحُتِمت الرسائل برسالة النبي ﷺ، وبمنهج الإسلام القويم الذي يدعو إلى اللحمة والوحدة فقد "أوجب الله تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ والرجوع إليهما عند الاختلاف، لقد أمرنا بالاجتماع حول الاعتصام بالكتاب والسنة، سواء من حيث الاعتقاد أو العمل، إذ يمثل ذلك وسيلة

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير (القاهرة: دار الصابوني، 1997 م) 3/ 372.

² محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 15/ 374.

³ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 8/ 145.

⁴ محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 9/ 141.

لتحقيق الاتفاق في الكلمة وتنظيم الشمل، مما يسهم في تحقيق مصالح الدنيا والدين، ويضمن السلامة من الاختلاف¹.

"لقد نهي القرآن الكريم المؤمنين عن التفرق والاختلاف بأسلوب بلاغي دقيق وإشارات لطيفة، موضعاً لهم الفوائد العظيمة المرتبطة بالاعتصام بحبل الله وعدم الانقسام، كما بشر الله تعالى المداومين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنهم هم الفائزون والمفلحون"².

وقد أمرنا الله تعالى أن لا نكون مثل اليهود والنصارى، الذين تفرقوا واختلّفوا فقال ربنا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: 105] أي: "ينبغي عليكم أيها المؤمنون أن لا تكونوا كاليهود والنصارى وغيرهم ممن تفرقوا إلى شيع وأحزاب، حيث أصبح كل حزب منهم فرحاً بما لديه، وقد أدى ذلك إلى اختلافات فظيعة بينهم، ترتبت عليها كفر بعضهم ببعض، وقاتل بعضهم البعض، مع ادعاء كل فريق منهم أنه على الحق بينما يعتبر الآخر على الباطل"³.

لذلك كان منهج الإسلام وهدى سيد الأنام سيدنا محمد ﷺ، مميزاً بين الطوائف والشرائع الأخرى من ناحية تماسكه ودوافعه، ومن أجل الوحدة ونبذ الخلاف وهو "مفرق الطريق بين الرسول ﷺ ودينه وشريعته ومنهجه كله وبين سائر الملل والنحل، سواء من المشركين الذين كانت تمزقهم أهواء الجاهلية وتقاليدها وعاداتها واثارتها، شيعاً وفرقاً وقبائل وعشائر وبطونا، أو من اليهود والنصارى ممن قسمتهم الخلافات المذهبية مللاً ونحلاً ومعسكرات ودولاً، أو من غيرهم مما كان وما سيكون من مذاهب ونظريات وتصورات ومعتقدات وأوضاع وأنظمة إلى يوم الدين"⁴. مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا

¹ الزحيلي، التفسير المنير 4/ 30.

² محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي (القاهرة: دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م) 2/ 205_206.

³ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 2/ 204_205.

⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن 3/ 1239.

دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ [الأنعام: 159].

من هذا المنطلق يجب على المسلم أن يعلم أن فتنة الاختلاف والنزاع و" يعتبر التفرق في الدين وسياسة الأمة العامة أمراً محرماً ومنكراً جسيماً، يهدد المصلحة العامة ويقوض وجود الدولة المسلمة والأمة المؤمنة، وقد اعتبر القرآن الكريم المتفرقين في الدين من الكفار والمشركين، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 32] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159] ومن خرج عن حدود الدين ومقاصده كان ظالماً ... ومن ترك الاعتصام بالقرآن والإسلام ورد الأمر المتنازع فيه إلى غير الكتاب والسنة كان أيضاً من الكافرين¹.

" يُعتبر هذا هو الصراط المستقيم، الذي دعت إليه الرسل من خلال عبادة الله وحده والتمسك بشريعة الرسول الأخير، أما ما يتعارض مع ذلك فيعد من الضلالات والجهالات والآراء والأهواء، حيث إن الرسل منزّهون عن ذلك"².

من هنا نعلم أن الهدى والفلاح باتباع طريق الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتجنب الخوض في لجج الفتن، التي من شأنها أن تفرق الأمة، وتضعف كيائها، فيكمن منشأ الخلاف في تعدد المناهج التي يتبعها المسلمون، ولو كانوا يتبعون منهجاً واحداً لما اختلفوا " لا يحدث الاختلاف في الأمة إلا عندما تتعدد مناهجها، حيث يكون هذا التعدد هو السبب وراء الخلاف، أما إذا انطلقت جميع المكونات من منهج واحد، فلن يحدث أي اختلاف بينهم.... فالاختلاف ناشئ من اختلاف المنهج، وكان ينبغي أن يكون واضح المنهج واحداً، وقد جاء النبي ﷺ خاتماً للرسالات، وجاءت شريعته جامعة لمزايا الشرائع

¹ الزحيلي، التفسير المنير 4/ 36، وينظر: جابر بن موسى الجزائري، أيسر التفاسير 3/ 524.

² محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 5/ 229.

السابقة، بل وتزيد عليها المزايا التي تتطلبها العصور التي تلي بعثته¹.

ولقد بين النبي ﷺ بشأن فتنة الاختلاف وافتراق الأمم فقال عليه الصلاة والسلام: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»².

وأرشد النبي ﷺ أصحابه إلى أمر عملي لأجل التنبيه إلى عدم التفرق والانجرار وراء فتنة الخلاف في المنهج كما تفرقت الأمم قبلنا "فعن عبد الله رضي الله عنه، قال خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم خط عن يمينه، وعن شماله خطوطاً، ثم قال: "هذا سبيل الله وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153]"³.

وفي واقعنا المعاصر نلمس الفرقة والخلافات بين الأمة، وصار التناحر هو السائد بين المجتمع والأفراد إلا ما رحم ربي وإن "مما يبعث الأسى في النفوس، ويدمي القلوب، وتذرف منه العيون، أن نرى الأمة الإسلامية قد تفرقت ... فدب الخلاف والتفرق بينها ولم يقتصر هذا التفرق والاختلاف على دولها وحكامها، وشعوبها عامة، بل للأسف أنه قد دب بين علمائها ودعاتها، وطلاب العلم منها، الذين هم قادة هذه الأمة وورثة نبينا عليه صلوات ربي وتسليماته ... وقد نتج عن هذا الواقع النكد التعيس في هذا العصر الذي شهد تفرق هذه الأمة بصورة لا مثيل لها في ماضيها وحاضرها، لفيف من الأقوام المتباغضة،

¹ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (د.م: مطابع أخبار اليوم 1997 م) 16/ 9614 _ 9642.

² أخرجه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي، ما جاء في افتراق هذه الأمة، 5/ 25، حديث رقم 2640، قال عن الإمام الترمذي «حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح».

³ أخرجه أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین للحاکم، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام بسم الله الرحمن الرحيم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990 م) حديث رقم 3241 ، 2/ 348، قال الإمام الحاكم (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

المتناحرة المتدابرة، فجنت الأمة الهوان، وتجرعت كأس الضعف والتمزق والخسران بما قدمت يداها وأصبحت مثلاً في التخلف والانحطاط، بعد أن كانت نبزاً يُستضاء به عبر غابر الأزمان¹.

واستشرت الخلافات على كل المستويات والأصعدة فشملت جميع نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسة وغيرها، وهذا مما لا شك يضعف كيان الأمة ويكسر شوكتها والله تعالى أمرنا بعدم التنازع فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

وقد تجرّ هذه التفرقة إلى ما لا يحمد عقباه من الدمار والضياع فليس "هناك في السياسة العامة أسوأ من تفرق الأمة وتمزق صفوفها وانقسامها فرقا وأحزاباً"².

ولقد حرص رسول الله ﷺ، على وحدة الصف ونشر الوحدة بين المسلمين، والتآخي بينهم ليسود الوئام والمحبة والتسامح فقد قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»³.

وديننا الإسلام لديه القدرة على "تعدّد الحلول المناسبة للمشاكل والأزمات والخلافات والزعامات ضرورة ملحة، حيث تساهم في معالجة التعددية التي أثرت سلباً على المسلمين وأضعفت روح الأخوة بينهم، والتي أشار الله إلى أهميتها في نصوصه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: 103]، ووالله، إذا عدنا إلى الالتزام بحبل الله الواحد وتمسكنا به دون أن ننجرّف وراء الأهواء، فسيكون بإمكاننا استعادة وحدتنا كأمة واحدة، كما كنا في السابق عندما سادت هذه الأمة العالم بأسره"⁴.

¹ حسين الحازمي، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة ص 174.

² الزحيلي، التفسير الوسيط 221/1.

³ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره 103 / 1 حديث رقم 481.

⁴ الشعراوي، تفسير الشعراوي 9642 / 16.

ونستطيع نبد الفرقة والاختلاف والشقاق بأن يعاد "ن تكوين المسلم وفقاً لمبادئ التربية السلفية الصالحة يُعدّ من أبرز السبل لتحقيق العزة الإسلامية المنشودة والانتصار المتوقع على الأعداء، وذلك يتطلب استكمال الوسائل اللازمة للقوة التي توازي قوى العدو، بالإضافة إلى التخطيط الاستراتيجي لبناء الأمة وتطبيق أسس النهضة والتقدم بشكل فعلي، يتسم بالحزم والإصرار والإخلاص"¹. فصرنا نعيش في تشعبات الفكر، وتحولت الآراء إلى جدال عقيم، وساد التناحر بين المسلمين بسبب وجهات النظر المختلفة، وعلى مستويات عدة، في الفكر والعقيدة وحتى الآراء الفقهية، ويرجع ذلك إلى قلة العلم، وعدم احتواء آراء المخالفين، ولم يقتصر هذا الأمر على عامة الناس فحسب، بل حتى طال طلاب العلم، وبعض من تصدر في تعليم العلم "كان من المتوقع أن تتوحد الأمة المؤمنة حول ذلك المنهج الشامل والجامع، الذي لا يمكن تعديله أو استدراكه من خلال ذلك، يمكن تحقيق وحدة الأمة، بحيث تصدر تكليفاتها عن إله واحد، مما يمنع وجود تأثيرات الأهواء أو السلطات الزمنية أو المصالح الدنيوية"².

فإذا ما تماسكنا ورفضنا الصفوف غلبنا أعداءنا، وصرنا جسدا واحدا وكذلك يسود الخير والمعروف الحب والألفة وبذلك يتحقق منهج الوسطية والخير والتكافل والفضيلة والحق والعدل، يتضح من ذلك أهمية تعزيز الوعي داخل الجماعة المسلمة بشأن خطر الفرقة والاختلاف، وضرورة تقدير النعمة الإلهية المتمثلة في الإيمان والوحدة، كما يجب أن تسهم هذه المبادئ في تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم، بحيث تركز على أسس التكافل والتراحم والتناصح، مع الالتزام بالأمانة والعدل والسماحة والمودة والإحسان³.

¹ الزحيلي، التفسير المنير 2/ 252.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي 16/ 9641_9642.

³ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن 1/ 444 وما بعدها.

المطلب الثاني: الفتن الدنيوية

أولاً: فتنة الأولاد: إن من نعم الله تعالى على العبد أن يهبه الأولاد، وهي نعمة كبيرة أنعمها الله تعالى على عباده، وربما يغفل عنها الإنسان، ولا يشعر بها إلا من فقدوها، وهم زينة الحياة " إِنَّ حُبَّ الْأَبْنَاءِ يُعْتَبَرُ فِطْرَةً إِنْسَانِيَّةً مُتَأَصِّلَةٌ فِي النَّفْسِ، حَيْثُ يُعْتَبَرُونَ ثَمَارَ الْقُلُوبِ وَقَرَّةَ الْأَعْيُنِ وَمَصْدَرُ سَعَادَةِ الْقُلُوبِ وَآمَالِهَا، فَقَدْ كَانَتْ أَمْنِيَّةُ الْحَصُولِ عَلَى الذَّرِيَّةِ مُشْتَرَكَةً بَيْنَ جَمِيعِ الْبَشَرِ، بِمَا فِي ذَلِكَ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا يَتَجَلَّى فِي دَعَاءِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100] وسيدنا زكريا يقول: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: 89] ¹.

فها هم الأنبياء أطهر الخلق يطلبون من الله تعالى أن يكون لهم ولدا؛ لأن " يعتبر الطفل تحسيدا حقيقيا من والديه، فهو نتاج مشاعرهما وأحاسيسهما، ويعكس حبهما الفطري الذي يغرس في قلوبهما ومن هنا، فإن هذا الحب يدفعهما إلى تقديم كل ما بوسعهما من تضحيات وموارد من أجل راحة الطفل وسعادته" ².

ومن شدة تعلق بعض الآباء بأبنائهم، فإن ذلك يدفعه إلى السير وفق طرق ملتوية؛ للحصول على ما يريدون، فيفتتن بهم وذلك لشدة " إن حرص الآباء على أبنائهم والسعي الدائم لتوفير أفضل الظروف لهم يعد أمرا طبيعيا، إلا أن نقص الإمكانيات قد يدفع الأب أحيانا إلى اتخاذ خيارات غير مشروعة لتحقيق ذلك" ³.

وقد عبر الله تعالى عن فتنة الأولاد فقال: ﴿أَتَمَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] أي: "بلاء ومحنة واختبار قد يترتب عليهم الوقوع في الآثام والشدائد، وكثيرا ما رأينا المال والأولاد يدفعان

¹ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 2/ 47.

² محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 820، و ينظر: السحيباني، الفتنة وموقف المسلم في ضوء القرآن ص 567.

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي 14/ 8970.

صاحبهما إلى فعل المهلكات ويحملان بعض الناس على الغرور الكاذب، وارتكاب الآثام والفضائع ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق: 6، 7] والله عنده أجر عظيم، فانظروا إليه ودعوا المال والولد فإنه لن ينفعكم يوم الحساب¹.

فالله تعالى يعلم أن الإنسان سيفتن بالأولاد، فنبههم على هذا الأمر، وأكد على ضرورة اتقاء شر هذه الفتنة؛ لأن "يُعتبر إنجاب الأبناء من أبرز ملامح الحياة الإنسانية، حيث يصبح الابن مصدراً للفرح والدعم العاطفي ومع ذلك، قد يحدث أن يصبح هذا الابن سبباً في انحراف الأب عن قيمه وأخلاقه، مما يؤدي إلى تصرفات غير صحيحة مثل الكذب والرشوة والسرقة في مثل هذه الحالة، يمكن أن يوجه الابن والده نحو مسارات سلبية، مما يجعل من الضروري أن يُبعد الله مثل هذا الابن عن طريق والده، حتى لا يؤدي ذلك إلى طغيان الوالد أو انزلاقه في معصية"².

وقد جاء القرآن الكريم يوجه المؤمنين على سلوك الطريق الصحيح في الموازنة بفتنة الأولاد "وإن هذا القرآن يخاطب الكينونة البشرية، بما يعلم خالقها من تركيبها الخفي، وبما يطلع منها على الظاهر والباطن، وعلى المنحنيات والدروب والمسالك، وهو سبحانه يعلم مواطن الضعف في هذه الكينونة، ويعلم أن الحرص على الأموال وعلى الأولاد من أعمق مواطن الضعف فيها ... ومن هنا ينبعها إلى حقيقة هبة الأموال والأولاد، لقد وهبها الله للناس ليلوهم بها ويفتنهم فيها"³.

والأنسان مستعد إلى تحمل المخاطر في سبيل توفير ما يلزم لأولاده بل حتى " في إطار حرصه على أبنائه، قد يضحي الوالد براحة نفسه، وقد يسعى لجمع الأموال من مصادر مختلفة، سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، كما يمكن أن يقوم ببعض الأفعال التي لا يرغب في القيام بها من أجل

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 3/ 690.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي 14/ 8971.

³ سيد قطب، في ظلال القرآن 3/ 1498.

إرضائهم، وفي الوقت ذاته، قد يتجنب القيام بأمور يرغب في إنجازها، وذلك حرصاً على مصالحهم¹

فهو يحجر على نفسه ويضيق على راحة جسده، ويتعب في تحصيل ما يريده أولاده، بل ويدفعه إلى فعل المحرمات ليقدم لهم مبتغاهم فصدق الله إذ قال: ﴿أَمَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28]، ومن اللطائف اللغوية في التنبيه على فتنة الأولاد فقد جاء "يُظهر النص أن الأموال والأبناء يُعتبران من الفتن، ويتم استخدام أسلوب القصر لإبراز هذه الفكرة بقوة، مما يدل على أن وجودهما يحمل في طياته الكثير من الفتن، تتجلى هذه الفتن في التحديات والاختبارات التي قد يواجهها الفرد نتيجة لتعلقهم بالأموال والأبناء، مما يستدعي تحذيراً بالغاً من هذه الأمور، إذ يبدو أن الأموال والأبناء ليسا مجرد أسباب للفتنة، بل يشكلان الفتنة ذاتها من خلال تأثيرهما الكبير على سلوكيات الأفراد واختياراتهم"².

فجاء القصر على فتنة المال والأولاد؛ ليعلم أنهما فتنة في جميع أحوالهما سواء كان الأولاد صالحين أم غير ذلك فهو "قصر موصوف على صفة، أي ليست أموالكم وأولادكم إلا فتنة، وهو قصر ادعائي للمبالغة في كثرة ملازمة هذه الصفة للموصوف إذ ينذر أن تخلو أفراد هذين النوعين، وهما أموال المسلمين وأولادهم عن الاتصاف بالفتنة لمن يتلبس بهما"³.

وقد عبر الله تعالى عن الأولاد بأنهم زينة الحياة قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ...﴾ [الكهف: 46] "وقد سمي الله تعالى القوة بالمال والبنين زينة، لأنها موضع تفاخر وتباهٍ كالزينة، وقدم المال على البنين، لأن البنين من غير مال لا يكونون زينة، بل يكونون تكليفاً، وقد يكون مرهقا. وإن أمور العقلاء تجري على سنة المنفعة، فما يكون أكثر منفعة وأبقى يطلبه العقلاء"⁴.

¹ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 2 / 47.

² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 69 / 325.

³ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 28 / 286.

⁴ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 9 / 4538 _ 4539.

مع أن الأولاد زينة الحياة وهم ربحانة الإنسان، وهم بحجة نضرة، يرى فيهم فرحة الأيام فهم في نفس الوقت يكونوا " إن وجود الأموال والأبناء يعتبر اختباراً وابتلاءً يُظهر كيف يتعامل العبد مع هذه النعم، يهدف هذا الامتحان إلى استبيان سلوك الفرد: هل سيشكر الله على هذه النعم ويؤدي حقوقها، أم أنه سيشغل نفسه بها إلى درجة تغفل فيها عن واجباته تجاه الله؟: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ ... فالفتنة لا تكون بالشدة وبالحرمان وحدهما؛ إنما كذلك تكون بالرخاء وبالعطاء أيضاً، ومن الرخاء العطاء هذه الأموال والأولاد¹. لذلك على الإنسان أن يكون على حذر من هذه الفتنة ويكون يقظاً "إذا انتبه القلب إلى موضع الامتحان والاختبار، كان ذلك عوناً له على الحذر واليقظة والاحتياط أن يستغرق وينسى ويخفق في الامتحان والفتنة، ثم لا يدعه الله بلا عون منه ولا عوض، فقد يضعف عن الأداء بعد الانتباه؛ لثقل التضحية وضخامة التكليف وبخاصة في موطن الضعف في الأموال والأولاد، إنما يُلوح له بما هو خير وأبقى، ليستعين به على الفتنة ويتقوى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾"².

فالأولاد جعلهم الله زينة للإنسان، وسروراً له في الحياة الدنيا؛ لكن الله عز وجل نبه المؤمنين في نفس الآية مباشرة؛ بأن هذه الزينة هي فانية وليست باقية، حتى لا يركن الإنسان إليها، ويسند قوته إليها "ولذلك بين الله تعالى أن زينة الدنيا وخيراتها غير باقية، إنما الباقيات الصالحات في الآخرة هي الأكثر فائدة وأملاً"³.

وزينة الأولاد في الدنيا قد تتحول إلى أعداء للإنسان، وتنقلب شؤماً على الوالدين، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: 14] معناها "يا أيها الذين آمنوا إن بعض أزواجكم وأولادكم عدو لكم، حيث يفعلون معكم فعل العدو، ويكونون

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن 1498/3.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 1498/3.

³ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 9 / 4539.

حجر عثرة أمامكم بمنعونكم من فعل الخيرات، وقد يدعونكم إلى ارتكاب الذنوب والآثام في سبيل راحتهم والحرص على سعادتهم ... إذا كان الأمر كذلك فاحذروهم، وقوا أنفسكم من شرورهم وآثامهم إن كانت لهم"¹.

فعلى الإنسان أن يبقى على حذر من هذه الفتنة، ولا يأمن متقلبات الحياة مع أولاده، فرمما كان الولد هو الذي ينغص حياة والديه، ويجره إلى ارتكاب المحرمات، والله تعالى سماهم أعداء، ليتنبه الإنسان لها الخطر، يقول النبي ﷺ: «ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزا لك، وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن الذي لعله عدو لك: ولدك الذي خرج من صلبك.....»².

ويجب على الإنسان أن "يجب على الآباء أن يتقوا الله في أولادهم، وأن يكون حبهم لهم دافعا نحو القيام بأعمال الخير بدلا من ارتكاب الآثام، من الضروري أن يراقب الأهل الله في تربيتهم لأبنائهم، حيث يجب عليهم توفير تنشئة دينية صالحة كما ينبغي ألا يدفعهم حب الأبناء إلى جمع المال بطرق غير مشروعة، فالله سبحانه وتعالى لديه أجر عظيم وخير وفير يتفوق على كل ما في الدنيا لذا، يجب عليهم الحفاظ على الأمانة وعدم خيانة الله ورسوله"³.

والتربية لها دور فعال وكبير في سلوك الولد، فعلى الوالدين أن يربوا أولادهم على موائد القرآن وعلى فضائل الأخلاق الحسنة فإنه " إن مسؤولية الوالد تجاه ولده تتمثل في تربيته دينية وأخلاقية سليمة، مع توفير الغذاء الحلال الطيب له، فإذا قام الوالد بذلك، فإنه سيحظى بالخلاص يوم القيامة، أما

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 3/ 689.

² أخرجه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير للطبراني، باب الحاء، تحقيق: حدي بن عبد الحميد السلفي (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1994 م) 3/ 294، حديث رقم 3445، قال عنه الإمام الهيثمي: (فيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف).

³ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 821.

في حالة العكس، فإنه يعرض نفسه لعقاب وإثم كبيرين¹.

وتبدأ تربية الأبناء في اختيار الزوجة الصالحة لأولاده وتعليمهم، فإذا ما أحسن تربيتهم وتنشئتهم "وربى البنين وأحسن تربيتهم كانوا له عملاً صالحاً دائماً"²، بعد مماته وينتفع فيه حتى بعد موته، ويجب على الإنسان أن يكون على قدر كبير في تحمل مسؤولية تربية أولاده، ويكون عوناً لهم في حياتهم، ولا يترك تربيتهم، ويراقب أعمالهم؛ حتى لا ينزلقوا في متاهات الطريق.

ثانياً: فتنة المال: تقوم الحياة على عدة مقومات لتستقيم شؤون الحياة، ومن هذه المقومات المال، وهو مدار الحياة، وعليه تستقيم المعيشة، إذ بالمال يمكن للمرء أن يعيش بدون أن يهرق ماء وجهه للناس، والمال "عند الإنسان شقيق الروح، يركب الأخطار، ويتحمل المشاق في سبيل الحصول عليه، فإذا هو أعطى المال فهل يشكر ويرضى؟ أم يكفر ويعصى؟ وإذا حرم منه فهل يصير ويرضى أم يغضب ويلعن؟ أليس هو فتنة وابتلاء؟ على أن المال وحب الغريزي قد يدفع صاحبه إلى عمل يوقعه في المهالك والمصائب"³.

فالإنسان مستعد أن يفعل ما بدى له من أجل تحصيل المال، والإنسان مستعد أن يحارب ويقتل ويهاجر من أجل المال؛ لأنه فتنة كما أخبر الله تعالى عنه قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] أي: "إن فتنة الأموال والأولاد تعتبر من الفتن الجسيمة التي يدركها ذوو العقول الراجحة، إذ ترتبط الأموال بشكل مباشر بسبل عيش الإنسان وتلبية رغباته واحتياجاته، فضلاً عن دفع العديد من المكارِه عنه ومن أجل ذلك، يبذل الأفراد جهوداً كبيرة في كسب الأموال، رغم ما يواجهونه من صعوبات، في حين يفرض عليهم الشرع الالتزام بالطرق الحلال وتجنب المحرمات، بالإضافة إلى

¹ الزحيلي، التفسير المنير 9/ 299.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 10/ 5371.

³ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 820.

تشجيعهم على التحلي بالاعتدال والتوازن في مساعيهم"¹.

والآية جاءت بصيغة الأمر؛ حتى يتنبه الإنسان على خطر هذه الفتنة، ويكون مستعدا لكيفية إدارة أمواله على الوجه الصحيح، خوفا من الانزلاق وراء ما يعرضه للهلاك والخسران، فنجد اليوم أن فتنة المال قد أعمت كثيرا من الناس "فشغلتهم عن حقوق الله وحقوق الأمة والوطن، بل عن حقوق من يعاملهم، بل عن حقوق بيوتهم وعيالهم، بل عن أنفسهم، ومنهم من يقصر في النفقة على نفسه وعياله بالقدر الذي يزري بمروءته، فيظهر بمظهر المسترذل بين الناس في مأكله ومشربه وملبسه، ومنهم من يثلم بشرفه ويفتح ثغره للطاعنين والقائلين فيه بالباطل؛ لأجل المال ومن ثم قالوا: المال مياال"².

وهذه الفتنة شرها كبير ولا بد للإنسان من أن يعلم "أن الافتتان بالأموال والأولاد مدعاة لضروب من الفساد، فإن حب المال والولد من الغرائز التي يعرض للناس فيها الإسراف إذا لم تهذب بهدي الدين وحسن التربية والتعليم"³.

من هنا كان لا بد على الإنسان من مواجهة هذا الفتنة، ويتحرى فيها الحلال من الحرام، فالمال "وسيلة لا مقصد فيفتنّ في الوصول إليه الفنون المختلفة، والطرق التي تعقّ له، ولا يبالى أمن حلال كسب أم من حرام؟"⁴.

ومن خلال فتنة المال يتسرب الشيطان إلى النفوس، فيصبح الإنسان أعمى، ويصبح همه الوحيد هو كيفية الحصول على المال، ولا يهمله إذا كان المال من الحلال أم من الحرام لذلك فإنه "يجب التصدي لمغريات المتعة من أجل الحفاظ على الإنسان من الانغماس في رغبات مؤقتة، وبدلاً من ذلك، ينبغي

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 9/ 194.

² محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 4/ 206.

³ محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 11/ 106.

⁴ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 3/ 111.

السعي نحو متعة أكثر ديمومة وهدى، ولذلك، فقد علمنا الله تعالى أهمية الإيمان بوجود أجر عظيم عنده، وذلك في حالة مقاومتنا لفتنة المال، وتجدد الإشارة إلى أن هذه المقاومة لا تعني الحرمان التام، بل تتطلب اتخاذ الحذر اللازم والالتزام بالحدود التي وضعها الله تعالى ... ولذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] وذلك أجر مقاومة الفتنة، والوقوف بالحبّة للمال والولد، عند الحد الذي لا تكون معه خيانة، ولا تجانف لإثم¹.

والنفس دائما تميل لحب المال والتعلق به، ويرغب الإنسان دائما بأن يكون أكثر أمولا من غيره، يقول النبي ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»².

يبين لنا النبي ﷺ، أن فتنة المال عملها في القلوب عظيم كبير، فإذا ما استرسل الإنسان في اللهث وراء المال فإنه لا يشبع ولا يقنع، فصار كشرب الماء المالح كلما شرب أكثر كلما عطش أكثر، بل "ويتكلف العناء في حفظها وتتنازعه الأهواء في إنفاقها"³. لذلك فإن الله تعالى أوجب النفقة على من يعمل الإنسان، وذلك بسبب شدة تعلق الإنسان بالمال، بل قسم من الناس مع معرفته بأن النفقة واجبة عليه لكنه "يقصر في النفقة على نفسه وعياله بالقدر الذي يزرى بمروءته، فيظهر بمظهر المسترذل بين الناس في مأكله ومشربه وملبسه، ومنهم من يثلم شرفه ويفتح ثغرة للطاعنين والقائلين فيه بالحق وبالباطل لأجل المال. ومن ثم قالوا: المال مَيّال"⁴، وفي هذا المعنى يقول الإمام الشعراوي⁵: "فأي كرامة في مال

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفسير 6/ 3108.

² أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، 8/ 92، حديث رقم 6436.

³ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 9/ 194.

⁴ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 3/ 111.

⁵ محمد متولي الشعراوي، العالم الفقيه المفسر، من أبرز علماء عصره، وأحد دعائم الفكر الإسلامي الحديث بمصر، وركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو عضو في مجلس الشورى ومجمع اللغة العربية ورابطة العالم الإسلامي والهيئة التأسيسية لها، توفي سنة (1998م). الموسوعة العربية العالمية، أول وأضخم عمل من نوعه وحجمه ومنهجه في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

يكون وبالاً على صاحبه، وابتلاء لا يُوفَّق فيه، فلو سُلِب هذا المال من صاحبه لكان خيراً له، فما أشبه هذا المال بالسلاح في يد الذي لا يُحسِن استعماله، فرما قتل نفسه به"¹.

لذلك جاء الأمر بالإنفاق والتخلص من الشح ومن الهلاك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 254].

وبيان هذه الآية حيث "يأمر الله المؤمنين الذين اتصفوا بصفة الإيمان الصادق بالإنفاق في سبيل الله ... فكافحوهم بالقتال بالأنفس وإنفاق الأموال"².

فالجهاد كما أنه يشمل بالأنفس فكذاك يشمل الجهاد بالمال؛ لأنه الركيزة الأساسية لعدة الجهاد، وكثير من الناس يرى أن المال نعمة كبيرة على الإنسان لكن "المال، حينما يأتي ليؤدي إلى طغيان الفرد، يصبح بمثابة نقمة بدلاً من كونه نعمة في المقابل، إذا كانت قلة المال تساهم في تقليل الطغيان، فإنها تُعتبر نعمة لا نقمة، وهذا ما أكدته الله تعالى في قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: 6 - 7]"³.

من خلال ما سبق تبين أن المال إذا لم يكن صاحبه على دراية ومعرفة بالحلال والحرام، ومعرفة الطريق الصحيح في إنفاقه كان عليه وبالا وهلاكاً، بل وربما عمل فيه بالربا، فيصبح ماله كله سحت حرام، فيخسر ديناه وآخرته "يجب على المؤمن أن يتحلى بتقوى الله في ما يتعلق بالمال، من خلال تحصيله بطرق مشروعة وإنفاقه في أوجه الخير بشكل عام، ينبغي عليه الالتزام بتعاليم الدين وتجنب الانسياق وراء أهوائه الشخصية، إذ يُعد المال اختباراً وفتنة يمكن أن تضعه في مواقف تحتم عليه اتخاذ

عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية (/ 1).

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 18 / 11033.

² الزحيلي، التفسير المنير 3 / 11.

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي 8 / 5019.

قرارات صائبة تجنبه الانحراف"¹.

ثالثاً: فتنة الشهوات: يسير الإنسان في حياته فتواجهه كثير من الملهيات والمغريات، والتي من شأنها أن تصده عن الطريق الصحيح، وتصده عن يعبد الله على الطريق المستقيم، وتعرض للمسلم في حياته (الشهوات) التي تكون حاجزاً بينه وبين ارتقاءه في درجات الإيمان، وحاجزاً بينه وبين السير بدون عثرات وملهيات، ولكن هيهات، فهذه هي سنة الحياة فقد "تعصف الأهواء بالنفوس، وتزيغ بالعقول، لا يمكن للإنسان أن يتجنب الوقوع في الشهوات والانحرافات إلا بمعونة الله تعالى ولذلك وجَّهنا الله سبحانه وتعالى إلى الدعاء والطلب منه من أجل الهداية والتوفيق، حتى تتمكن من اتباع مسار الحق والعدل والالتزام بالطريق المستقيم، وهو النهج الإسلامي الذي استمر عبر الزمن والذي أنعم الله به على الأنبياء والصديقين والصالحين"².

وأعداء الإسلام كان همهم دائماً أن يتبع المسلمون الشهوات؛ حتى ينحرفوا عن الطريق السليم، ويقعوا في المحرمات من الزنى وغيرها قال الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27] جاء في تفسير هذه الآية بأن "أولئك الذين يسرون خلف أهوائهم، كالزناة وبعض أهل الأديان المنحرفة والمبتعدين عن طريق الهداية، يسعون إلى أن يجروا المؤمنين إلى مسلكهم، ليغرقهم في الملذات والرغبات الجسدية، حتى يصبح المؤمنون مثلهم دون أي تميز أو فضل عندئذ، يسقط عن المؤمنين حقهم في قيادة الآخرين أو توجيههم نحو الهداية"³.

فأهل الشهوات والنزوات يريدون أن يجروا أهل الإيمان إلى مستنقع الرذائل، وإلى الفواحش، والتي تنزل بالمسلم إلى مستوى متدني من الأعمال السيئة.

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 821.

² الزحيلي، التفسير المنير 1/ 58، وينظر: محمد عبد الرزاق، سبل علاج الشباب من الفتن ص 20.

³ جابر بن موسى الجزائري، أيسر التفاسير 1/ 464.

وكل من يسير على هذه الأرض فمن طبيعته أن يميل إلى الشهوات؛ لأنها غريزة في الإنسان وقد "الرغبات قد جعلت محبة للناس وزُيّنت في نفوسهم وقلوبهم، حتى أصبحت جزءاً من طبيعتهم الفطرية فالشخص الذي يحب شيئاً دون أن يُزين له، قد يميل إلى تركه يوماً ما، أما إذا زُيّن له هذا الحب، فإنه نادراً ما يتخلى عنه، وقد أشار القرآن الكريم إلى الأمور المرغوبة بوصفها بالشهوة، في إشارة إلى شدة الرغبة فيها، كما أوضح أن الشهوة في حد ذاتها قد تكون مذمومة إذا لم يتمكن الإنسان من السيطرة عليها والتعامل معها بتوازن واعتدال، بما يحافظ على غريزته ويوجهها نحو السلوك السليم"¹.

لذلك يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: 14]، فهنا قد

"يستخدم النص مفهوم الحرث كوسيلة للإشارة إلى الزرع، حيث يُعتبر الحرث هو العامل الأساسي الذي يسهم في نمو الزرع، وفي سياق ذلك، تشير الشهوات إلى النساء والأبناء والثروات المتنوعة، مثل الذهب والفضة والخيول المميزة والأنعام، حيث تُعد جميع هذه الأمور من متاع الحياة الدنيا، وإن المحور الأساسي هو قلق الإنسان من فقدان هذه النعم، أو من عدم القدرة على الاستمتاع بها قبل الموت وبالتالي، فإن كل ما يُعتبر فاقداً لا ينبغي أن يُشكل قيمة حقيقية للشخص، وعند التدقيق في الآية بصورة شاملة، يتضح أنها تحتوي على مفاتيح تشير إلى مختلف الشخصيات التي قد تنحرف عن منهج الله"².

وربما يتساءل أحدهم قائلاً لماذا "يظهر أن هناك عدة عوامل قد تدفع الإنسان إلى الانحراف عن المقاصد الإلهية في منهجه، وإن الله سبحانه وتعالى يدعو عباده المؤمنين إلى أن يستندوا في مسار حياتهم إلى مراده إذن، ما الذي يدفع المؤمن إلى التخلي عن إرادة الله في حكم معين والتحول إلى حكم يتعارض

¹ الزحيلي، التفسير المنير 3/ 165.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي 3/ 1317.

معه؟ بلا شك، إن الهوى هو العامل الرئيسي الذي يوجه القلوب ويجعلها تنحرف، ولكل هوى مفاتيح

خاصة، كما أن لكل شخصية من المكلفين بمنهج الله مفتاحها الذي يعبر عن ميولها وأهوائها¹.

فكل شخصية تختلف عن الأخرى في انجذابها نحو الشهوات والمغريات، وقسم من الناس يتعلق

بالشهوات تعلقاً كبيراً يستنفر كل طاقته لأجلها لأنه "يحبها حباً جمّاً، ويتبع هواه في حبها لدرجة هلاكه،

من حيث لا يشعر، فيعميه حبها عن اتباع الحق، وتكون له إلهاً يعبد"².

والله تعالى لا يريد من الإنسان أن يترك كل هذه الشهوات ويصد عنها؛ لكن أراد منه أن يعرف

كيف يستغلها على الوجه الصحيح " ينبغي على المؤمن أن لا ينخدع بالشهوات، بل عليه أن يعتبرها

وسائل لتحقيق المعيشة في الدنيا فقط، دون أن تؤثر على التزاماته الدينية وواجباته تجاه الآخرة، فالمؤمن

يسعى لتحقيق سعادته في الدارين"³.

والاعتدال أمر مطلوب في كل نواحي الحياة من مأكّل وملبس وغير ذلك "الشهوات المشار إليها

في الآية تمثل تلك الرغبات التي قد تؤدي إلى الإفراط أو المبالغة، أو التي يمكن أن تسبب تفريطاً في

الواجبات الدينية، ولكن إذا كانت هذه الشهوات في إطار معتدل ومعقول، فلن تكون ضارة بالضرورة بل

يمكن أن تُعتبر وسيلة للثواب وزيادة الأجر، بشرط أن يكون القصد منها الخير، وتعزيز العفاف،

واستخدامها في سبيل الله وابتغاء مرضاته"⁴. وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «حَفَّتِ الجَنَّةُ بالمكَّارِه

وحَفَّتِ النار بالشهوات»⁵.

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 3/ 1317.

² جمال سعد أحمد إبراهيم، ظاهرة التقليد والتبعية في القرآن الكريم، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين 2010 م ص 47.

³ الزحيلي، التفسير المنير 3/ 168.

⁴ الزحيلي، التفسير المنير 3/ 169.

⁵ أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، 4/ 2174 حديث رقم 2822.

ونرى اليوم في واقعنا المعاصر الذي ملئ بالشهوات والمزينات، فأنى توجه أنظارك ترى الفجور وأهل المعاصي يملؤون دنيا الناس، بل حتى "قد بلغ الفسق في هذا الزمن حدا صار الناس يظنونهم من الكياسة، وزالت غيرتهم، وأسلسوا القياد لنسائهم كما يسلسن لقيادتهم، فوهت الروابط الزوجية، ونخر السوس في سعادة البيوت، ووجدت الرذيلة لها مرتعا خصيبا في أجواء الأسر، حتى أصبح الرجل لا يثق بنسله، وكثرت الأمراض والعلل بشتى مظاهرها"¹.

وهذا مما يخالف شريعتنا وديننا، وهم لا يبالون بنشر تلك القبائح بين الناس، فتراهم مسعورون في اتباع الهوى واتباع الشهوات، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: 59] فهم اليوم قد "ارتكبوا شهوات أنفسهم، وآثروها على طاعة الله تعالى، أي: لقد انغمسوا في ما تشتهيه نفوسهم من المحرمات، مثل تناول الخمر، والدخان، والحشيش، وفعل الزنا، واللواط، وإدمان النظر إلى الأجنبية، والاختلاط بهن، وإضاعة الوقت في استماع الملاهي والنظر إليها، كالتلفزيون والفيديو، والاشتغال بما لا يغني، من إكثار قيل وقال"².

وبعد الانهماك في شهوات الدنيا، لا بد للمسلم من أن يتجه نحو العلاج الناجع الذي يخلصه من تلك النزوات والشهوات، ويضعه على الطريق الصحيح الذي يجعله يعيش حياته بالاستقامة والوعي والحكمة في معرفة كيفية استغلال ما يحيط به من ملهيات "لعلاج هذه المشكلة، يتعين على الأفراد الإيمان بصدق والعمل على مقاومة النفس الأمارة بالسوء، سعياً لرضا الله من خلال صبر حقيقي يتحقق هذا الصبر بتذكر وعد الله بحسن الجزاء لمن يمتنع عن الشهوات المحرمة، كما ينبغي الاستعانة بالصلاة لتدريب النفس على الالتزام بخط الاستقامة، فمن يتحمل مشقة التكليف، ويتعد عن المعاصي،

¹ محمد الأمين الهري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 6 / 32.

² محمد الأمين الهري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 17 / 181.

ويخاطب ربه في صلاته، ويقيم علاقة مع الله من خلال خمس صلوات يومياً، يصبح مؤهلاً لنصح الآخرين، ويمتلك وعياً بمخاطر الانحراف وبالتالي، يضمن لنفسه النجاة، حيث إن الأمر بالمعروف هو واجب على كل عالم¹.

والله تعالى جعل لكل شهوة من هذه الشهوات التي تحيط بالمسلم طريقاً صحيحاً ليوصلها نحو مراد الله تعالى، وهذا من العدل الإلهي في هذه الحياة.

المطلب الثالث: مقارنة بين أقوال القدامى والمحدثين في أنواع الفتن

الفرع الأول: الفتن الدينية

في هذا المطلب مقارنة بين رؤية المفسرين القدامى والمحدثين لأنواع الفتن التي ذكرت آنفاً، فيبدأ الباحث بالفتن الدينية ومقارنتها بين آراء المفسرين القدامى والمحدثين وهي كما يلي:

أولاً: فتنة الثبات على الحق: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في تفسير هذه الفتنة كما يأتي:

1. رأي القدامى فيها أنها بمعنى:

أ. ابتلاء المؤمنين بالكافرين: فقد بينلي الله أهل الإيمان بالكافرين فيعذبوهم ويصدوهم عن

دين الله، قال الله تعالى حكاية عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ

لَنَا.....﴾ [المتحنة: 5]. أي: "اللهم لا تجعلنا عرضة للعذاب بأيدي الآخرين،

ولا تديننا عذابك، إذ قد يقول الأعداء: إذا كانوا على حق، لما نالهم ما أصابهم، ولا سلطنا

عليهم"².

ب. اختبار وامتحان للمؤمنين: كذلك كانت رؤية المفسرين القدامى لهذه الفتنة من ناحية

¹ الزحيلي، التفسير المنير 1/ 155.

² مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ص 655.

اختبار وامتحان للمؤمنين من الله تعالى؛ لمعرفة مدى تحمل المؤمنين الأذى والعذاب في سبيل الله؛ وليعلم الله تعالى قوة إيمانهم قال ربنا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: 31] قال الطبري: فهو اختبار وامتحان من عند الله؛ والمؤمنون يبتلون؛ فيتحملون ذلك، مرضاة لله تعالى، وتمسكا بدينه جل وعلا¹.

ج. اتعاط المؤمن والاعتبار بمن سبقهم: والمؤمنون ينظرون لمن قبلهم بعين الاعتبار، ويتعظون بمن سبقهم من أهل الإيمان الذين أذوا في سبيل الله تعالى، وافتتنوا من أجل ثباتهم على الدين القويم، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: 142] قال الإمام مقاتل بن سليمان أي: " عندما يُصيبكم ما أصاب الذين سبقوكم من البلاء، فإن ذلك يُشير إلى سنة الأمم السابقة التي تعرضت للاختبارات، ولا سيما مؤمني تلك الأمم، وقد تم ذكر هذه التجارب لتكون عبرة ووعظاً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: مستهم يعني أصابتهم البأساء يعني الشدة وهي البلاء والضراء يعني البلاء وزلزلوا يعني وخوفوا"².

2. رأي المفسرين المحدثين فيها: للمفسرين المحدثين في هذه الفتنة وجهة نظر مغايرة، حيث تتمحور

هذه الفتنة حول معاني متعددة منها:

أ. تحمل المشاق الذي يلاقونه من الفتن في طريق الهدى: فهذه من الأمور الشاقة على الأنفس، وقليل من يتحمل عبثها وتبعاتها، وخاصة في زمننا هذا إلا ما رحم ربي "ثم أشار إلى ما يعتبر كنوع من التسلية لهم، مشيرا إلى ما واجهه الذين سبقوهم من مشاق

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 22/ 186

² مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 182.

ومحن فقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 3] أي: "ولقد اختبرنا أتباع

الأنبياء من الأمم السالفة وأصابتهم بضروب من البأساء والضراء فصبروا وعضوا على دينهم بالنواجذ"¹.

ب. زعزعة المؤمنين من أجل الثبات على الحق: فقد مر النبي ﷺ هو وأصحابه بموقف

التقرب والزعزعة سبيل الثبات على الحق قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ

الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214]

والمعنى: "أنه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء، ولم يبق لهم صبر، وذلك هو الغاية القصوى

في الشدة، فلما بلغ بهم الحال في الشدة إلى هذه الغاية، واستبطؤوا النصر ... لقد ظل

المؤمنون في الأوقات العصيبة ملتزمين بدينهم، ولم تؤثر عليهم مشاق البلاء وطول

الأزمات حتى جاءهم نصر الله لذا، ينبغي عليكم، أيها المؤمنون، أن تتحلوا بالصبر في

مواجهة الأذى والشدائد أثناء سعيكم لتحقيق الحق، فالنصر من الله قريب، اصبروا كما

صبر سلفكم، وستظفرون بالنتائج المرجوة"².

3. مناقشة الآراء التفسيرية

بعد الاطلاع على أقوال القدامى والمحدثين ونظرهم لهذه الفتنة، يرى الباحث أن نظرة

المحدثين هي أقرب لمضمون فتنة الثبات على الحق، لما لهذه الفتنة وقع كبير في النفوس، والسياق

يدل على معنى الاضطراب والزعزعة فحمل على ما جاء به المفسرين المحدثين، وقد توسعت

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 20 / 112.

² محمد الأمين المهري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 3 / 261.

الآراء ودخل الحياة كثير من الملهمات، التي لم تكن موجودة في قرون المفسرين القدامى، والتي تصد المسلمين عن دينهم وتنبيههم عن الثبات على الحق؛ لذلك توسعت نظرة المفسرين المحدثين في رؤية وتوجيه هذه الفتنة، والتي كلما توسع الزمان وبعُد عن القرون الأولى، فإن كثرة المغريات وكثرة الانحرافات تكثر وتزداد؛ لأن أعداء الإسلام يريدون النيل من المؤمنين الصادقين بشتى الوسائل والطرق.

ثانياً: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: في هذه الفتنة اتفقت كلمة المفسرين القدامى والمحدثين على أن من أحد أسباب صد الناس عن دعوة الأنبياء هو الهوى والتكبر، حيث كانت الشعوب تصد دعوة الأنبياء بمحض هواهم وتكبرهم، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70] قال الإمام السمرقندي وهو من المفسرين القدامى عن هذه الآية: أي "بما لا يوافق هواهم، فَرِيقًا كَذَّبُوا مثال عيسى ومن قبله، وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ مثل يحيى وزكريا، وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، فالله تعالى أمر النبي بتبليغ الرسالة، وأمره بأن لا يحزن عَلَيْهِمْ إن لم يؤمنوا، لأنهم من أهل السوء الذين فعلوا هذه الأفعال، ثم قال: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة: 71] يعني: ظنوا أن لا يتلوا بتكذيبهم الرسل، وقتلهم الأنبياء، ويقال: ظنوا أن لا يعاقبوا، ولا يصيبهم البلاء والشدة والقحط"¹.

وتكلم المفسرون المحدثون عن نفس هذه الآية: "فقد بين الله تعالى إجماله بهذه القاعدة الكلية، وهي أنهم كانوا كلما جاءهم رسول بشيء لا تهواه أنفسهم، وإن كان مقترباً بأشياء يوافق فيها الحق أهواءهم، عاملوه بأحد أمرين: التكذيب المستلزم للإعراض والعصيان، أو القتل وسفك الدم"².

1 أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، 1/ 430.

2 محمد رشيد بن علي رضا الحسيني، تفسير المنار 6/ 398.

3. مناقشة الآراء التفسيرية

توافقت آراء المفسرين القدامى والمحدثين في كلامهم عن الفتنة؛ لأن مصيبتها ومجراها واحد، وهو صد الناس عن دعوة الأنبياء، فقد صدوا دعوة الرسل بالكذيب والاستهزاء والتقتيل والتكبر ونبد رسالاتهم ومنهجهم، والمفسرون المحدثون ركزوا على رفض اليهود لما جاء به الرسل ورفض دعوتهم، وذلك على مر العصور، بل والتنكيل باتباع الرسل على مر العصور، وليس ببعيد عنا اليوم، ما يفعل بالفلسطينيين من دمار وقتل وتشريد، ودحض المسلمين في كل بقاع العالم؛ لأنهم يرون انهم أسياد الأرض، وليس لأحد الحق في تقاسم العيش معهم، وهذا من تكبر نفوسهم وعنادهم وفكرهم البائس.

ثالثاً: فتنة الشبهات:

اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في تفسير هذه الفتنة كما يلي:

1. رأي المفسرين القدامى فيها أنها بمعنى:

أ. توجد في القرآن آيات متشابهات، أي: ما تشابهت معانيها، أو عرفها قوم وجعلها قوم آخرون، قال الإمام السمرقندي: "يقرأ عليكم آيات الله مُبَيَّنَاتٍ يعني: واضحات، لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا يعني: الذين صدقوا بتوحيد الله وطاعته وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يعني: الطاعات يعني: من الجهالة إلى البيان ... يخرجهم من الشبهات والجهالات إلى الدلالات والبراهين ويقال: ليدعو النبي ﷺ، ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان من قدرة الله الإيمان في سابق علمه"¹.

ب. حذر الله تعالى من الذين يتبعون المتشابه والشبهات في دين الله تعالى، قال الله تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 7]. قال ابن عباس:

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 464 / 3.

يعني شكّ وخلاف وميل عن الهدى¹، وبين أنهم باتباعهم للشبهات، فإنهم يريدون بذلك الفتنة كما قال الله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: 7]، "المعنى أن الأفراد الذين يميلون في قلوبهم عن الحق، ويبتعدون عنه، يقومون باتباع الآيات المتشابهة من الكتاب، التي قد تحمل معاني متعددة وتحتل تأويلات مختلفة يهدف هؤلاء إلى إحداث لبس وتضليل لأنفسهم وللآخرين، مُستندين إلى هذه الآيات لتبرير باطلهم الذي يتجهون إليه، بينما يتجاهلون الحق الواضح الذي أظهره الله من خلال الآيات المحكمات في كتابه، إن رغبتهم في الانغماس في الشبهات تُظهر مدى ميلهم إلى الالتباس والتشويش"².

ت. إرادة اللبس على المسلمين باتباع الشبهات: إنما يريدون اللبس على المسلمين، والحياد عن الحق وإثارة الشكوك في نفوسهم، قال الإمام الطبري: "يعني بقوله جل ثناؤه: فيتبعون ما تشابه، ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات، ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيف عن محجة الحق، تلبسًا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصارييف معانيه"³. فاتباع المتشابه والشبهات أمر يودي بصاحبه إلى منحدرات لا تحمد عقباها، وإلى أباطيل وضلالات بعيدة عن الحق، وهم بذلك يريدون تأويله وإبتغاء تأويله يعني: تفسيره على ما يوافق هوى نفوسهم"⁴.

ث. اتباع الشبهات يؤدي إلى التفرقة والنزاعات: فهؤلاء الذين يتبعون الشبهات "يتبعون ما تشابه منه، يطلبون بذلك مثل الذي كان من الأمم الخالية فيما جاءهم به رسلهم صلوات

¹ مجد الدين الفيروزآبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص 43.

² الطبري، تفسير الطبري 6/ 197.

³ الطبري، تفسير الطبري 6/ 185.

⁴ أبو محمد سهل التستري، تفسير التستري ص 46.

الله عليهم ابتغاء الفتنة، وهي فساد ذات البين حتى يكون عنها القتل وما سواه مما يجلبه من
البغضاء والشحناء والتفرق، الذي تجري معه الأمور بخلاف ما أمر الله عز وجل به فيها
بقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، ومن كان كذلك
خرج عن الإسلام، وصار من غيره، واستحق النار"¹.

2. رأي المفسرين المحدثين فيها:

أ. ترك الآيات المحكمات واتباع الآيات المتشابهات: واتباع الشبهات هنا من بعض الناس هو
بقصد التضليل قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: 7] ، أي:
"يتجلى الضلال في انحراف الأفراد عن الحق تجاه الباطل، حيث يتبع هؤلاء أهواءهم ويميلون
إلى تناول الآيات المتشابهة التي يمكنهم تأويلها بما يتناسب مع أغراضهم الضالة، في الوقت
نفسه يتجاهلون الآيات المحكمة التي لا تحتمل اللبس، مما يؤدي إلى إرباك الآخرين وإيقاعهم
في الفتنة الدينية وإضلال من يتبعهم"².

ب. إثارة الشبهات، وإثارة النعرات سبب في تفريق الأمة: فغاية أعداء الإسلام هو طمس
معالم الإسلام وتعاليمه فقد "سعت مجموعة من الأحزاب والرؤساء إلى نشر الضلال بين
المسلمين من خلال زرع الشبهات ومحاولة استقطاب بعضهم للانحراف في معتقداتهم، ومع
ذلك، فإن محاولاتهم تبوء بالفشل، حيث لا يُضِلُّون سوى أنفسهم، ويتحملون عواقب
أعمالهم"³.

ت. إثارة الشبهات هو لتشكيك الناس بدينهم: وهذا هو منهج الأعداء قديما وحديثا من

¹ الطحاوي، شرح مشكل الآثار 6/ 337.

² الزحيلي، التفسير المنير 3/ 152.

³ الزحيلي، التفسير المنير 3/ 260.

أجل صد الناس عن دينهم، فهم يثنون شكوكهم وشبهاتهم، حتى يضعفوا كلمة المسلمين
"وأولئك لأنهم لا يطلبون الحق يتبعون المتشابه يتقصّونه ويتعرفون مواضع الريب، ليشيروا
الشبهات حول الحق، ويشككون الناس فيه، ولذا قال سبحانه: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي طلباً
لفتنة الناس عن دينهم وخدعهم، وإثارة الريب في قلوبهم، بأوهام يثيرونها حول المتشابه الذي
جاء في القرآن"¹.

3. مناقشة الآراء التفسيرية

هذه الفتنة أخذت منحنيات متعددة، بين المفسرين القدامى والمحدثين، فقد كانت الشبهات
موجودة في زمن المفسرين القدامى؛ لكنها لم تكن منتشرة بشكل كبير؛ لأن أغلبهم كان على
دراية بمعرفة اللغة ومعرفة معاني القرآن، ومع ذلك كانت الشبهات موجودة فيهم، وحيث كانت
تُشكل على بعضهم هذه الشبهات الموجودة في القرآن الكريم، من ناحية فهم الآيات.

ففي الآيات معاني يفهما البعض ولا يعرفها البعض الآخر، فيحصل عندهم لبس في
الفهم، لذلك فإن النبي ﷺ في كثير من الأحيان يبين للصحابة ما تشابه من آيات القرآن، ويمكن
القول بأن الشبهات تتجدد في كل عصر من العصور، وقد توافقت كلمة المفسرين القدامى
والمحدثين، أن إثارة الشبهات هو سبب في تفريق كلمة المسلمين وتشيتيتهم، وربما كانت الشبهات
موجودة في عصر المفسرين القدامى، لكنها لم تجد ما يجعلها تصل لكل الناس، بسبب انحسار
الناس وتباعدهم، أما في واقعنا المعاصر أصبحت الشبهات تبت بشكل علني، ويتلقفها الكبير
والصغير بسبب موجات الشبهات المثارة، فكلام القدامى موافق لما في الشبهات من خطر.

وكلام المحدثين هو تجسيد للواقع المعاصر، والذي يجعل إشاعة الشبهات أمر أسهل من

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 2/ 1112.

ذي قبل، فيرى الباحث، أن أقوال المعاصرين هو أنسب للواقع من حيث نشر المكائد والشبه بين المسلمين، وتفرقتهم والتشبيث بالآيات المتشابهة من قبل بعض ضعفاء الناس، لزعزعة الإيمان في القلوب، وكذلك ترويح الأعداء لسمومهم بين المسلمين من أجل النيل من الإسلام فيحشروا الناس في جزئيات بسيطة ومن فروع الدين، ويجعلوها من صلب وعمود الدين، لينشغل المسلمون فيما بينهم فيسبب الفوضى والضياع.

ففى اليوم في واقعنا المعاصر انتشار الشبهات في كل ميادين الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية، وأعداء الإسلام اليوم لا ينقطعون عن إثارة الشبهات، وإثارة النعرات التي من شأنها أن تفرق المسلمين، وتفرق كلمتهم، بشتى الوسائل والطرق، فغايتهم هو طمس معالم الإسلام وتعاليمه.

رابعاً: فتنة الاختلاف والتفرق: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في تفسير هذه الفتنة كما يلي:

1. رأي المفسرين القدامى في معنى هذه الفتنة:

أ. تفرق الأمم قبل بعثة النبي ﷺ إلى طوائف و فرق متعددة: فقد تفرقت الأمم من قبلنا على عدة فرق وطوائف، وهي متناحرة فيما بينها فهؤلاء "الذين قاموا بتفريق دينهم الإسلامي الذي أمروا باتباعه، وانحرفوا إلى غيره، مثل اليهود والنصارى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تفرقوا إلى طوائف وأحزاب، بما في ذلك اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: "لست منهم في شيء"، فالأمر في نهايته يعود إلى الله، الذي سيخبرهم بما كانوا يقومون به من أفعال"¹.

¹ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 599.

ب. أمرنا الله تعالى بعدم اتباع من قبلنا في تفرقهم وتشرذمهم وتشتتهم: فق أمرنا أن لا

نكون مثلهم قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ

أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ

نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]، قال الإمام مجاهد: "يعني: أمة محمد

ﷺ فأعفاهم ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

[الأنعام: 65] يعني: ما فيهم من الاختلاف والفتن"1.

ت. أرشدنا الله تعالى إلى نبذ الاختلاف: فقد أمرنا الله تعالى إلى عدم الاختلاف وعدم

الانقياد وراء الطرق المتشعبة الموصلة إلى التفرق، وإلى اتباع السبل المنحرفة عن الصراط

المستقيم فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153] ومعنى هذه الآية كما قال الإمام السمرقندي: "إن

هذا الإسلام هو الديانة التي ارتضيتها كطريق مستقيم. وهذا يعني أنه يجب عدم اتباع

اليهودية أو النصرانية. وقد قيل أيضًا: "هذا هو صراطي المستقيم"، في إشارة إلى ضرورة

اتباع طريق السنة والجماعة، والابتعاد عن السبل المتعددة التي تمثل الأهواء المختلفة....

ثم قال: فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يعني: فيضلكم عن دينه ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

يعني يجتنبون الأهواء المختلفة"2.

ث. دعا الله عباده إلى التكاتف والتعاضد ولم الشمل في آيات كثيرة: بيت آيات كثيرة

وعدت إلى لم الشمل ونبذ الفرقة والاختلاف، حتى تقوى شوكتهم، وتظهر وحدتهم،

¹ الإمام مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد ص23.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 495.

ونبههم على عدم التفرقة، قال الله تعالى آمرا المسلمين: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ [آل عمران: 103] يعني " يحث النص المؤمنين على عدم الاختلاف في الدين كما فعل أهل الكتاب، ويذكرهم بنعمة الله عليهم، حيث كانوا أعداء في زمن الجاهلية، يتنازعون ويقتلون بعضهم البعض، لكن الله سبحانه وتعالى أنعم عليهم بالألفة والمحبة، فأصبحوا إخواناً في الإسلام بفضل رحمته، كما يشير إلى أنهم كانوا على حافة الهلاك في النار، ولكن الله أنقذهم منها، موضحاً أن المصير المحتوم للمشركين هو النار.... «فأنقذكم منها» يعني من الشرك إلى الإيمان ... لعلكم لكي تهتدون فتعرفوا علاماته في هذه النعمة"¹.

2. رأي المفسرين المحدثين في معنى هذه الفتنة:

أ. نهي الله أتباع الأنبياء عن كل ما يورث النزاع والشقاق: فمن المصائب التي تحل بالمجتمعات هي الخلافات والشقاق والتفرقة؛ لذلك نهي الله تعالى الخلاف بين الناس درأً للفتنة وشق الصف، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153] بمعنى "أن هذا صراطي مستقيماً لا عوج فيه، فعليكم أن تتبعوه إن كنتم تؤثرون الاستقامة على الاعوجاج، وترجعون الهدى على الضلال"².

ب. أمرنا الله تعالى أن لا نكون مثل اليهود والنصارى، الذين تفرقوا واختلفوا، فقال ربنا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: 103]

¹ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 293.

² محمد الأمين المهري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روي علوم القرآن 9/ 141.

[105] أي: "ينبغي على المؤمنين أن يتجنبوا الانقسام كما فعلت الفئات السابقة مثل اليهود والنصارى وغيرهم، الذين تفككوا إلى مجموعات وأحزاب، حتى أصبح كل حزب منهم متمسكاً بما لديه ويفرح به، وقد نتج عن ذلك اختلافات حادة بينهم، إذ كفر بعضهم بعضاً واندلعت بينهم النزاعات، حيث ادعى كل فريق منهم أنه يتمسك بالحق في حين أن الآخرين على ضلال"¹.

ت. تجنب الخوض في الاختلافات والتفرقة؛ لأنها تفرق الأمة، وتهيج الضغائن، وتضعف كيافها: إن الهدى والفلاح باتباع طريق الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتجنب الخوض في لجج الفتن، فيكمن منشأ الخلاف في تعدد المناهج التي يتبعها المسلمون، ولو كانوا يتبعون منهجاً واحداً لما اختلفوا قال الشعراوي: "ولا تختلف الأمة إلا إذا تعددت مناهجها، هنا ينشأ الخلاف، أمّا إن صدروا جميعاً عن منهج واحد فلن يختلفوا ... فالاختلاف ناشئ من اختلاف المنهج، وكان ينبغي أن يكون واضح المنهج واحداً، وقد جاء النبي ﷺ خاتماً للرسالات، وجاءت شريعته جامعة لمزايا الشرائع السابقة، بل وتزيد عليها المزايا التي تتطلبها العصور التي تلي بعثته"².

ث. استشرت الخلافات على كل المستويات والأصعدة فشملت جميع نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسة وغيرها، وهذا مما لا شك يضعف كيان الأمة ويكسر شوكتها والله تعالى أمرنا بعدم التنازع فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾ [الأنفال: 46]. وقد تجرّ هذه التفرقة إلى ما لا

¹ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 2/ 204 _ 205.

² محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي 16/ 9614 _ 9642.

يحمد عقباه من الدمار والضياع فليس "هناك في السياسة العامة أسوأ من تفرق الأمة وتمزق صفوفها وانقسامها فرقا وأحزاباً"¹.

3. مناقشة الآراء التفسيرية

الاختلاف والتفرق موجود في كل زمن من أزمنة وجود الإنسان، وله دوافعه ومسبباته ومآلاته، لذلك جاءت الآيات الكريمة، تأمر إلى نبذ التفرقة والخلاف، وإلى ما لا يحمد عقباه، فالله تعالى نهي عن تتبع الأمم السابقة، الذين تفرقوا واختلّفوا من اليهود والنصارى، وباقي الأمم، فنجد أن المفسرين القدماء يتوافقون مع المفسرين المحدثين في النهي عن اتباع مناهجهم وسبلهم وطريقتهم، فالأمم السابقة كانوا يأمنون اتباع منهج الأنبياء عليه السلام، ويصدون عن دعوتهم ونبذ ما جاؤوا به من عند الله تعالى، بل وحتى عداوة الرسل، وتكذيبهم وقتلهم، وجاءت آيات كثيرة وأحاديث بهذا الصدد.

وبعد أن تعددت المناهج واتسعت رقعة الاسلام دخل الكثير في دين الاسلام فكان هذا الامر يشوش على تعاليم الاسلام، بل نجد أن المسلمين كما يخبر المفسرون المحدثون في تعدد باتباعهم لمناهج متعددة؛ مما يضعف كيانهم، وقد تجاوزت الخلافات والتفرقة الشعوب فطالت طلاب العلم والعلماء، الذين هم اللبنة الاولى للمجتمع المتكامل، واستشرت الخلافات على كل المستويات والأصعدة فشملت جميع نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسة وغيرها، وهذا مما لا شك يضعف كيان الأمة ويكسر شوكتها، والله تعالى أمرنا بعدم التنازع فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾ [الأنفال: 46].

ففي الوقت المعاصر أصبحت التشعبات واضحة جلية؛ لذلك فقد انبرى لهذه المعضلة

¹ الزحيلي، التفسير الوسيط 221/1.

العلماء المخلصون، للتصدي لمثل هذه النزاعات ونبذ الخلافات والتنازعات والصراعات؛ وذلك بلم الشمل، وكذلك بطرح منهج الاسلام الوسط المعتدل حتى يبتعد الناس عن العصبية المقيتة وعن شؤم الخلاف والتفرقة، وهذا منهج الأنبياء في التصدي للتفرقة والنزاع.

ومما يضاف في هذا الصدد، أن واقعنا المعاصر قد طغت الخلافات وصارت موجودة في الأصدعة، مما ليس موجودا في عصر المفسرين القدامى، والاختلاف والتفرق صار واضحا خاصة في المسائل الفقهية، وحتى المسائل التفسيرية، فعدم تقبل الرأي الآخر، سبب في التناحر بل حتى وصل الأمر إلى التقاتل، ففي هذا الجانب يرى الباحث أن رأي المحدثين أقرب إلى ملامسة الواقع في توصيفهم لهذه الفتنة.

الفرع الثاني: الفتن الدنيوية

أولاً: فتنة الأولاد: ثانياً: فتنة المال: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في تفسير هذه الفتنة كما يأتي:

1. رأي المفسرين القدامى فيهما أنهما بمعنى:

أ. الأولاد فتنة واختبار وابتلاء: قال الإمام الطبري في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا

أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] أي: "إن الأموال

التي منحكم إياها الله والأبناء الذين وهبهم لكم تعتبر اختباراً وابتلاءً، فقد منحكم الله

هذه النعم ليمتحن سلوككم في كيفية التعامل معها، وليرى كيف ستؤدون حقوق الله

المتعلقة بها، وما إذا كنتم ستلتزمون بأوامره ونواهيه فيما يخصها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ

عَظِيمٌ﴾، يقول: ينبغي أن تدركوا أن الله سبحانه وتعالى لديه جزاء عظيم وثواب وفير،

يتعلق بطاعتكم له في ما يأمركم به وينهاكم عنه، سواء في أموالكم أو أولادكم، التي

ابتلاكم بما في هذه الحياة الدنيا، لذا، يجب عليكم الالتزام بما كلفكم الله به في هذه الأمور، لكي تنالوا جزاءً وافراً وثواباً عظيماً في الآخرة"¹.

ب. أن الأولاد قد يكونون سبباً في شقاء أو حزن والديهم وكذلك يكونون سبباً في شقاء والديه وأذيتهما؛ بسبب جحوده وأنهما يفتنان به وبكفره قال الله تعالى: ﴿أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: 80]، قال الطبري: أي: "وأما الغلام، فإنه كان كافراً، وكان أبواه مؤمنين، فعلمنا أنه يرهقهما: يقول: يغشيهما طغياناً، وهو الاستكبار على الله، وكفراً به"².

ت. عدم الانشغال في المال عن طاعة الله: فإن الله تبارك وتعالى ذكر الإنسان دائماً بأن لا يجعل من المال سبباً لنسيان ذكر الله وأموامره ونواهيه، وأداء ما عليكم من الفرائض، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [المنافقون: 9] قال الإمام السمرقندي: "لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله يعني: عن طاعة الله تعالى"³.

ث. أن الإنسان سيبتلى في ماله: فقد بين الله تبارك وتعالى ذلك فقال ربنا: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ [آل عمران: 186] قال المفسرون القدامى عن هذه الآية: بمعنى لتختبرن

¹ الطبري، تفسير الطبري، 13 / 486.

² الطبري، تفسير الطبري، 18 / 85.

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، 3 / 453.

بالمصائب في أموالكم وتبطلون في أموالكم وأنفسكم يعني بالبلاء والمصيبات، ولتختبرن في أموالكم بالنقصان والذهاب، ويقال بوجوب الحقوق فيها¹.

ج. خطورة أكل المال الحرام وخاصة أموال اليتامى: ولشدة تعلق الإنسان بالمال فإنه يترك

ماله ويأكل من أموال اليتامى، يترك ماله الحلال ليأكل مال اليتامى ظلماً، وهذه من

طبيعة النفس أنها تميل للهوى والزيغ قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء:

2] قال الإمام السمرقندي: "يقول للأولياء آتوا اليتامى أموالهم التي عندكم إذا بلغوا

النكاح، يعني الحلم وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ يعني الحرام بِالطَّيِّبِ يعني بالحلال من أموالكم

يقول: لا تذروا أموالكم الحلال، وتأكلوا الحرام من أموال اليتامى، ويقال: لا تخلطوا

الخبِيث بالطيب، ويقال: لا تخلطوا من مالكم الرديء"²؛ لذلك قال الله في نهاية الآية

زجراً وتوعيداً لمن يأكل أموال اليتامى قال إنه كان حوباً كبيراً بمعنى: "إنمأً عظيماً"³.

2. رأي المفسرين المحدثين في فتنة الأولاد وفتنة المال:

أ. أن الأولاد بلاء ومحنة واختبار: فقد عبر الله تعالى عن فتنة الأولاد فقال: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ

وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] أي: "بلاء ومحنة واختبار قد يترتب عليهم الوقوع في الآثام

والشدائد، وكثيراً ما رأينا المال والأولاد يدفعان صاحبهما إلى فعل المهلكات ويحملان بعض

الناس على الغرور الكاذب، وارتكاب الآثام والفظائع ﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (6) أَنْ

¹ ينظر: مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 320، الطبري، تفسير الطبري 7/ 454، أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 271.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 279.

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 279.

رَأَهُ اسْتَغْنَى ﴿[العلق: 6، 7] والله عنده أجر عظيم، فانظروا إليه ودعوا المال والولد فإنه لن ينفعكم يوم الحساب"¹.

ب. قد يجمع الأب أمواله من الحرام في سبيل أولاده: والأنسان مستعد إلى تحمل المخاطر في سبيل توفير ما يلزم لأولاده بل حتى " تُعَدُّ تضحيات الآباء من أجل أبنائهم تجسيداً لحبهم العميق، حيث قد يتنازلون عن راحتهم الشخصية ويجمعون الأموال من مصادر متنوعة، سواء كانت حلالاً أو حراماً. كما يمكن أن يلجأ بعضهم إلى القيام بأعمال لا يرغبون في القيام بها من أجل إرضاء أبنائهم، في حين يمتنعون عن ممارسة بعض الأنشطة التي يرغبون فيها، استجابةً لمصلحة أولادهم"²

ت. زينة الأولاد في الدنيا قد تتحول إلى أعداء للإنسان: فهم زينة في الحياة، وقد تنقلب شؤماً على الوالدين، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: 14] معناها "يا أيها الذين آمنوا إن بعض أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم، حيث يفعلون معكم فعل العدو، ويكونون حجر عثرة أمامكم يمنعونكم من فعل الخيرات، وقد يدعونكم إلى ارتكاب الذنوب والآثام في سبيل راحتهم والحرص على سعادتهم ... إذا كان الأمر كذلك فاحذروهم، وقوا أنفسكم من شرورهم وآثامهم إن كانت لهم"³.

ث. الإنسان مستعد أن يحارب ويقتل ويهاجر من أجل المال: فالإنسان مستعد أن يفعل ما بدى له من أجل تحصيل المال، والإنسان مستعد أن يحارب ويقتل ويهاجر من أجل المال؛ لأنه فتنة كما أخبر الله تعالى عنه قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 3/ 690.

² محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 2/ 47.

³ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 3/ 689.

[الأنفال: 28] بمعنى "إن فتنة الأموال والأولاد عظيمة لا تخفى على ذوى الألباب، إذ أموال الإنسان عليها مدار معيشتة وتحصيل رغائبه وشهواته ودفع كثير من المكاره عنه، من أجل ذلك يتكلف في كسبها المشاق ويركب الصعاب ويكلفه الشرع فيها التزام الحلال واجتناب الحرام ويرغبه في القصد والاعتدال"¹.

ج. **طغيان بعض الناس بسبب المال** ويصبح همه الوحيد كيف يمكن أن يحصل على المال، ولا يهمنه إن كان المال من الحلال أم من الحرام: ومن خلال فتنة المال يتسرب الشيطان إلى النفوس، فيصبح الإنسان أعمى، ويصبح همه الوحيد هو كيفية الحصول على المال، ولا يهمنه إذا كان المال من الحلال أم من الحرام لذلك فإنه "يتعين التصدي للمتعة حتى لا ينحرف الإنسان نحو البحث عن ملذات أكثر استدامة وثباتاً، ولذا، فإن الله سبحانه وتعالى علمنا أهمية الإيمان بوجود أجر عظيم عنده، يُنال من خلال مقاومة فتنة المال، إن هذه المقاومة لا تعني الحرمان، بل تتطلب الحذر والالتزام بالضوابط الشرعية، وعدم تجاوز حدود الله تعالى... ولذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] وذلك أجر مقاومة الفتنة، والوقوف بالمحبة للمال والولد، عند الحد الذي لا تكون معه خيانة، ولا تجانف لإثم"².

3. مناقشة الآراء التفسيرية

فتنة الأولاد وفتنة المال من الفتن التي تصاحب الإنسان قديماً وحديثاً، وتدور معه في جميع أحواله ولا تنفك عنه، وهما يكونان مع الإنسان طوال حياته، ومن خلال الاطلاع على أقوال المفسرين القدامى والمحدثين، يرى الباحث أن فتنة الأولاد المال تطورت وصارت أكثر شؤماً على صاحبها

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 9/ 194.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 6/ 3108.

عبر تغير الزمن وعبر تغيير الناس نظرتهم لهتين الفتنتين، فنظرة المفسرين القدامى لفتنة المال والأولاد، كانت نظرة متقاربة لنظرة المفسرين المحدثين، من أنهما ابتلاء واختبار وفتنة، وكذلك قد يكونان وبالا على صاحبه، لكن مما تميز به المفسرين المحدثين في نظرتهم لفتنة المال خاصة، أن الناس في زماننا قد طغت عليهم المادة وحب التملك، فصار في هذا العصر جمع المال من أي طريق كان هو غاية بعض الناس، لذلك كان وقعها في النفوس أشد من ذي قبل.

ويختلف عن باقي العصور، فالإنسان في هذا العصر مستعد أن يتخلى عن قيمه ومبادئه، وفي بعض الأحيان يتخلى عن دينه من أجل المال، فيرى الباحث أن المفسرين قد اجتمعوا في أمور، وزاد المحدثون أموراً حدثت في زمانهم بسبب طغيان البشر، فيرى الباحث أن كلا الفرقين قد توافقوا على أمور وانفرد المحدثون بأمور تناسب عصرهم، فالباحث مع كلا الفرقين ومع زيادة المحدثين كذلك.

ثالثاً: فتنة الشهوات: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في تفسير هذه الفتنة كما يأتي:

1. رأي المفسرين القدامى فيها أنها بمعنى:

أ. الذي يُزِن الشهوات هي النفس والشيطان: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾

[يوسف: 53] قال السمرقندي: "يعني: مائلة إلى الشهوات إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي أَي: إِلَّا من عصمه الله

تعالى من المعصية"¹.

ب. أخبر الله تعالى أن الشهوات المذكورة في الآية هي متاع: حتى ينبه الناس أن هذه أمور

زائلة لا تدوم لأحد مهما بلغ من القوة والمنعة، وهو لا محالة ستزول، لذلك رغب الله

تعالى بعدها في تركها فقال: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ﴾ [آل عمران: 14] وإن الله

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 198.

تعالى "زهد في ذلك كله، ورغب في الآخرة فقال تعالى: تشير العبارة إلى أن متاع الحياة الدنيا، أي الفوائد والملذات التي يمكن الحصول عليها في هذه الحياة، هي زائلة ومؤقتة في المقابل، فإن الله لديه ما هو أفضل، وهو حسن المآب أو المرجع النهائي في الآخرة، الذي يتمثل في الجنة، والذي لا يتعرض للزوال أو الفناء ... ويقال للذين اتقوا الزينة، فلا تشغلهم عن طاعة الله عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يعني البساتين تجري من تحت شجرها، ومساكنها الأنهار، فهو خير من الزينة الدنيوية وما فيها"¹.

ت. الشهوات في الدنيا زينها الله تعالى للناس حتى قيل عن الشهوات: "ما أحد أشد لها ذما من خالقها"².

2. رأي المفسرين المحدثين فيها:

أ. الشهوات تمنع الإنسان في الارتقاء إلى معالي الأمور: فتعرض للمسلم في حياته (الشهوات) التي تكون حاجزا بينه وبين ارتقاءه في درجات الإيمان، وحاجزا بينه وبين السير بدون عثرات وملهيات، ولكن هيهات، فهذه هي سنة الحياة فقد "تعصف الأهواء بالنفوس، وتزيغ بالعقول، فلا عاصم من التردى في الشهوات ومتاهات الانحراف إلا الله، لذا أرشدنا الحق سبحانه إلى طلب الهداية والتوفيق منه، حتى نسير على منهج الحق والعدل، ونلتزم طريق الاستقامة والنجاة، وهو طريق الإسلام القديم المستمر الذي أنعم الله به على النبيين والصديقين والصالحين"³.

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 199.

² عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 2/ 607.

³ وهبة الزحيلي، التفسير المنير 1/ 58، وينظر: محمد عبد الرزاق، سبل علاج الشباب من الفتن ص 20.

ب. **واقعنا المعاصر اليوم مليء بالشهوات:** فنرى اليوم في واقعنا المعاصر الذي ملئ بالشهوات والمزينات، فأنى توجه أنظارك ترى الفجور وأهل المعاصي يملئون دنيا الناس، بل حتى "قد بلغ الفسق في هذا الزمن حدا صار الناس يظنون من الكياسة، وزالت غيرتهم، وأسلسوا القياد لنسائهم كما يسلسن لقيادتهم، فوهت الروابط الزوجية، ونخر السوس في سعادة البيوت، ووجدت الرذيلة لها مرتعا خصيبا في أجواء الأسر، حتى أصبح الرجل لا يثق بنسله، وكثرت الأمراض والعلل بشتى مظاهرها"¹.

ت. **طغيان الناس اليوم في تتبع الشهوات والملذات:** فتراهم مسعورون في اتباع الهوى واتباع الشهوات، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: 59] فهم اليوم قد "ارتكبوا شهوات أنفسهم، وآثروها على طاعة الله تعالى، أي: قام البعض بتنفيذ ما تشتهاه أنفسهم وتوجهت رغباتهم نحو المحرمات، مثل تناول الخمر، والدخان، والحشيش، وفعل الزنا، واللواط، وإدمان النظر إلى الأجنبية، والاختلاط بهن، وإضاعة الوقت في استماع الملاهي والنظر إليها، كالتلفزيون والفيديو، والاشتغال بما لا يبغي، من إكثار قيل وقال"².

3. مناقشة الآراء التفسيرية

بعد النظر في أقوال المفسرين القدامى والمحدثين يجد الناظر فيهما أنهما متقاربين جدا، من ناحية أن الشهوات موجودة قديما وحديثا، وهذا يؤثر على طريق الإنسان ويؤثر على دينه ومجتمعه، ولقد فسر القدامى الشهوات حسب ما موجود في عصرهم، من أنها متاع وأن النفس والشيطان هما اللذان يزينان للإنسان أعمالهما وفي قول آخر أن الله تعالى هو الذي يزين.

ولكن الناظر اليوم في طغيان الشهوات عند الناس في واقعنا المعاصر، يجد أنها أخذت حيزا كبيرا،

¹ محمد الأمين الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 6 / 32.

² محمد الأمين الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن 17 / 181.

وصارت تأخذ مساحات كبيرة في قلوب وعقول الناس مما يؤدي إلى ضياع الإنسان وهلاكه،
فيرى الباحث أن المفسرين المحدثين قد وقعوا على تفشي الشهوات في مجتمعاتنا، وقد لامست
أقوالهم ما نعيشه اليوم، فيميل الباحث إلى قول المفسرين المحدثين؛ لأنه أقرب إلى تصور الشهوات
وتنزيلها على الواقع.

الفصل الثاني: أقوال المفسرين في أسباب وقوع الفتن

تمهيد

تحتاج الفتن حياة المسلم من كل جهة، ويخوض الإنسان معركة ضد التصدي لها، وعدم الانقياد
لتبعاتها، ويحاول الإنسان قدر استطاعته، ألا يلج في ظلماتها ولا في تشعباتها؛ ولكن لا فرار للإنسان من
أن يقع في شباكه وفي مكائدها، حتى أن بعضهم، تأخذه الفتن مأخذاً بعيداً عن الحق وعن أهله؛ مما
يجعله محل اضطراب وتخبُّط؛ فلهذا السبب كان على الإنسان أن يبحث عن أسباب وقوعها؟ ومن أين
نشأت؟ وماهي التصورات التي من خلالها إذا اعتنقها وطبقها فإنه ينجو بنفسه من متاهات الفتن، صغيرة
كانت أو كبيرة، وأسباب الفتن هي المواطن التي من خلالها تقع على أرض الواقع.

والمسلم عندما يتتبع هذه الأسباب، فهو بذلك يجعل لنفسه حصناً منيعاً، في الصّد عن اللّوج
إلى تلك الفتن، وكيفية حماية ليس نفسه فقط؛ بل يتعدى الأمر إلى أن يعصم نفسه وأهله ومجتمعه منها،
بحيث لو عرف أسباب وقوعها لعرف كيف يتجنبها ويتخطاها بسلام، ويتمسك بما وجهه الله تعالى من
الطرق السليمة والأوامر الحكيمة، من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ليكون في بر الأمان من
شؤم الفتن، وقد تجاوز الباحث عن مذهبه في حصر القدامى في القرون الأولى؛ لصعوبة إيجاد الآراء،

ووسع آراء المفسرين القدامى ليشمل قرونا أخرى غيرها؛ وذلك للحصول على أسباب جوهرية علمية تثرى هذا البحث، ويكون فيه آراء من قرون متعددة؛ حتى يخرج البحث رصينا ذو جوانب متعددة، ويغطي الأسباب من كل جوانبها.

المبحث الأول: أقوال المفسرين القدامى في أسباب وقوع الفتن

للفتن أسباب إذا ما تحققت فإنها تقع وتشاهد للعيان، وأسباب الفتن كثيرة، ومن خلال الاطلاع على أسباب الفتن؛ فإنه يمكن للمسلم أن يتجنب هذه الأسباب خشية الوقوع فيها، وتختلف وجهات النظر في سبب وقوع الفتن من عصر إلى عصر، حسب المعطيات التي تكون في واقعهم ومعايشتهم، فأصحاب القرون القدامى، لهم نظرة تختلف عن أصحاب القرون المحدثه؛ وذلك لاختلاف العوامل والأحداث، واختلاف فهمهم لتلك الفتن ولحجمها وأثرها في حياة الإنسان.

فكل فتنة لها وقعها وتأثيرها على أرض الواقع، وعلى المسلم أن يبحث عن أسباب وقوعها، وعن بدايتها قبل وقوعها ليكون معافى سليماً، ويتكون حصن منيع للتصدي لهذه الفتن، وذلك على المستوى الفردي والاجتماعي. وبيان ذلك كما يأتي:

المطلب الأول: أسباب دينية

أولاً: فتنة الثبات على الحق: الحق هو الأمر الذي ينشده كل منصف عاقل؛ ليكون قويا في حياته يعرف ما له وما عليه، ويخوض الناس في أشكال من المعتركات في سبيل الوصول إلى الحق، وتأتي العواصف لتجنب الفرد والمجتمع من الثبات على هذا الحق، فكان لزاما معرفة أسباب وقوع هذه الفتنة؛ لكي يعرف المسلم كيف يخلص نفسه منها وهي كما يلي:

1_ عدم اختصاص أمته ﷺ دون الأمم بالفتن: فلقد بين الله تعالى لنبيه ﷺ أن أمته لا تختلف عن

باقي الأمم في إنزال الفتن عليها، وفي وقوعها، فإذا علمت الأمة هذا الأمر تشبثت بما أرسل الله لها من كتاب أو منهج، وقد بين الله تعالى لنبيه ﷺ أن أمته "ستبلى كما ابتليت الأمم، ثم أنزل عليه: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 93، 94]، استعاذ نبي الله، فاستجابت له العناية الإلهية، حيث لم يشاهد من أمته سوى التآلف والالتزام والطاعة، ثم أنزلت عليه آية تحذر أصحابه من الفتنة، مُبيناً أن هذه الفتنة ستخص بعضهم دون الآخرين¹.

وهذه من الأسباب التي تخص المجتمع بشكل عام ولا تخص الأفراد وحدهم، فكما كانت الفتن تقع على الأمم الماضية، وتجعلهم في حيرة من أمرهم، فكذلك أمة النبي ﷺ تقع عليها الفتن، حيث "لم يُعَفَّ هؤلاء من البلاء والحن، وذلك ليتبين صبرهم في الشدائد أو عدمه من خلال الضجر، وكذلك شكرهم في الأوقات السعيدة أو الكفر والنكران في مقابلها وفي إطار البلاء، تتنوع المواقف: فمنهم من يتحلى بالصبر في مواجهة المصاعب ويشكر الله في أوقات الرخاء، وهذه هي صفة الصادقين"².

وقد جاءت بعض الآيات مسلية للنبي ﷺ ومسلية لأُمته، أن الفتن والبلايا لم تقع عليكم فقط، بل وقعت على أُمم ماضية؛ حتى يميز الله الخبيث من الطيب قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 3] يعني: "اختبرنا الذين كانوا من قبل هذه الأمة وابتليناهم ببلايا فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا يعني: إنما يتبينهم لبيين الذين صدقوا من المؤمنين في إيمانهم وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ منهم فشكوا عند البلاء، ويقال: معناه لبيين صدق الصادق، وكذب الكاذب بوقوع صدقه، ووقوع كذبه"³.

¹ الطبري، تفسير الطبري 11 / 429.

² عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت) 3 / 87.

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2 / 625.

وإن الله تعالى لا يخص أمة دون أمة من الفتن؛ وذلك ليرى صدقهم وعزمهم في تحطّي تلك الفتن، وكيف يمكن لهم أن يتجاوزوها ويحصنوا أنفسهم منها.

2_ **عدم اتباع طريق الهدى:** اتباع الهوى هي أحد الآفات التي تؤدي إلى وقوع الفتن بشكل عام، وتؤدي إلى الوقوع في فتن الانزلاق في عدم الثبات على الحق، إذ هي من العوامل الرئيسة، التي تؤدي بصاحبها إلى منعطفات خطيرة، حتى أن الأقوام السابقة من بني إسرائيل، عندما يرسل الله تعالى إليهم الرسل، يرفضونهم ويرفضوا منهجهم؛ بسبب اتباعهم لأهوائهم، فلقد أخذ الله "ميثاق بني إسرائيل على إخلاص التوحيد، والعمل بما أمرهم به، والانتفاء عما نهاهم عنه، وأرسلنا إليهم بذلك رسلاً، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم، فريقاً كذبوا وفريقاً قتلوا، نقضاً للميثاق الذي أخذ عليهم، فالتكذيب اشتركت فيه اليهود والنصارى، والقتل هو من فعل اليهود خاصة، كانت تقتل النبيين والمرسلين إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر"¹.

فلم يكتفوا بعدم اتباع الأنبياء بل تجاوزوا إلى قتلهم والتنكيل بهم، بسبب اتباعهم للهوى، والطيش عن الحق، وهم بذلك يضرون أنفسهم ويوقعونها في البلى والخسران فهم "لقد انغمسوا في اتباع أهوائهم، مما أدى بهم إلى الوقوع في البلاء، ومن علامات الشقاء التماذي في السير خلف الهوى، معتقدين أن لا اختبار أو عقاب سيصيبهم، ولكنهم عميت بصيرتهم وأصموا آذانهم، فاستمروا في سوء أعمالهم مخدوعين بطول فترة الإمهال، وعندما حلّ بهم العقاب فجأة، لم يعد الندم ينفعهم، وأصبح الألم الشديد ملازماً لهم"².

فتقلب الهوى واتباع الباطل، تُنزل بأصحابها إلى البلاء والضلال، وهذه من البلى التي تعم

¹ أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: الشاهد البوشيخي (الإمارات: جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، 2008 م) 3/ 1810.

² عبد الكريم بن هوازن القشيري، تفسير القشيري 1/ 439.

المجتمعات والأفراد على حد سواء، ولم يصل الحد إلى إنزال البلاء فقط، بل يتعدى اتباع الهوى إلى "يتحدث النص عن تغيير النعمة وفقدانها، وهي حال قد يواجهها الإنسان إلا من كان في حفظ الله ورعايته، ثم ضرب الله له مثلاً فقال: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: 176] يقال: لُثَّ الكلب يلهث لهثاً ولهثاً¹.

فهو باتباعه لهواه ولتحيرها، تسوّل له نفسه أنه على صواب، وغيره على خطأ، فهو بذلك يوهّم نفسه أنه على الحق، وكذلك يضر بنفسه وبمجتمعه، إذا ما اتضحت له الحقيقة، ويوقعه في الندم؛ لأنه اتبع أناساً لا يعلمون ولا يعرفون طرق الحق ولا منهجه ويقول: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: 28]، وهذه الندامة في بعض الأحوال لا تنفع صاحبها؛ لأن الوقت قد انقضى وفات ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: 39] فيبقى في دوامة اتباعه للباطل دون الرجوع إلى الحق إلا ما رحم ربي².

فاتباع الهوى إذا سيطر على القلوب نزع منها حب الحق، وزرع مكانها حب الباطل، وموافقة الهوى "تنزل صاحبها من سماء العزّ إلى تراب الدّل، وتلقيه في وهدة الهوان"³.

3_ إطاعة الشيطان: من أحد أهم الأسباب المؤدية للفتن، هي اتباع طريق الشيطان، الذي يزين للناس الفتن على أنها هي الحقيقة المنشودة وهي التي تجعل الإنسان مع مصاف المؤمنين الصالحين؛ ولكن الحقيقة تختلف عن هذا المعنى تماماً، فالشيطان له طرق كثيرة لغواية الإنسان، ومن طرقه أنه يحرف صاحبه عن اتباع الآيات المنزلّة من رب العباد كما حصل مع بلعم بن باعوراء، قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ

¹ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، التفسير الوسيط، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، (لبنان: دار الكتب العلمية، 1994م) 2/ 428.

² ينظر: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تفسير القشيري 3/ 368.

³ أبو الحسن علي الواحدي، النيسابوري، تفسير القشيري 1/ 587.

الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ [الأعراف: 175] أي: "قص على قومك قصة الرجل الذي علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته، لكنه انخرط عنها وابتعد، حيث تخلى عن المعرفة التي وهبناه إياها وخرج عن طريق الحق الذي دُلَّ عليه"¹.

فهذا الشخص قد آتاه الله تعالى علما وفهما؛ ولكن تسلل إليه الشيطان، فأرداه في مستنقع الجهالة والضلال، قال ابن عباس: "أطاع الشيطان فكان من الضالين، نزلت الآية في بلعم بن باعوراء، كان عنده اسم الله الأعظم فقصده موسى بلده الذي هو فيه وغزى أهله وكانوا كفارا، فلم يزل قوم بلعم به حتى دعا عليهم، وكان مجاب الدعوة بذلك الاسم الذي كان عنده فاستجيب له، ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائهم، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ قال: بدعاء بلعم"².

فمع ما أوتي من معرفته باسم الله الأعظم، وعلمه واستجابته لدعائه، ضل وبعد عن منهج سيدنا موسى، وسار في طريق منحرف؛ بسبب نزوات الشيطان وتزيينه، ولو بقي على المنهج الصحيح لرفعه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 176] أي: "لكننا رفعنا مقامه ودرجته بفضل تلك الآيات، وأرحناه بالموت قبل أن يسقط في الكفر، ويُقال أيضًا إن المعنى هو: لو أردنا، لكننا منعناه من الوقوع في الكفر"³.

فطرق الشيطان من أحد الطرق التي تؤدي إلى الضلال وإلى الكفر بالله عز وجل؛ لأنه يزين الحقيقة على أنها باطل، ويزين الباطل على أنه هو الحقيقة، وهذه من المعضلات التي تواجه العامة والعلماء بشكل خاص، إذ ضلال العالم خطير على المجتمع؛ لأن لديه تبع ومؤيدين، فهم يسرون تبعا لما

¹ أبو الحسن علي الواحدي، التفسير الوسيط 2/ 427.

² أبو الحسن علي الواحدي، التفسير الوسيط 2/ 427.

³ أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (السعودية: دار الوطن، 1997م) 2/ 233.

جاء.

ولقد بين الله تعالى نهاية من اتبع الشيطان وطرقه؛ بأنه مثل الكلب قال الله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: 176] أي: "ضرب له مثلاً بأخس حيوان في أحس الحال؛ فإنه ضرب له المثل بالكلب لاهثاً، وحقيقة المعنى: أنك إن حملت على الكلب وطردته يلهث، وإن تتركه يلهث، فكذلك الكافر، إن وعظته وزجرته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال" ¹.

فمثل الله تعالى شأن الإنسان عندما يحيد عن الطريق ويتبع الشيطان؛ بأنه مثل الكلب الذي مهما فعلت له فإنه يلهث وراء الباطل، وهذا سبيل من اتبع الشيطان وسبيل من كفر بالله قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا﴾ [الأعراف: 176].

وقد يحجب الشيطان عن أصحابه الحق، بل ويزينه في أعينهم وقلوبهم، فيطغى الشيطان على عقولهم وقلوبهم، فلهم أعين لكن لا يبصرون بها، ولا ينظرون إلا من زاوية الفتنة، ولا يسمعون غيرها، ويكون طريقهم محفوفاً بالشهوات والمغريات فقط.

والشيطان ينصب العداوة للإنسان في كل نواحي حياته، ويزين له الشهوات والمغريات، ليصده عن طريق الهدى والنور، ويكون علاجه ودواؤه بأمور كثيرة منها "الشيطان عدو دائم للإنسان، وطريق معاداته تكون بالاستمرار في مخالفة أوامره وتجنب الوقوع في حبائله ومع ذلك، هناك من قد يظهر معاداة الشيطان بالكلام لكنه في الحقيقة يتبعه في أفعاله، لن تستطيع مقاومة الشيطان بفعالية إلا بالاستمرار في طلب العون من الله بصدق وإخلاص، فالشيطان لا يتوقف عن عداوته، ولذلك لا ينبغي للإنسان أن

¹ أبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني 2/ 233.

يغفل عن الاستعانة بربه ولو للحظة، لأن العدو يظل دائماً متربصاً ومتمكناً منك¹.

فدوام مراقبة الإنسان لنفسه، هو السبيل لعلاج وساوس الشيطان وطرقه؛ حتى لا يبقى الشيطان يترصده ويصدده عن طريق الخير والهدى.

4_ **الميل إلى الدنيا والسكون إليها:** الميل إلى الدنيا من العقوبات التي تحول بينها وبين الثبات على الحق، وهي طريق وعر تغر بصاحبها، وتجعله في دوامة التيه؛ لأنها خداعة مغرية، تجعل الإنسان في فتنة دائمة، وفي هو مستمر، والله تعالى دائماً يحذّر عباده بعدم الاغترار بالدنيا وزينتها قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان: 33] يقول: "فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذاتها، فتميلوا إليها، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم"².

فالله تعالى ينبه عباده على عدم الاغترار بزينة الحياة الدنيا، وعدم الافتتان بزینتها ومظاهرها الخداعة، والخلق دائماً معجبون بحسنها ورونقها فيؤدي ذلك إلى الفتنة بها، بل كان الكفار ينعمون بما بسط الله لهم من متاع الدنيا.

وقد أعلم الله تعالى عباده بأن الدنيا لعب وهو وسوف تغريكم بمتاعها فكونوا على حذر منها، ولا تجعلوها كل اهتمامكم، ولا تعطوها كل أوقاتكم، وبين الله لعباده أن الدنيا زينة وهو، وهي مقر وليس مستقر³، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20] يعني: "الحياة في هذه الدنيا تشبه اللعب واللهو، حيث إنها تملأها الأمور الغرورية التي تزول سريعاً، إن حياة الشخص تنقضي

¹ عبد الكريم بن هوازن القشيري، تفسير القشيري 3/ 193.

² الطبري، تفسير الطبري 20/ 158.

³ ينظر: البغوي، تفسير البغوي 1/ 270.

في مشاغل اللهو واللعب وتزيين متاع الدنيا، فيتفاخر بما لديه من أموال وأبناء أقرانه وجيرانه.. يُجمع المال بطرق غير مشروعة، ويتناول على الصالحين بفضل ثروته وخدمه وأبنائه، ليقتضي عمره في هذه الأمور دون أن يُولي اهتمامًا للعمل للآخرة¹.

ومن يلهث وراء متاع الدنيا وزينتها؛ فإنه يتجنب الثبات على الحق، ويسهل عليه تركه؛ لأن الدنيا قد استقرت في قلبه، وجعلته ضعيف الإيمان والثبات، وقد قال الله تعالى مبينا أنها فانية زائلة فقال: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: 39] يقول لهم: "الحياة الدنيا ليست سوى فترة عابرة تتاح لكم للاستمتاع بمتاعها لفترة محدودة، تليها الوفاة وزوال كل ما فيها بالمقابل، الدار الآخرة تمثل المكان الثابت الذي ستستقرون فيه، حيث لا موت ولا زوال لذا، ينبغي أن يكون العمل من أجلها هو الهدف الأساسي، ويجب أن تكون هي الغاية التي تسعون لتحقيقها"².

فالدنيا متاع قليل وزائل، وعلى العاقل أن يتزود من دنياه لآخرفته، ولا يلتفت إلى متاع الدنيا القليل؛ لأن متاع الدنيا من الآخرة قليل، كما أخبر بذلك ربنا جل شأنه، وارتضاء الحياة الدنيا على لقاء الله تعالى، تحجب المسلم عن ربه، وتجره إلى الغفلة واللهو، فمن تعلق قلبه بالدنيا نُزعت الآخرة من قلبه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: 7] فهؤلاء الذين آثروا الحياة الدنيا "لا يخافون البعث بعد الموت، ويقال: لا يرجون ثوابنا بعد الموت، وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يعني: اختاروا ما في الحياة الدنيا ... على ثواب الآخرة وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ... عن محمد ﷺ والقرآن معرضون فلا يؤمنون"³.

¹ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، 1422 هـ) 4/ 236.

² الطبري، تفسير الطبري 21/ 389.

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 105.

فبسبب تعلقهم بالدنيا تنحرف عقولهم وقلوبهم عن الحق وعن أهله، بل ويعادون دين الله تعالى؛ بسبب التعلق الزائد في هذا المتاع الزائل.

ثانياً: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: ولوقوع هذه الفتنة أسباب عدة:

1_ إظهار الله تعالى الصادقين من الكاذبين: من أهم أسباب هذه الفتنة هو إظهار معادن الناس، وإظهار صدقهم أو كذبهم، فهم يحسبون أن لا يقع عليهم اختبار أو امتحان، يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2] معنى ذلك: "يعتقد بعض الناس أنهم سيُتركون دون اختبار في تصديقهم لتوحيد الله عز وجل، وأنهم لن يواجهوا ابتلاءات في إيمانهم ولكن الله سبحانه وتعالى قد اختبر الذين سبقوهم من المؤمنين، مما يدل على أن المؤمنين من هذه الأمة سيواجهون بلاءً مشابهاً، والهدف من ذلك هو أن يُظهر الله صدق المؤمنين في إيمانهم من خلال صبرهم على ما يُصيبهم من بلاء في الوقت نفسه، سيتبين أيضاً المنافقون الذين يشككون في إيمانهم عند مواجهة الصعوبات"¹.

فأكثر الناس يحسبون أن يتركهم الله تعالى بدون ابتلاء أو امتحان، وهذا بجانب الصواب، بل لابد من أن تقع الفتن فيهم؛ وذلك ليرى الله تعالى صدقهم ويرى عزمهم، في تصديق الأنبياء والرسل، يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 3] يَعْني: "إن الابتلاء الذي يتعرض له المؤمنون يُعتبر وسيلة للتعرف على حالتهم وعمق إيمانهم، حيث يُفهم من هذا أن الله سيظهر ويدرك من بين عباده الذين صدقوا في إيمانهم، وهذا يستلزم تحققاً ملموساً من المصادقية، فالله هو الذي يجزي على هذا الصدق، ويشير هذا الابتلاء أيضاً إلى ضرورة التمييز بين الصادقين والكاذبين، مما

¹ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 372 / 3.

يساهم في إظهار الحقيقة في إيمان الأفراد"¹.

والسبب في اختبارهم بالصدق من الكذب في إيمانهم هو للتمحيص والتحقيق؛ ليرى قوة ثباتهم

في طريق الهدى، يقول الله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 141]

يعني: "وليختبر الله الذين صدّقوا الله ورسوله، فيبتليهم بإدالة المشركين منهم، حتى يتبين المؤمن منهم

المخلص الصحيح الإيمان، من المنافق"².

فالتمحيص هو الذي يظهر معادتهم وطبعهم، ويظهر من يتبع طريق الأنبياء ويتبع منهجهم؛

وحتى يجازي الله تعالى كل على حسب عمله، من الثبات على دعوة الأنبياء، أو صدهم ونكراهم

وبغضهم.

2_ **ظنهم الخاطئ بعدم العقاب وعدم ابتلاء الله لهم:** من يجادل في الله ويتصدى لدعوة الرسل، ويوجه

سهام شره على الناس ويدعوهم إلى عدم الانقياد لما جاء به الأنبياء، من منهج سليم يقوم سير الحياة،

فهذا لا مناص من عقابهم عاجلاً أو آجلاً؛ لأنهم يقفون عائقاً أمام منهج الله تعالى ومنهج المرسلين يقول

الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [غافر: 51] يعني

نصر رسلنا "بإعلاننا على من كذبنا وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويدلوهم بالظفر ذلة ... وكالذي

فعل بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذبه، وإما بانتقامنا ممن شاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم

وعاداهم"³.

فقد توعد الله تعالى بنصرة الأنبياء والرسل؛ لأنهم خلفاء الله تعالى في أرضه، وهم الذي يبلغون

رسالات الله تعالى، فإذا غُودوا وأُودوا وقُهِروا؛ فستموت دعوتهم وتندثر تعاليمهم، ويدب الجهل والظلام في

¹ أبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني 4/ 166.

² الطبري، تفسير الطبري 7/ 244.

³ الطبري، تفسير الطبري 21/ 400.

الأرض، فكان عقابهم وصددهم، هو لإعلاء الحق وإعلاء شأن من يتبع الحق، وهؤلاء بجهلهم يحسبون أن لا يُفْتَنُوا ولا يتعرض لهم الاختبار، كما قال الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة: 71] المعنى: وظن هؤلاء الذين أخذَ ميثاقهم أنه لا يكون لهم من الله ابتلاء واختبار بالشدائد من العقوبات، ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ أي: عن الحق والوفاء بالميثاق الذي أخذ عليهم¹.

3_ استهزاءهم في دعوة الأنبياء عليهم السلام: كل من يأتي بدعوة فيها صلاح البشرية، ونخصتها وسموها، لابد أن يواجه التصدي والاستهزاء، من أغلب الناس، وهذا هو ثمن الحق الغالي، الذي من أجله تقويم لاعوجاج الناس، وكلما أعلن الأنبياء عن دعوتهم وطريقهم المستقيم، يجدون من الناس الاستهزاء والاستكبار والاستنكار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الحجر: 11] يقول: "وما يأتي شيع الأولين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيده، والإذعان بطاعته ... إلا كانوا يسخرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم عتوا منهم وتمردا على رحم²".

فلم يسلم أحد الأنبياء من هذه السخرية؛ لأنهم يدعون الناس إلى الهدى والخير، فهذا الأمر يغيظ أهل الفسق والفجور، فيبدؤون بشن العداوة، من الاستهزاء والسخرية وغير ذلك، كما أخبر بذلك رب العزة فقال: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (6) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزخرف: 6، 7] فالمعنى "أن عادة الأمم مع الأنبياء الذين يدعونه إلى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء، فلا ينبغي أن تتأذى من قومك بسبب إقدامهم على التكذيب والاستهزاء لأن المصيبة إذا عمت خفت"³.

¹ ينظر: أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية 3/ 1810، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تفسير الثعلبي، تحقيق: عدد من الباحثين (جدة: دار التفسير، 2015 م) 4/ 95.

² الطبري، تفسير الطبري 17/ 69.

³ أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، تفسير الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ) 27/ 619.

ويخاطب الله تعالى نبيه ﷺ، بعدم الاكتراث لما يقوله قومه من الاستهزاء والتنفير لدعوته، فكما هم الآن يستهزؤون منك فإن كل الأنبياء من قبلك، سَخِرَ مِنْهُمْ أَقْوَامُهُمْ واستهزؤوا بدعوتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 10] " تُعتبر هذه الآية تعزية للنبي محمد ﷺ، حيث تهدف إلى تخفيف معاناته من تكذيب المشركين له واستنكارهم لما جاء به، وقد جعلت أسوة له بالأنبياء الذين سبقوه في مواجهة مثل هذه المواقف، كما تأتي هذه الرسالة كتحذير للمشركين من العقوبة الوخيمة التي حلت بمكذبي الأنبياء السابقين، الذين عانوا من عذاب الله نتيجة إنكارهم للحق"¹.

وكانت عادة كل من تكبر واستهزأ بدعوة الأنبياء، وتكذيبهم لما يقولون أن يلحق بهم العقاب آجلاً أو عاجلاً؛ وذلك حتى يعلم الناس أن الله تعالى لا يخذل أنبيائه ورسله _ حاشاه من ذلك _ وليرتدع كل من تسول لهم نفسه التصدي لشريعة الله تعالى في أرضه، كما تَوَعَّدَ بذلك ربنا فقال: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: 10] أي: "يا محمد كما استهزأ بك قومك في أمر العذاب فَحَاقَ بِالَّذِينَ يَقُولُ: وجب ونزل بالذين سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ بالرسول ... والحقيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فَعَلَّتْهُ نَفْسُهُ، كقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43]"².

فهذا وعد من الله تعالى بلحاق المكر والعذاب، لمن تسول له نفسه صد دعوة الأنبياء وتشويه دعوتهم؛ وذلك حتى يبقى الحق سائداً بين الخلق مهما علا صوت الباطل وتبجح.

4_ إنكارهم لمنهج الأنبياء ودعوتهم: لم يكتفِ أهل الباطل بالاستهزاء والانتقاص بدعوة الأنبياء فحسب، بل أنكروا كل ما جاؤوا به، وهو سبب كبير، في صد الناس عن دعوة ومنهج الأنبياء

¹ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، التفسير البسيط، تحقيق: مجموعة من الباحثين (السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، 1430 هـ) 8/ 29.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 436.

عليهم السلام، فهم يقفون ضد إيصال شريعة الله ومنهجه للناس، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: 34] قال ابن عباس: "كذبهم قومهم كما كذبك قومك على ما كذبهم قومهم، وصبروا على أذى قومهم بهلاك قومهم"¹.

فقد أعلم الله تعالى نبيه ﷺ بتكذيب الأقوام لأنبيائهم، والسخرية منهم، فعلى سبيل المثال، نرى أن قوم عاد لما جاءتهم الرسالة من عند الله تعالى عن طريق سيدنا هود، ما كان منهم إلا أن كذبوا به وبدعوته، قال الله تعالى حكاية عن قوم عاد: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [هود: 59] أي: "تعتبر قبيلة عاد مثالا على الجحود، حيث أنكرت آيات ربها وعصت رسله، والمقصود هنا برسله هو النبي هود فقط، إذ لم يُرسل إليهم سواه في تلك الفترة وعلى الرغم من ذلك، يُجمع بين الرسل في هذا السياق، لأن إنكار رسول واحد يُعدّ بمثابة إنكار لجميع الرسل"².

فهؤلاء يرفضون دعوة الأنبياء، ودعوة سيدنا هود عليه السلام؛ لأنهم أناس تكبروا وطمخوا في الأرض، وهم قد اتبعوا أمر كل مستكبر معاند لأنبياء الله تعالى، قال الله عنهم: ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: 59] أي: اتبعوا كل متكبر لا ينصاع للحق ولا يذعن له، وهو لا يقبل الحق بتاتا، ودائما يعترض بالخلاف لأنبياء الله تعالى ورسله، متكبر لا يقبل الحق ولا يذعن له ... والمعاند: المعارض لك بالخلاف³.

والسبب وراء هذا الجحود والإنكار على الأنبياء والسخرية منهم؛ لأنهم سيفقدون تقدمهم على أقوامهم ويفقدون الجاه والسلطان، فهم يتشبثون بكل عنفوانهم من أجل صد الأنبياء عن دعوتهم، وهذا

¹ مجد الدين الفيروزآبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص 108.

² أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تفسير الثعلبي 5/ 175.

³ ينظر: المصدر السابق.

وهو غاية الجهل والخسران، الذي يؤدي إلى الهلاك والعقاب، وهم قد قطعوا على أنفسهم الوصول إلى الحق، وبقوا قابعين في عتمة الظلام، معاندين للأنبياء ولدعوتهم، ومن كانت هذه حالتهم؛ فسيطاهم العقاب والعذاب من الله تعالى، فيها هم قوم موسى عليه السلام لما كذبوه وكفروا بدعوته وجحدوا منهجه¹ قال الله تعالى عنهم: ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: 54] يعني: "بكفرهم، وأغرقتنا آل فرعون يعني: فرعون لادعائه الربوبية؛ ولأنهم عبدوا غيري... كصنيع آل فرعون وقد أعطاه الله تعالى الملك والعز في الدنيا، ولم يغير عليه تلك النعمة، حتى كذب بآيات الله، فغيّر الله عليه النعمة وأهلكه مع قومه"².

فقد أهلك الله تعالى فرعون وجنده؛ لأنهم تصدوا لدعوة موسى عليه السلام، بعد أن أنفذ كل وسعه في سبيل دعوتهم إلى الهدى والنور وإلى الصراط المستقيم؛ لكنهم رفضوا وعاندوا وتكبروا وعادوا موسى عليه السلام، فنزل عليهم العذاب.

ثالثاً: فتنة الشبهات: وهذه أحد الفتن الكبيرة، وأسباب وقوعها كثيرة منها:

1_ إثارة الشبهات والشكوك: أنزل الله تعالى كتابه الكريم على رسله، وأمر رسله بتبليغ الرسالة إلى الناس، وأنزل الله القرآن محكما كله، من ناحية نظمه واسلوبه ولغته وغير ذلك، وبعض هذه الآيات متشابهات، من ناحية المعنى أو من ناحية الغموض، فيستغلها أصحاب النفوس الضعيفة في إثارة الشبهات والشكوك عند الناس، فهؤلاء في قلوبهم زيغ وهوى وضلال، كما بين الله تعالى فقال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

¹ ينظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تفسير ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ) 2/ 286.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 27.

وبين الله تعالى أن بعضهم في قلوبهم مرض وغواية، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾

[التوبة: 125] أي: في قلوبهم: "يعتبر الشك في الدين نوعاً من الأمراض القلبية، إذ إنه يعبر عن فساد

يحتاج إلى معالجة، تمامًا كما هو الحال مع الفساد الجسدي مما يستدعي ضرورة التعرف على الأسباب

والبحث عن العلاج المناسب له"¹.

فبسبب نفاقهم ومرض قلوبهم، يتبعون الشبهات ويثيرونها عند الناس؛ ليصدوهم عن طريق الله،

بعدها بين الله تعالى أنه لهم بالمرصاد، وهو عليم بما يفعلون فزجرهم وقال في حقهم: ﴿فَزَادْهُمْ رِجْسًا إِلَى

رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: 125] والمعنى: "زادتم كفرًا... لأنه ازداد كفرهم ... إثمًا وعذابًا إلى ما أعد لهم من

الحزبي والعذاب"².

وأحد طرق بث الشكوك والشبهات هي تشكيكهم في القرآن الكريم، بادعائهم أنه ليس بمعجز،

وهو من عند النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [يونس: 20] "وذلك

لاعتقادهم أن القرآن ليس بمعجز، وأن محمدا إنما يأتي به من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق

... يوضح الله تعالى في هذا السياق أن قدوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن لا يعد افتراءً

على الله، بل هو وحي مُنزل عليه من الله عز وجل"³.

فهم يُشيعون بين الناس أن القرآن محتلق مفتعل من عند النبي ﷺ؛ وذلك لإلقاء الشبهات حول

القرآن الكريم، ويريدون من ذلك إبعاد الناس عن قوة القرآن وصدقه، حتى أن الوليد بن المغيرة، عندما

سمع القرآن دُهل من فصاحته وبلاغته؛ لكنه أبى الإيمان به وبالرسول ﷺ، قال الله تعالى عنه: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ

وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [المدثر: 23، 24] أي: "أدبر عن سائر الناس إلى

¹ أبو الحسن النيسابوري، التفسير البسيط 99 / 11.

² أبو الحسن النيسابوري، التفسير البسيط 99 / 11.

³ أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 252 / 17.

أهله واستكبر أي تعظم عن الإيمان فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر وإنما ذكره بفاء التعقيب ليعلم أنه لما ولى واستكبر ذكر هذه الشبهة¹، فذهب يفكر بشيء يثير به الشبهات حول القرآن الكريم، وحول صدقه وإثباته، وهو في نفس الوقت، من يؤزهم إلى إثارة الشبهات هو الشيطان، الذي يزين لهم سوء ما يقولون؛ ولكن الله تعالى دائما بالمرصاد، لكل من يريد النيل من الإسلام ومن الأنبياء، ومن كتبه ولكي "يعلموا أن ما أحكم الله في آياته حق، وأن ما ألقى الشيطان باطل، ويزداد لهم يقين وبيان، فذلك قوله: فَيُؤْمِنُوا بِهِ، أي يثبتوا به على إيمانهم، ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 54]، يعني: فتخلص له قلوبهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 54]، يعني: إن الله عز وجل يتولى حفظ قلوب المؤمنين في أوقات المحن والابتلاءات، حيث لا يسلبهم المعرفة والإيمان حتى في ظل محاولات الشيطان لإغوائهم².

فالله تعالى يصد كل من يريد إلقاء الشبهات في دينه، ويردعهم عن قبحهم وعن اتهامهم الباطل، والله تعالى بالمرصاد لكل من يلقي الشبهات في دينه.

2_ ضعف الإيمان: من علامات وقوع الشبهات في القلوب هو ضعف الإيمان، وهذه القضية قد تجر إلى زعزعة الإيمان، وعدم استقراره، والله تعالى أمر عباده بالإيمان به وبرسله، وبالتصديق بكل ما جاء من عند الله قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ.....﴾ [الحديد: 8] يقول تعالى ذكره: "وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله، ورسوله محمد ﷺ، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك، ما قطع عذرکم، وأزال الشك من قلوبكم"³.

فقد أخذ الله ميثاق بيبي آدم كلهم، على الإقرار بوحدانية الله تعالى والإيمان به؛ ولكن بعض

¹ أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 707 / 30.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 466 / 2.

³ الطبري، تفسير الطبري 172 / 23.

الناس لا يقرون ولا يذعنون بذلك، وبعضهم هو مسلم بلسانه؛ لكنه يتتبع الشبهات، لضعف إيمانه وهشاشته، وإن الله تعالى أنزل القرآن واضحاً، لا اعوجاج فيه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الحديد: 9] أي: "هو الذي ينزل جبريل على عبده محمد ﷺ، يقرأ عليه آياتٍ بَيِّنَاتٍ يعني: آيات القرآن، واضحات بين فيها الحلال، والحرام، والأمر، والنهي، ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: 43] يعني: يدعوكم من الشرك إلى الإيمان"¹.

فالإيمان هو المعيار الثابت؛ ليكون المسلم على طريق واضح، محفوف بالهدى والنور، بعيداً عن إثارة الشبهات والنزوات التي تذهب بدين المسلم، وترديه في متاهات الطريق، ويجب على الإنسان أن يتسلح بسلاح التقوى والإيمان؛ حتى يكون مستعداً لمواجهة الشبهات التي تحيط به.

3_ الجهل وعدم المعرفة التامة: الجهل هو آفة مدمرة للأفراد والمجتمعات، وهو داء ينخر في جسد المجتمع، وقد يوقع الجهل في الشرك، ولقد وصف الله تعالى المشركين بالجهل قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: 111] يقول: "ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون ... ويحسبون أن الإيمان إليهم، والكفر بأيديهم، متى شأؤوا آمنوا، ومتى شأؤوا كفروا، وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضلته"².

فقد وصفهم الله تعالى بالجهل؛ لأن الجهل هو الذي أوقعهم في شرك الجهالة، ولو عرفوا العلم؛ لكان حالهم قد تغير، وآمنوا بالله تعالى، وقد يوقع الجهل بأصحابه بالابتعاد عن الحق، وعن ملة الإسلام، وعن الطريق الصحيح، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: 130] معناه "إلا من سفهت نفسه ... ومعنى: السفه، الجهل، فمعنى الكلام: وما يرغب عن ملة إبراهيم الحنيفية، إلا سفيه جاهل

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3/ 403.

² الطبري، تفسير الطبري 12/ 47.

بموضع حظ نفسه فيما ينفعها، ويضرها في معادها"¹.

فالجهل مدمر للعقول والقلوب، وهو حاجز دون الاطلاع على الحق، وربما يستدرجه الجهل إلى فعل أشياء يراها صحيحة وهي ذميمة مؤذية له ولمن حوله، فهذا سيوقع الضرر عليه وعلى مجتمعه، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.....﴾ [الكهف: 104].

رابعاً: **فتنة الاختلاف والتفرق**: التفرق أمر ذميم، يعكس تشرذم الأفراد والمجتمعات، ويوهن كيان الأمة، ويجعلها محلاً للنزاعات والشقاق، وفتنة إذا حلت في المجتمع جعلته في ضياع ووهن شديد، ولهذه الفتنة أسباب في وقوعها وهي كما يلي:

1_ **اتباع الأمم السابقة**: مما لا شك فيه أن الأمة هي امتداد لما قبلها، وتستمد قوانينها وعاداتها وحياتها الاجتماعية والسياسية من سبقها؛ ولكن إذا كانت تسير وفق منهج صحيح سليم، فهذا لا غبار عليه، أما إذا كانت تسير وراء الأهواء والنزوات، والتعدي على الغير، وانتهاك الحرمات والعبث في حياة الناس، وكثرة التناحرات، فهنا تكمن الخطورة، فسيحل الخلاف والتفرقة، وكان المشركون يدعون أنهم على دين وملة صحيحة، جاء في تفسير الإمام مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22] أي: "على ملة"، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23] أي: نَقْتَدِي بِفِعْلِهِمْ"².

فبرفضهم لشريعة الله تعالى عزفوا عن الطريق الصحيح، وتشبثوا بدين آبائهم، فأحدثوا الفرقة والخلاف فيما بينهم.

ولقد نهانا الله تعالى ونبيه ﷺ عن اتباع من قبلنا، من أهل الجهل والضلال، ممن سبقنا وجعل اتباعهم علامة من علامات الساعة، فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى

¹ الطبري، تفسير الطبري 3/ 90.

² الإمام مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ص 593.

تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شيراً بشير، وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك»¹.

وكل من اتبع الآباء والأسلاف من أهل الأهواء فسيكون عليهم وبالاً وخسراناً في الآخرة ويتبرؤون من أتباعهم قال الله عنهم: "عندما تبرأ القادة من الأتباع، أدرك الجميع عواقب أفعالهم، ورأوا العذاب الذي حل بهم، حيث انقطعت جميع الروابط بينهم، فقد فقدوا المنازل والأرحام التي كانت تجمعهم بسبب معاصيهم، وتحطمت الأواصر التي كانت تربطهم في غير طاعة الله، في هذه اللحظات، ندم الأتباع وقالوا: "لو كان لنا فرصة أخرى للعودة إلى الدنيا، لتبرأ من هؤلاء القادة كما تبرؤوا منا في الآخرة." وهنا، يأتي قوله سبحانه: "ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض، ويلعن بعضكم بعضاً"، مما يعكس كيف سيظهر الله للأطراف المختلفة أعمالهم، وستكون تلك الأعمال سبباً لندمهم، ولن يستطيعوا الخروج من النار"².

فعدم انقيادهم لمنهج الإسلام تبرأ منهم من كان يتبعهم، وتقطعت بهم أسباب الوحدة، وتفرق عنهم من كان يساندتهم في الدنيا، وهذا سبيل من اتبع أهواء وضلال الأمم السابقة، ولم ينقاد إلى المنهج السليم.

2_ اتباع الهوى: إذا كان الإنسان يتبع هواه، فسيؤدي هذا الأمر إلى ترك الجماعة والاختلاف والتشردم؛ لأن الهوى دائماً يُضل صاحبه إلى شطط الطريق ومنحدرات الفكر، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23] أي: "أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحق الذي له الألوهة من كل شيء ... وخذله عن محجة الطريق،

¹ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم» 9/ 103 حديث رقم 7319.

² مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 154.

وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كل آية¹.

فهو مستعد لشق الصف، وإبراز العداوة، والابتعاد عن مواطن الخير؛ بسبب تعلقه بهواه، بعدها

قال الله تعالى مبينا حاله بأنه ليس من أهل الهدى: ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً

فَمَنْ يَهْدِيهِ﴾ [الجاثية: 23] يعني: "خذه الله، فلم يسمع الهدى، وقلبه يعني: ختم على

قلبه، فلا يرغب في الحق وجعل على بصره غطاء، كي لا يعتبر في دلائل الله تعالى"²، فهذا مآل من

تمسك بهواه، وعمي عن الحق وعن الطريق الصحيح وعن الجماعة.

3_ اتباع الشيطان: اتباع الشيطان والسير خلف وساوسه يوقع الإنسان في الخلاف والتفرقة والعداوة؛

لأنه خلق من نار فيؤجج ويثير المقابل بوسوسته، ويوقع أتباعه في الزيف والهلاك ويزين الضلال على أنه هو

الهدى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: 91]، فهو

يوقع بين الأصحاب العداوة والبغضاء، والفحشاء؛ ليعادي بعضكم بعضاً، فيشتت أمركم بعد تأليف الله

بينكم، وجمعه بينكم بأخوة الإسلام ويصدكم عن ذكر الله³، فهذا ديدنه وهذا سبيله، من أجل أن يوقع

بين المسلمين ويفرقهم ويشتت أمرهم، ويزيل الألفة والمحبة بين القلوب.

المطلب الثاني: أسباب دنيوية: وهذه الفتن في أسباب وقوعها أسباب عدة نجملها في عدة أمور وهي

كما يلي:

أولاً: فتنة الأولاد ثانياً: فتنة المال

1- الانشغال بالدنيا عن الآخرة والاستعداد لها في التفريط في الصالحات: إن الأولاد نعمة من نعم

الله تعالى التي ينعم بها على عباده في الحياة الدنيا، وبنفس الوقت جعل الله الأولاد فتنة واختباراً للناس؛

¹ الطبري، تفسير الطبري 22 / 76.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3 / 279.

³ ينظر: الطبري، تفسير الطبري / 565، أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 12 / 424.

ليعلم الله هل يتعلق هذا الانسان بربه أو أنه يؤثر أولاده ويفضلهم على طاعة ربه؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 15، 16] يعني "بلاء عليكم في الدنيا. ... وقوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: 15] يقول: والله عنده ثواب لكم عظيم، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم، وأطعتم الله عز وجل، وأديتم حق الله في أموالكم، والأجر العظيم الذي عند الله الجنة"¹.

فمن اتبع أولاده واتباع ما تريده نفسه من الأموال ضل عن السبيل، وانحاز إلى الخسران وصارت محنة عليه وبلاء، قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] أي: "محنة يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنُّبه ولذلك مال أبو لبابة إلى قُرَيْظَةَ في اطلاعهم على حكم سعد لأنَّ ماله وولده كانت فيهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن أدى الأمانة ولم يخن"².

وهناك معنى آخر لهذه الآية في سبب هذه الفتنة في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] أي: "سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب أو محنة من الله كيف تحافظون فيهم على حدوده لا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فعليكم أن تحضروا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على تجمع المال وحب الولد"³.

¹ الطبري، تفسير الطبري 23 / 426.

² أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (دمشق: دار القلم، دار الشامية، 1415 هـ) 437.

³ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي (بيروت: دار الكلم الطيب، 1998 م) 1 / 640.

وقد نهى الله تعالى عن الانشغال بالأموال والأولاد واللهم بما عن ذكر الله ونسيان طاعته؛ لأن كل ما يشغل عن ذكر الله تعالى، فهو خسران وغير نافع، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ يقول: لا توجب لكم أموالكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ اللهم ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهو من ألهيته عن كذا وكذا، فلها هو يلهم لها... وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يقول: ومن يلهم ماله وأولاده عن ذكر الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقول: هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى"¹.

2 - الحرص على المال والأولاد يدفع على الوقوع في المحرمات: الحرص الشديد على المال والأولاد، يوقع صاحبها على تجاوز حدود الله تعالى، وبالتالي يوقع صاحبها في البغي والخيانة؛ ولأنهم "يُعزى الوقوع في الإثم أو العقاب، أو التعرض لمحنة من الله تعالى، إلى وجود اختبار في العلاقات مع الآخرين، لذا ينبغي على الأفراد أن لا يدفعهم حبهم لهؤلاء الأشخاص إلى الخيانة، كما حدث مع أبي لبابة، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم، فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه"².

فقد يجر التعلق بالمال إلى ما لا يحمد عقباه، وإلى الخيانة بل وفي بعض الأحيان التعدي على حدود الله، وقد جعل الله تعالى الأموال والأولاد فتنه؛ لأنهم "يعود سبب الوقوع في الفتنة، التي قد تتمثل في الإثم أو العذاب، إلى محنة يبتليكم بها الله تعالى ليمتحن مدى حرصكم على الالتزام بحدوده. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، فعليكم أن تنوطوا بطلبه، وتزهّدوا في الدنيا، ولا تحرصوا على جمع المال وحب

¹ الطبري، تفسير الطبري 407 / 23.

² ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ) 56 / 3.

الولد، حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما"¹.

فلا بد للإنسان أن يحذر من هذه الفتن؛ حتى لا يقع فريسة سهلة في مكائد الشيطان، ومكائد الهوى؛ بسبب تعلقه الكبير في حب المال والأولاد، وما قصة أبي لبابة ببعيد فمما نزل في "أبي لبابة وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم، وقيل: إنه عام في جميع الناس وذلك أنه لما كان الإقدام على الخيانة في الأمانة هو حب المال والولد، نبّه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ على أنه يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد؛ لأن ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن"².

ثم بين الله تعالى أن من أتقى الله تعالى فإن الله عنده أجر كبير عظيم؛ ونبه الله تعالى عباده على ترك التعلق بهذه الفتن؛ لأنها مما يوقع العبد في الهاوية وفي الشر الكبير.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: لمن أدى الأمانة ولم يخن أن سعادة الآخرة هو ثواب الله أفضل³.

3_ **الانتهاء بالمال سبب في الهلاك والخسران:** من تمسك بالمال وأولع به وصار شغله الشاغل؛ فسيكون مآله إلى الخسران والنبور والهلاك، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9] معناها: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ... لا توجب لكم أموالكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ اللهو ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهو من ألهيته عن كذا وكذا"⁴.

¹ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري، تفسير الزمخشري (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407 هـ) 2/ 214.

² علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بالخازن، تفسير الخازن (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ) 2/ 306.

³ علاء الدين علي بن محمد الخازن، تفسير الخازن 2/ 306.

⁴ الطبري، تفسير الطبري 23/ 407.

وقد حذر الله تعالى هنا من أن يكون الإنسان معتمدا على ماله وولده، وتكون سببا في لوه وغيه عن طاعة الله تعالى، فهذا الأمر فيه ابتعاد عما أراده الله تعالى من الإنسان، ونبه الله تعالى لذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يقول: ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقول: هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى، المغبونين بذهاب الدنيا وحرمان الآخرة¹.

ولقد قصّ لنا القرآن الكريم شواهد وأحداثا من قصص القرآن، التي جعلها الله محط عبرة لنا على مر العصور، حيث ذكر الله تعالى لنا قصة أصحاب الجنتين، الذي كان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً، وكانت عامرة بالزرع ويجري من تحتها النهر، قال الله تعالى حكاية عن هذه القصة: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 32 - 34] إلى أن قال ربنا: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: 35] وقال له صاحبه المؤمن زاجرا له وناصحا له؛ لكنه أبى النصيحة ورفضها قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: 39 - 42] ومعنى: فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا، أي: "فتصير تراباً أملس لا نبات فيها، أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا، أي غائراً ... فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا، أي حيلة ... فأهلك جميع ماله، ... أصبح يُظهر ندمه ويصفق بيديه على ما أنفقه من أمواله، حيث تدهورت حالته المالية بشكل كبير، ويتأسف في الآخرة

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 23/ 410، أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3/ 453.

قائلاً: "ليتنى لم أكن أشرك بالله أحداً في حياتي الدنيا"¹.

فكان حب المال والأولاد سبباً في هلاكه، وكذلك بسبب نكرانه نعم الله تعالى عليه، وعدم شكرها، فكل نعمة ينعمها الله تعالى على عباده، لا بد من إيجاد مقابل هذه النعم، الحمد والشكر لله تعالى على جزيل عطاياه وكريم فضله ومنه؛ ولكن الإنسان يطغى ويتجبر، وينسى خالقه وربّه.

وعلى الإنسان أن يعلم "أن الأموال والأولاد لا تقرب الخلق إليه وإنما يقرهم إليه تقوى الله، ومعاملته فيهم، وحذر سبحانه عباده أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، وأخبر أن من ذلك فعل فهو الخاسر حقيقة لا من قل ماله وولده في الدنيا، ونهى نبيه أن يمد عينيه إلى ما متع به أهل الدنيا فيها فتنة لهم واختباراً وأخبر أن رزقه الذى أعده له في الآخرة خير وأبقى من هذا الذى متعوا به"².

ثالثاً: فتنة الشهوات: لقد خلق الله تعالى الإنسان مركباً من جسد وشهوة، وخلق الملائكة من أجسام نورانية وعقل لكن بلا شهوة، وخلق الحيوانات والبهائم من جسد ظلماي مع الشهوة، فإن الإنسان إذا اتبع ما أمر الله به، وتجنب الشهوات في الحرام، فقد يرتقي إلى مرتبة الملائكة، أما إذا اتبع الشهوات المحرمة، فقد ينزل إلى مرتبة الحيوانات، بل أدنى وأقل من الحيوان فيقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

فيجب على الإنسان أن يطيع الله تعالى ويحتجب الشهوات؛ فإنها توقع في المهالك، وقد تجر فتنة الشهوة إلى الشبهات، فالشهووات هي اتباع الهوى والتمادي في الغي، فالإنسان إذا تمادى مع نفسه وأطلق لها العنان في كل ما تشتهيه، فإن ذلك سيجره إلى تلبية هواه حتى في الأمور الشرعية الاعتقادية أو

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 348.

² محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (دمشق: دار ابن كثير، 1989 م) 173.

الأحكام الشرعية الأخرى، مما يجعله يبيّن أحكاماً توافق هوى النفس والشهوة فيقع في الشبهات والمحرمات، ومن أكثر المعاصي التي توقع صاحبها في الشهوات هي:

1_ الافتتان بالنساء: فقد أمرنا الله تعالى باجتناب كل ما يؤدي إلى فتنه النساء، وذلك لكثرة

الفساد باتباع النساء، ونحانا عن كل ما يؤدي إلى الفتنة بهن، ومن هذه الأمور التي أمر باجتنابها أو أمر النساء بها لعدم الافتتان، فقد نهى الله تعالى من النظر إلى النساء فإنه سهم من سهام إبليس، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: 30].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: "﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله وبك يا محمد يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ أن يراها من لا يحلّ له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ يقول: فإن غضها من النظر عما لا يحلّ النظر إليه، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين، أظهر لهم عند الله وأفضل"¹.

ففتنة النساء من أشد الفتن التي تصيب المسلم، لذلك فإن الله تعالى قد أمر بمقدمات الافتتان بالنساء؛ حتى يتحصن المسلم لنفسه ولا يقع في النظر، وقد يجز النظر إلى الشهوة وإلى اللبس ثم الزنا والعياذ بالله، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: 30] يعني: "المعنى المقصود هنا أنه يُطلب من المؤمنين أن يغضوا أبصارهم عما لا يحلّ لهم النظر إليه، يفهم هذا التوجيه بأنه دعوة لتجنب النظر إلى المحرمات، بينما يمكن النظر إلى ما هو مباح، لذا، فإن الأمر بالغض يكون مرتبطاً بالتبويض، حيث يفترض عدم الغض عن الأمور المباحة.... وقوله تعالى: وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ يعني: عما لا يحلّ.... وكل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا

¹ الطبري، تفسير الطبري 19 / 154.

يقع بصر الغير عليه"¹.

فالمسلم يجب عليه أن يتقي هذه الفتنة، وأن لا يطلق بصره يمينا وشمالاً؛ حتى يحصن نفسه من فتنة النساء، ولا يقع في المحرمات، يقول النبي ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»².

فعندما يتزين النساء فإنهن يجلبن الضرر للرجال، والتزيين من الشيطان؛ لأنه يدعوهم إلى إغواء الرجال، وهذا أمر محرم ممنوع في ديننا الحنيف، ولرب سائل يسأل "كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج؟ قلت لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ يعني غض البصر وحفظ الفرج ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ يعني أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم"³.

فعلى الرجال أن يعضوا من أبصارهم، حفاظا على أنفسهم من هذه الفتنة الكبيرة، التي تضر بالنساء والرجال على حد سواء؛ لذلك فقد أمر الله تعالى النساء بلبس الحجاب، حتى لا ينظر الرجال إلى مفاتن النساء فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53]، أي: إذا سألتم أزواج النبي ﷺ من متاع البيت، فخاطبواهم من وراء الباب والستر، قال مقاتل: "أمر الله تعالى المؤمنين ألا يكلموا نساء النبي إلا من وراء حجاب"⁴.

والسبب أنهم يسألونهم من وراء حجاب، وذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الريبة والشك، ودفعاً للحرص⁵.

¹ علاء الدين علي بن محمد الخازن، تفسير الخازن 3 / 292، وينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2 / 508، أبو القاسم محمود الزمخشري، تفسير الزمخشري 3 / 229.

² أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، 8 / 7، حديث رقم 5096.

³ علاء الدين علي بن محمد الخازن، تفسير الخازن 3 / 292.

⁴ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 3 / 504.

⁵ ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3 / 70.

وقد أمر الله تعالى النساء كذلك أن يَغْضُضْنَ من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زینتهن، فقال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: 31] معناها تغطي وتستر " تتعلق الآيات بوجوب التزام النساء بغطاء الوجه والكفين، وكذلك بمكان ارتداء الأساور، كما تُشير الآيات إلى ضرورة تغطية الصدر بالْحُمْر (الغطاء) وعدم إظهار الزينة إلا لأزواجهن، وهذا يعكس توجيهًا إلهيًا يحث النساء على التحلي بالحشمة والحياء في مظهرهن ...¹.

ثم خاطب الله الرجال والنساء بأنه عليهم بهم، وبما يصنعون فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30] يقول: "إن الله ذو خيرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له"².

2_الاقتتان بالمال وحب الجشع: فإن من الشهوات الدنيوية هي شهوة المال التي تجعل صاحبها يتكبر على الناس ويتفاخر، وقد يظن بأنه هو صاحب الفضل في هذه الأموال، ولا ينسب الفضل لله تعالى، بل يتناول ويتمادي إلى أن يتحدى غيره، أو يأخذ المال بأي سبب سواء كان هذا السبب مشروعاً أم غير مشروع، وسواء كان من الحلال أو أكل أموال الناس بالباطل بالرشوة والربا وغيرها.

ومن أمثلة من أغتر بماله فأصبح همه التفاخر بالأموال وجمعها وتكثيرها ونسب فضلها لنفسه، هو قارون_ الذي فصل الباحث فيه القول قبل قليل _ حيث أعطاه الله تعالى من الكنوز الشيء الكثير حتى أنه من كثر وكبر خزائنه وصف الله مفاتيح خزائنه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص: 76].

¹ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 3/ 196.

² علاء الدين علي بن محمد الخازن، تفسير الخازن 3/ 292 ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 508، أبو القاسم محمود الزمخشري، تفسير الزمخشري 3/ 229.

فكان جوابه على قومه بكل تكبر وبكل فخر ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: 78] أي:

"على فضل علمٍ عندي وكنت بذلك العلم مستحقاً لفضل المال"¹. {فبغى عليهم} فتجاوز عليهم بالكبر والتجبر والبذخ وكثرة المال².

حتى أصبحت شهوة الأموال عنده تفوق كل شهوة ومتعة، فبسبب شهوته للمال والتملك طغى وتجبر فأصبح من الهالكين.

3_ **الافتتان بالمنصب والجاه:** قد يغتر قسم من الناس بالمنصب والجاه فتكون فتنة له، وما أكثر من اغتر بمنصبه وجاهه، ومن أكثر من كان الجاه والسلطة والمنصب له فتنة هو فرعون، فقد كان ذا سلطه وجاه، واستخف قومه فأطاعوه، ثم بعد ذلك ادعى أنه إله يعبد من دون الله تعالى فقال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24] والأعلى هو: "المختص بعلو معنى صفته على غيره مما لا يناله بكيد وينال هو به، كأنه قال: أنا الذي أنال بالضر من شئت ولا ينالني غيري، وكذب لعنه الله لأن هذه صفة الذي خلقه وخلق جميع العباد ... قال يا معشر الناس أنا ربكم الأعلى أي: نادى بهذا، وقيل: كلمته الأولى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]"³.

فكانت عنده صفة التعالي والتكبر، ويحسب أنه يستطيع أن يفعل بملكه بمحض هواه وشهوته، وكان في نفس الوقت جباراً ظالماً فجمع قومه فنادى فيهم فقال لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، تمردا على الله وطغيانا⁴. ثم نادى في قومه بأنه الملك المطلق لهذه البلاد، وأنه المتسلط الوحيد لهذه الأرض تغطرسا وتجبرا

¹ أبو الحسن علي الواحدي، الوجيز للواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (دمشق: دار القلم، الدار الشامية، بيروت 1415 هـ) ص 825.

² ينظر: الطبري، تفسير الطبري 19/ 616، الواحدي، الوجيز للواحدي ص 825.

³ محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، تفسير ابن فورك، تحقيق: علال عبد القادر بندويش (السعودية: جامعة أم القرى، 2009 م) 3/ 142.

⁴ أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية 12/ 8037.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَمْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
[الزخرف: 51].

ثم يبين لهم على دعواه، أنه يملك ذلك، وهو قادر على التحكم بحكم هواه وشهوته في سلطانه، فشدّة تعلقه بالدنيا وفرط شهوته بالسلطة والجاه، عمي وطُمست بصيرته فقال استشهدا لفعله ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: "أفلا تدركون، أيها القوم، ما أتمتع به من النعيم والخيرات، وما يعانيه موسى من فقر وعي في اللسان؟ إذ أفتخر بملك مصر، الذي هو عدو لله، وما تمكّن لي من الدنيا هو استدراج من الله وقد ظننت أن ما أنا فيه قد حصلت عليه بقدرتي وحولي، وأن موسى، لما لم يصل إلى ما أصفه من الملك والنعمة، يُنظر إليه على أنه في حالة من المهانة، أُحتجّ بذلك على جهالة قومي، قائلاً إن موسى، لو كان صادقاً في ما يحمله من الآيات والعبر، وأن ما يفعله ليس سحراً، لكان قادراً على نيل الملك والنعمة مثلما أتمتع به، وهذا جهل مني بالله واغترار بإمهاله لي"¹.

وفرعون يتبجح بملكه وسلطانه على الرقاب، وقد طغى في البلاد، حتى أنه صار يوصف نفسه بأنه أفضل البشر، وهو في الحقيقة من أراذل الناس فقال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: 52، 53] أي: "يقوله تعالى ذكره مخبراً عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه، وبيان لسانه وتمام خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى: أنا خير أيها القوم، وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده، والآفة التي بلسانه"².

¹ الطبري، تفسير الطبري 617 / 21.

² المصدر السابق.

فأهلكه الله تعالى لتجبره ولجوره وظلمه، وعناده المميت، ومن وحشيته البشعة في التقتيل والتنكيل
لبنى إسرائيل، فجعله الله عبرة لمن اعتبر في غرقه.

المبحث الثاني: أقوال المفسرين المحدثين في أسباب وقوع الفتن

جعل الله الفتن في كل عصر من العصور، فلكل عصر فتنة، ربما تختلف هذه الفتن من عصر لآخر،
حسب معطيات حياة الناس، وحسب تغلل نفوسهم فيها، ومما لا يخفى على أحد، أن لكل شيء
مقدمات وأسباب ومسببات، وتختلف أسباب الفتن من زمن لآخر، حسب نظرة الناس للفتن، وكذلك
تختلف نظرة المفسرين لمعرفة أسباب وقوع الفتن من عصر لآخر، لاختلاف العوامل الموصلة إلى تلك
الفتن، وهناك أسباب عامة للوقوع في الفتن وأسباب خاصة، كذلك هناك أسباب خاصة بالأفراد، وهناك
أسباب عامة للمجتمعات، ففي أثناء البحث يظهر الفرق بين تلك الأسباب، والمسلم لابد له من معرفة
مقدمات الفتن؛ لكي يكون على دراية واضحة بطبيعة الفتن؛ حتى يحصن نفسه من الوقوع فيها؛ ولكي
نحفظ المجتمع في الانزلاق في تلك الفتن، التي من شأنها أن تشتت أواصر المجتمع وتجعله هشاً، متزعزعا
غير متماسك.

المطلب الأول: أسباب دينية

أولاً: فتنة الثبات على الحق: ولأسباب وقوع هذه الفتنة أمور عدة وهي كما يلي:

1_ عدم تحمل المشقة والأذى: فطريق الحق محفوف بالمكاره والعقبات، ولا بد للمسلم من أن يكون
جلداً قويا أمام الصعاب، ويتحمل أعباء الحياة؛ لينجوا من المهالك ويثبت على الحق المبين، قال الله
تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

مَعَهُ مَتَى نَصَرُ اللَّهُ ﴿ [البقرة: 214]، فيبين الله تعالى هنا لعباده المجالدة "وَحَثَّ

المؤمنين هنا على الثبات وتحمل المشاق، كما لقي الأنبياء ومن أمثالهم من الشدائد ومقاساة الهموم، وكان عاقبة أمرهم الفلج والنصر عليهم"¹.

فمن صبر واحتسب الأمر لله نجى من المهالك، ونصره الله تعالى، والله غالب على أمره ولا بد هو ناصره ومعينه؛ لتحمله العناء والتعب في سبيل الثبات على الحق؛ ولأنه صبر على البلاء وفي نفس الوقت هو ينتظر الرخاء من الله تعالى وحده، وإن الخير لا ينصر على الشر إلا بعد الشدائد والحن؛ ليظهر الثبات في طريق المسلم قوي متين"².

2_ اغواء المنافقين للمؤمنين: المنافقون يتربصون بالمؤمنين في شؤونهم كلها، حتى في أوامر الله عز وجل، فإنهم كانوا ينعتون المؤمنين بأشد العبارات المزرية التي من شأنها أن تؤذي المؤمنين، ففي حادثة تحويل القبلة مثلاً من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة "فعندنا أمر رسول الله ﷺ بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، اعترض على ذلك اليهود وقالوا: ما بال محمد لا يثبت على حال، فيأمر بالشيء اليوم، ويأمر بخلافه غداً، فإن كان البيت الصحيح هو الكعبة فصلاصلاصكم لبيت المقدس باطلة، وإن كان بيت المقدس هو الصحيح، فصلاصلاصكم للكعبة باطلة"³.

فبدأ المنافقون والمشركون ببث أباطيلهم وأقوالهم الزائفة لتحويل القبلة، ومع نشر هذه الأباطيل هم يعرفون أنه الحق من ربهم، ويعلمون أنه الصواب، لكنهم يعاندون ويحانبون الصواب في ذلك قال الله

تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 144] أي

"وإن أهل الكتاب يعلمون أن ذلك التولي شطر المسجد الحرام، هو الحق المنزل من الله على نبيه ﷺ، وهم

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2/ 127.

² ينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 2/ 672.

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي 13/ 8212.

مع هذا يفتنون ضعاف المؤمنين في دينهم ويتقبلون ذلك منهم، إذ يذكرون للناس أقوالاً على أنها من كتبهم، وما هي من كتبهم، ولكن يريدون بذلك الخداع والفتنة والتهويز على الذين في قلوبهم مرض، بإثارة الشكوك في نفوسهم، ومن ثمّ كذب الله هؤلاء المخادعين، وبين أنهم يقولون ما لا يعتقدون¹.

فكانوا لا يبالون بإطلاق نعوّتهم البائسة لأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، وهذا فيه فتنة للمؤمنين.

وكذلك عندما يحين القتال مع الكافرين تجد المنافقين يبحثون عن طرق لإضعاف المسلمين ولتشتيتهم، ولتفريقهم، وذلك بالقعود عن قتال الكافرين قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 86] فهم يتحجبون بأنهم لا يستطيعون الخروج مع المؤمنين، وذلك لضعفهم، وهم يكذبون بهذا العذر الباطل، ولو كانوا صادقين بالخروج لأعدوا عدة السفرة، وبسبب أعدائهم المخزية كره الله خروجهم مع النبي ﷺ فقال الله في حقهم: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46] فهؤلاء أن خرجوا ضروكم، وكان بعدم خروجهم مصلحة للمؤمنين؛ لأنهم كاذبون في أعدائهم، وتحجبوا بأعدائهم واهية، وعدم خروجهم فيه نفع للمؤمنين، وق كره الله انبعاثهم وخروجهم؛ لأنه تعالى يعلم أنهم يريدون الخيال والاضطراب وزعزعة المؤمنين فأقعدهم².

وبسبب أفعالهم وخداعهم أمر الله تعالى بأن يعرضوا عن هؤلاء المنافقين الماكرين فقال الله للمؤمنين ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: 95] "فلا تشيروا إلى تقصيرهم، ولا تعاتبوهم؛ وذلك لأن المعاتبة: تصفية للقلوب، وإبقاء للمودة؛ ألا ترى إلى وصفه تعالى لأهل النار: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ.....﴾ [الروم: 57] ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قدر لخبث باطنهم، فلا يطهرون بالعتاب

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2/ 10.

² ينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 6/ 3319.

والتوبيخ، والرجس: القذر المؤدي إلى العذاب والعقاب"¹.

فأحد أهم أسباب عدم الثبات على الفتن هو إغواء المنافقين وتشويه صورة المسلمين، وكذلك ما نشاهده اليوم من التفنن في اغواء المسلمين، من العري والتثقيف ضد أهل الإسلام، وتضليل صورته، من خلال الإعلام الجائر، وطمس معاني الإسلام الصحيحة، ونشر الرذيلة، فهذا يحتاج إلى ثبات وعزم، للوقوف ضد هذا السيل الجارف، والحرز من هذه الفتن الكثيرة.

3_ كثرة المغريات في هذا الزمن: نعيش في الزمان الذي أمتلأ فتناً وغشاوة على الإسلام وأهله، وقد بين الله تعالى أن يحترز المسلم لدينه ولا ينزلق في فتن الحياة من الجاه والأموال وغيرها، ونجد بعض الناس ينغمسون في المغريات "بل يؤثرون الدنيا على ما عند الله من النعيم المقيم، وأخصّ صفاتهم أن تكون زينة الدنيا أكبر همهم، فهم يؤثرونها على كل شيء، حتى إن أمر الدين لا يزعجهم عن شيء يقدر عليه من هذه الزينة، لأنهم لا يقين لهم في الآخرة، فدينهم تقاليد وخواطر تتنازعها الشبهات"².

ومنهم من تصرفه الدنيا عن الحق؛ فينغمس فيها، ويترك أمر الآخرة، وليس ذلك إلا بسبب "تظهر الفتنة من خلال الانجذاب إلى زينة الحياة الدنيا الفانية، والتفضيل الواضح لها على الحياة الآخرة الدائمة، وهذا الانصراف عن إدراك الحقائق الدينية ومظاهر الحقائق يعكس عدم قدرة النفوس على التأمل في الآيات الدالة على الحق والمعاني العميقة التي تحملها"³.

وبعض المسلمين اليوم يقلدون الغرب في التشبث بالدنيا، ومغرياتها فهؤلاء قد "أقبلوا على الدنيا، وكانت موازينهم مادية محض، وأعرضوا عن الآخرة بسبب الدنيا، فإنهم فصيروا النظر، لأن الله جعل ما

¹ محمد الخطيب، أوضح التفاسير 1/ 238.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2/ 118.

³ المصدر السابق.

على الأرض زينة لها، ليلبوا الخلق أيهم أحسن عملاً¹.

فنظرهم قاصرة جدا على ملذات الدنيا، ولم يلتفتوا إلى وعد الله تعالى في الآخرة، أما أهل الإيمان الصادقين الثابتين، لا تغيرهم زينة الدنيا ولا حطامها، فهم يسرون على خطي واضحة وطريق متين وعزيمة ثابتة فهم يمشون طريقهم على " تتجلى سنن الشريعة في أن المؤمنين لن تفتنهم زينة الحياة الدنيا، وسيكونون في مرتبة أعلى من الكفار؛ نظرًا لأنهم سينعمون بالجنة بينما يعاني الكفار في النار، وسيُجازى هؤلاء المؤمنون عما تعرضوا له من سخافات وسخرية من قبل الكفار، كما قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35)﴾ [المطففين: 35، 36]².

ثانياً: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: ولوقوع هذه الفتنة أسباب عدة وهي كما يلي:

1_ التكبر عن قبول الحق: قسم من الناس من يتعرف إلى الحق، ويعلم طريقه وسبله، ويعرف أهله حق المعرفة؛ ولكن يمنعه من قبول الحق هو التكبر والتعالي، قال الله تعالى: ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ أي: "إن الشخص الذي يجادل عن الحق وهو متكبر لا يسعى إلا لمنع الناس المؤمنين من دين الله، الذي يحمل في طياته الخير والفائدة لهم. يسعى هذا الشخص إلى إبعادهم عن سبيل الله، مما يهدد مصيره بأن يصبح من الذين يضلون. وعندما يقود جداله إلى الضلال، يبدو كأنه يهدف إلى تحقيق ذلك"³.

فالذي منعه من قبول الحق هو التعالي والتكبر، بل ويعرض عنه ويلوي عنقه عن سماع الحق والرضوخ له، ولقد ذكر الله تعالى عاقبته فقال: ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 9] أي: "أن عقابه في الدنيا هو الخزي أي الهوان والذل ... وعقابه في الآخرة الزجج به في عذاب

¹ الزحيلي، التفسير المنير 2/ 241.

² المصدر السابق.

³ الزحيلي، التفسير المنير 17/ 168.

النار المحرقة أو الإحراق في النار، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدّم من الكفر والمعاصي¹.

والغاية من هذا التكبر هو لصد الناس وإبعادهم عن الحق وأهله، ولجر الناس إلى الباطل وجنده، حتى يجعل الناس لقمة سائغة لدى أهل الباطل، فمثل هؤلاء المعاندين، لا يمكن لهم أن يتبعوا الحق، ولا وينصروا أهله، فهم يعملون على تشويه لصورة الحق، وهؤلاء كأنّ في آذانهم غطاء محكم، لا يمكن لهم أن يسمعوا الكلام النافع الذي به صلاحهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: 7] ، ومعنى ذلك: "عندما تُتلى عليه آياتنا التي تثبت وحدانيتنا وقدرتنا، فضلاً عن صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يظهر عليه الاستكبار والإعراض، وكأنه لم يسمعها، فهو يتجاهل هذه الآيات بعجرفة وغرور، وكأنه لم يسمعها على الإطلاق، كما لو كانت أذناه مصابتين بالصمم أو الثقل أو المرض، مما يحول دون إدراكه لهذه الآيات، إن الشخص المخدول يظهر مقاومة شديدة للدين ويسعى لصد الناس عنه"².

وهذا فيه نفاق ودحض للحقيقة وتشويش على قلوب الناس، فهم أصحاب خبث ومكر لأهل الحق وهو من شرار الناس، بل ويصورون للناس أن كلامهم ليس عليه غبار، بل ويعجب الناس بأسلوبه ومنطقه؛ ولكنه شديد الخصومة لمنهج الإسلام وتعاليمه قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ [البقرة: 204] أي: "ومن الناس فريق يروقك ... ويثير إعجابك بخلاصة لسانه وقوة بيانه، ولكنه منافق كذاب ... في هذه الحياة فقط، أما الآخرة فالحاكم فيها علام الغيوب الذي يطّلع على القلوب والسرائر ... ويظهر لك الإيمان ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ أي شديد الخصومة

¹ المصدر السابق.

² محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 11/ 112-113.

يجادل بالباطل ويتظاهر بالدين والصلاح بكلامه المعسول¹.

فهو يظهر أموراً مستحسنة، ويظهر كلاماً حلواً مستساغاً للمقابل؛ لكن في الحقيقة هو عدو لدود صاحب جدال بالباطل.

وكثير من الناس عندما تتكلم معه، فيظهر قبح فعله وسريته، وسوء نيته، وذلك من خلال لفظه وكلامه، وقد شنع النبي ﷺ هذه الأفعال والصفات فقال عليه الصلاة والسلام: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»².

فهكذا حاله ومقاله، وهو في نفس الوقت ينفر الناس عن دين الله؛ لما لديه من اعوجاج فكري ومنهج سقيم، وما أكثرهم اليوم في واقعنا، فهم قد يلبسون لبوس الدين، ويظهرون للناس على أنهم مصلحون، ويريدون انتشار الناس من الظلمات إلى النور، وهم يريدون نشر سمومهم ومنهجهم البائس، من أجل دحض الحق وأهله، ومهما كانت شدة الباطل فالحق أقوى وأشد.

2_ الخوف من فقدان النفوذ والسلطة: السلطة هي إحدى الشهوات التي يتمناها الإنسان في حياته، فهي تعطيه قوة ومنعة من الناس، ويكون مهاباً في قومه حسب تفكيرهم الضيق، وهؤلاء إذا عرض عليهم منهج الله تعالى، رفضوه وأبعدوه وأعرضوا عنه بسبب المكانة والرئاسة التي كانوا يمتلكونها قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ...﴾ [آل عمران:

23] حيث "إنهم الذين أعرض فريق منهم عن قبول الحق ... إنَّ سبب هذا الإعراض يعود إلى السعي للحصول على السلطة الدنيوية التي يرغبون في تحقيقها لأنفسهم، فالسلطة الدنيوية تشير إلى ظهور أشخاص يسعون للاستفادة من قدسية الدين لتحقيق مكانتهم الشخصية، حيث يستمتعون بهذه

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير 1/ 119.

² أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204] 3/ 131 حديث رقم 2457.

القدسية ويستخدمونها في أمور تتجاوز قضايا الدين لذا، يمكن القول إنّ أي انحراف في منهج الله هو نتيجة للتعسف والطغيان"¹.

فهم قد تنكروا للحق بسبب حبهم للسلطة والجاه، وها هو فرعون يحذو حذو الجبابرة، فقد رفض دعوة سيدنا موسى واستهزأ به وبرسالته وبدعوته؛ لأنه كان متشبثا بالسلطة والقوة التي كان يمتلكها، وبسبب سلطته على الرقاب ونفوذه الواسع، فإذا انقاد وآمن لسيدنا موسى ستهرب كل تلك المنعة ويذهب الملك ويلى فرعون قد "علا في الأرض، واستكبر وطغى فيها، وتجبر على الخلق وأفسد فيها، وجعل أعزة أهلها أذلة، وجعل أبناء مصر شيعة وأحزبا، كل حزب بما لديهم فرحون، أفسد ما بينهما، وقرب هذا وأبعد ذاك ليكون بأسهم بينهم شديدا فيظل الكل خاضعا له مستضعفا عنده"².

وبعد هذا التشبث المميت الذي بسببه قتل الأطفال واستحيا النساء، وفعل ما فعل، كانت عاقبته الخسران والبوار والغرق؛ ليكون لمن خلفه آية، بسبب طغيانه وتمسكه بالجاه والسلطة الزائف.

3_ التشكيك والتضليل: وهي أحد الأساليب التي يتخذها أعداء الأنبياء، ويتخذها كل من يريد

التصدي لدعوة الناس إلى الخير، ويردون النيل منهم بالتشكيك والتضليل حتى يصدوا الناس عن طريق

الهدى قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي

صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]، فالخبال هو: "الاضطراب

في الرأي والفساد في العمل، كضعف القتال والخلل في النظام، ويقال وضع الرجل إذا عدا مسرعا، وأوضع

راحلته إذا حملها على الإسراع، وخلال الأشياء: ما يفصل بينها من فروج ونحوها، والفتنة: التشكيك في

الدين والتخويف من الأعداء، وسماعون لهم: أي ضعفاء العزيمة يسمعون قولهم ... والمراد أنهم دبوا الحيل

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 3/ 1386.

² محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 2/ 814.

والمكايد ودوروا الآراء في كل وجه لإبطال دينك"¹.

فهذا هو منهجهم في إغواء المسلمين في كل عصر، وخاصة في عصرنا حيث دخلوا من خلال التطور، والتكنولوجيا، أخذوا يشكلون أنواعا متعددة في الصد عن سبيل الله وهم يسارعون في تخذيل المسلمين قال تعالى: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: 47] أي: "ولأسرعوا في الدخول فيما بينكم سعيًا في النميمة وتفريق الكلمة، ييغون بذلك تثبيطكم عن القتال وتحويل أمر العدو وإيقاع الرعب في قلوبكم"².

وحتى لو قالوا بأنهم سينصرونكم، فإنهم يكذبون ويروغون في كلامهم فما "زادوكم قوة ومنعة وإقداما، كما هو شأن القوة العددية المتحدة في العقيدة والمصلحة، بل ضعفا وفشلا ومفسدة ... كما هو شأن جماعات البشر في مثل هذه الأحوال"³.

ونرى اليوم هذا الأمر جليا وواضحا من خلال بثهم للشبهات ودعوتهم إلى التحلل من الدين الحنيف، بحجة الثقافة والتحرر، وما دعواتهم تلك إلا انسلاخا من هوية الإسلام وقيمه ومبادئه فالتشكيك هو: "إن هذه ظاهرة شائعة بين أولئك الذين يمارسون الجدل والنقاش حول الأديان، ولا سيما بين المتعصبين للمذاهب المختلفة، ويتجلى هذا في بعض الأفراد الذين حولوا الجدل الديني إلى مهنة، مثل دعاة النصرانية الذين نشأوا في مجتمعاتنا، فقد لاحظنا أن بعض الشبهات التي يطرحونها ضد الإسلام تجد صدى لدى بعض الأوساط التي تتبنى أفكارًا تتعارض مع جوهر الدين، مما يعكس محاولات للتفصي من العقلانية الدينية"⁴.

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 10/ 130.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 10/ 131.

³ محمد رشيد رضا، تفسير المنار 10/ 408.

⁴ محمد رشيد رضا، تفسير المنار 5/ 314.

فهم يحاربون الإسلام بكل الوسائل والطرق لصدد دعوة النبي ﷺ، وصدد الناس عن قبول الحق والهدى والنور، وهم في شقاء عندما يرفضون ما يأتيهم من عند الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: 52] المعنى: "ينظروا في دلالة القرآن أو لم يطيلوا النظر ولم يبلغوا به حد الاستدلال ... ولكن القرآن ألقى بينهم هذا التشكيك تغليبا ومراعاة لاختلاف درجات المعاندين وأنهم لم يهتدوا"¹.

ثالثاً: فتنة الشبهات: ومن أسباب وقوع هذه الفتن أمور عدة وهي كما يلي:

1_ التحريف والتأويل الخاطيء: بعض الناس إذا أراد أن يفسر القرآن؛ فإنه يفسره على هواه وعلى فهمه وهذا أمر خطير منبوذ، وهذا الأمر يسمى التفسير "بالرأي"، وأن من فسر القرآن برأيه فقد عرف مقعده من النار، وأن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليجتج على تصحيح غرضه ... وكالجاهل المتقحم يتأول ما شاء هواه"².

فالذي يتأول القرآن الكريم، على وفق هواه وعلى حسب معلوماته فقد هوى وضل؛ لأن القرآن لا يمكن أن يفسر وفق الأهواء والرغبات، وقد أخبر الله تعالى عن قوم يحرفون الكلم عن موضعه، بعدما فهموه وعقلوه، قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: 41]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75] فقد أخبر الله تعالى "إن التحريف يحدث بعد أن يدرك الأشخاص المعاني بشكل دقيق وعميق، وليس نتيجة جهلهم بمعاني الألفاظ وأغراضها، فهم يقومون بالتحريف بشكل متعمد بقصد التضليل، مما يشير إلى أن قلوبهم موجهة بعيداً عن الحقائق، وبالتالي، فإنهم لا يدركونها ولا يقبلونها حتى لو تعرّفوا عليها، بل يعملون

¹ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 17/ 25.

² محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تفسير القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418 هـ) 89/ 9.

على صد الناس عنها"¹.

فقولهم على الله هنا هو لتشويه العقول، وتحريف صريح لآيات القرآن الكريم؛ وذلك لغايات كثيرة منها دنيوية، ومنها لصد الناس عن المنهج الصحيح؛ ليرّوجوا مقاصدهم الفاسدة ورجبتهم السقيمة، ونرى اليوم في زماننا، كثرة الذين تصدروا للفتيا وتصدروا للدعوة، وقد لبّسوا على الناس دينهم، ويروجون لأفكارهم الهدامة، وهم في نفس الوقت ضعفاء بالعلم "فإن كثيرا ممن يركن إليهم في الفتيا واستنباط الأحكام الدينية ضعيف عن حمل السنة والتفقه في فهم الكتاب، فإذا عرضت له حادثه ولم يفتن إلى مأخذها من الكتاب أو السنة أفتى فيها بالرأي، وقد يكون مصادما للدليل النقلي أو لفتاوى الصحابة والتابعين"².

فالشر الذي لحق بالأمة اليوم، فكريا وثقافيا ودينيا، أحد أهم أسبابه هو القول بالرأي في الدين، وكذلك الانحراف في الفهم والتأويل الخاطئ المبني على أسس سقيمة، وبثها بين الناس على أنها دين وعلم وإن "إن الإقدام على القول في مسائل الدين دون علم يعد من أعظم المحرمات التي حذر منها الرسل كافة، فهذه الممارسة تمثل نقطة انطلاق لتحريف الأديان وإحداث الابتداع في الدين الحق، وقد شهدنا انتشار هذه الابتداعات بين الناس، حيث أصبحت الأهواء تتحكم في أفكارهم ومعتقداتهم"³.

2_ مكائد الأعداء في بث الشبهات: دائما يحاول أعداء الإسلام صرف الناس عن الهدى والهداية؛ وذلك لسوء نيتهم؛ ولطمس معالم وروح الإسلام في نفوس المسلمين، ويمكرون مكرًا شديدا في سبيل النيل من تعاليم الإسلام، وتشويه الصورة الحقيقية لمنهجهم، وكذلك بث الشبهات المتنوعة، بل كانوا يعاندون في هذا الأمر ويستبدوا في آرائهم من أن القرآن، فيه اختلاف كبير، وهم مجرمون محتالون قال الله تعالى:

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 1/ 277.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 8/ 84_85.

³ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 8/ 140.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ [الأنعام: 123] فمعنى

الكلام أن في الآيات: "تقرير لمظهر من مظاهر النظام الذي أقام الله عليه الاجتماع البشري وهو وجود زعماء ماكرين مجرمين في كل بيئة دأبهم الكيد والمكر، والوقوف من رسل الله ودعاة الخير موقف التعطيل والعناد، فإذا جاءتهم آية كابروا وقالوا لا نصدق حتى نرى وندرك ما يراه رسل الله ويدركونه"¹.

ففي كل عصر يظهر من قادتهم من يصد ويمكر بالمسلمين، ويريدون الهزيمة لهم، والتنكيل بشريعتهم، واستئصال شأفة قوتهم ومنهاجهم وهذه سنة "أن ينتدب في كل قرية ... نفر من أكابر المجرمين فيها، يقفون موقف العداء من دين الله، ذلك أن دين الله يبدأ من نقطة تجريد هؤلاء الأكابر من السلطان الذي يستطيعون به على الناس، ومن الربوبية التي يتعبدون بها الناس، ومن الحاكمية التي يستدلون بها الرقاب، ويرد هذا كله إلى الله وحده"².

فهؤلاء عادتهم سقيمة، يريدون نشر الضلال والباطل، ويريدون الكيد بالمسلمين بل " ويتعاونون مع شياطين الجن في المعركة مع الحق والهدى، وفي نشر الباطل والضلال، واستخفاف الناس بهذا الكيد الظاهر والخافي، إنها سنة جارية، ومعركة محتومة، لأنها تقوم على أساس التناقض الكامل بين القاعدة الأولى في دين الله ... وبين أطماع المجرمين في القرى، بل بين وجودهم أصلاً"³.

وهذا هو حالهم الذي درجوا عليه منذ بعث الرسالات، وإلى يومنا هذا، فهم لا يتوقفون عن شكوكهم وعن نشر رذائلهم، المزرية التي ينفر منها العقلاء " لو كان لديهم تجربة واحدة مع القرآن تتعارض مع ما جاء فيه، لكانوا قد أعلنوا عن تلك المخالفة. ويشير عدم إعلان الكفار عن هذه الشبهات التي

¹ دروزة محمد عزت، التفسير الحديث 4/ 152 _ 153.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 3/ 1202.

³ سيد قطب، في ظلال القرآن 3/ 1202.

يثيرها الأعداء إلى أنهم استوعبوا مغزى ومعنى كل ما ورد في القرآن¹.

ولكن الله لهم بالمرصاد في كل زمان، فلا يدعهم وشأنهم، بل يضع لهم حدوداً، ويهيئ الله من الرجال الأكفاء، من يوصل الحق والمفهوم الصحيح لدين الله تعالى إلى الناس "إن كيد أكابر المجرمين مهما ضخّم واستطال، لا يحقق إلا بهم في نهاية المطاف، إن المؤمنين لا يخوضون المعركة وحدهم فالله وليهم فيها، وهو حسبهم، وهو يرد على الكائدين كيدهم"².

فالله تعالى يعلم ما يصنعون، ويعلم أنهم يثيرون الشبهات حول دين الله تعالى؛ لكن لا فرار من دحضهم ورد كيدهم، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123] أي: "وردّ عليهم بأن كيدهم لن يضّرّ غيرهم ومكرهم لن يحقق إلا بهم دون أن يشعروا، وتقرير بأن الله تعالى يعلم أين يضع رسالته، وكيف يصطفي ويختار رسله من بين الناس وإنذار قاصم بأن الماكرين المجرمين سيصيبيهم هوان وذلة عند الله، وسينالهم العذاب الشديد جزاء مكرهم وكيدهم"³.

والله تعالى حافظ دينه ومعلي شأنه، شاء من شاء وأبى من أبى، ومهما طغى الجبابة ومهما حاولوا إبعاد المسلمين عن الصراط المستقيم، هيا الله رجالاً وعلماء لإزالة الإشكال وتبين الحقيقة ودحض الباطل.

رابعاً: فتنة الاختلاف والتفرق: ومن أسباب وقوع هذه الفتنة أمور عدة وهي كما يلي:

1_ فتنة الغلو والتطرف: لقد من الله تعالى علينا بأن جعل الإسلام لنا منهجاً متيناً، فيه حاجات ومتطلبات الحياة، وجعل الله تعالى منهجه في أمة وسطاً، عدلاً ليس فيه إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تفلت، ولقد حث الله تعالى على التوسط في كل شؤون الحياة، في الطعام واللباس قال ربنا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 8 / 4642.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 3 / 1202.

³ دروزة محمد عزت، التفسير الحديث 4 / 153.

خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأعراف: 31]

وحث الله على التوسط في الدين والتعامل على الصعيد الفردي والجماعي، وفي كل نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعبدية، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:

143] والغلو هو آفة من آفات المجتمع الذي ينخر في جسد الأمة.

ومعنى الغلو هو تجاوز الحد، وهو في الدين التعصب له، والتشدد فيه، وتجاوز الحد في أداء ما يطلب، و المبالغة في الشيء، ومجاوزة الحد به، والخروج حد الاعتدال فيه سواء كان ذلك في الدين، أو في غيره¹.

ولقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من الغلو ونبههم على ذلك وبين لهم أن ذلك هو منهج وديدن النصارى في مغالاتهم في عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: 171] "بدأت موعظة هؤلاء بالتحذير من الغلو، نظرًا لأن النصارى تجاوزوا الحد في تعظيم عيسى، حيث ادعوا بأنه ابن الله وجعلوه جزءًا من الثالوث، وقد تم النهي عن هذا الغلو لأنه يعد جذرًا للعديد من الضلالات وتكذيب الرسل الصادقين، كما أن الغلو بين أهل الكتاب قد تجاوز الحدود التي حددها دينهم، فعلى سبيل المثال، طُلب من اليهود اتباع التوراة ومحبة نبيهم، إلا أنهم انزلوها إلى كراهية الرسل الآخرين كعيسى ومحمد عليهما السلام. وفي المقابل، طُلب من النصارى اتباع المسيح، ولكنهم تحطوا ذلك إلى الادعاء بالوهيته أو كونه ابن الله، مما أدى بهم إلى الكفر برسالة محمد ﷺ"².

ولقد نهاهم الله تعالى عن اتباع مثل هؤلاء القوم الذين يسببون الفوضى والهلاك للأمة، فأصحاب هذه النظرية، يرون أنهم هم أهل الحل والعقد، وأنهم المقدمون في هذه الأمة، ولكنهم بهذا الأمر يسببون

¹ ينظر: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير (د.م، دار الفكر العربي، د.ت) 2315، عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت) 3/ 1016.

² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 6/ 50_51.

الفرقة والفتنة للمسلمين ولأسباب كثيرة، أما الجهل بمقتضيات الشريعة وفي تنزيل الأحكام على الواقع، وفهم النصوص وكيفية علاج الأزمات فمن " من رحمة الله بنا أنه جعل أصول الدين ثابتة ومتفقاً عليها، دون أي خلاف، أما في المسائل الفرعية والاجتهادية التي تعتمد على الفهم والاستنباط، فقد فتح الله المجال للمجتهدين ليقدموا رؤاهم وآرائهم بناءً على قدراتهم الفقهية والعلمية، قال رب العزة جل جلاله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ.....﴾ [النساء: 83]

"¹. وهذا هو الذي يعصم الناس من فتنة الغلو ويجعل حياة الناس متزنة "بعيدا عن التعصب المذهبي، أو التحزب الطائفي، وخالصا من كل غرض، إلا ابتغاء الحق، وإلا إقامة العقيدة على الحق الذي نزل به الكتاب، ويبيّن الرسول ﷺ"².

2_ الكبر والغرور: وهو الذي يدعو صاحبه إلى الاغترار بقوله وفعله، ويجعله ينفر من الجماعة بسبب تفكيره السيئ الذي يصر عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204] ومن أساليب المتكبرين هو الإصرار على ارتداد المسلمين عن دينهم وتفرقتهم والله تعالى يبين لنا " يوضح هذا البيان الحقيقة للمؤمنين بالله وبرسوله ﷺ، بهدف تعزيز مناعتهم الإيمانية ضد محاولات الكافرين للإضرار بهم، يبين لنا أن هؤلاء الكافرين لن يترددوا في بذل كل جهد ممكن لإبعاد المؤمنين عن دينهم، إذ إن منهج الله الحق يثير دائماً خوف وقلق أولئك الذين يسعون وراء الباطل.... وهم يبدلون كل الجهد ويستخدمون كافة الأساليب التي تصرف المسلمين عن دينهم، ولكن هل يُمكنهم الله من ذلك؟ لا؛ فلا يزال هناك أمل في الخير إن تمسكت أمة الإسلام بالمنهج الحق"³.

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 16/ 10026.

² عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن 4/ 268.

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي 2/ 933.

فبسبب تكبرهم وعنادهم يريدون تفرقة المسلمين، ويرون أنهم أصحاب الهدى والطريق القويم؛ ولكنهم سبب في تفرقة المسلمين عن طريقهم، وأن " الغرور هو الذي حضر إلى الجحود والعناد المستمر، حيث ظلوا متمسكين بموقفهم رغم الأدلة المتتابعة، فلم تكن الآيات المخصصة لهم إلا كفرة، ولم تكن المواعظ صحيحة" ¹.

حتى أن من يدعوهم إلى الحق وإلى اتباع النور، يصرون على عنادهم ويشتمون أذهان من يريد اتباع أهل الحق من الرسل والأنبياء، قال الله تعالى حكاية عن قوم سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 7] أي: وكلما دعوتهم إلى سبب المغفرة، وهو الإيمان بك، والطاعة لك، سدوا آذانهم برؤوس أصابعهم، لئلا يسمعوا ما أدعوههم إليه، وغطوا بشياهم وجوههم لئلا يروني، ولئلا يسمعوا كلامي، واستمروا على الكفر والشرك العظيم، واستكبروا عن قبول الحق استكبارا شديدا، أي استنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له ².

المطلب الثاني: أسباب دنيوية: ولوقوع هذه الفتن أسباب عدة وهي كما يلي:

أولا: فتنة الأولاد: ثانيا: فتنة المال

1_ **الفتنة بسبب فرط المحبة لهم:** إذا تمكن حب المال والأولاد من القلب؛ فإنه يجعل فيه تعب ومشقة، وإذا تعلق الإنسان بهم تعلقا يوصل بالإنسان حد الشغف؛ فإنه ربما تعمى بصيرته، ولا يستطيع أن يكون متزنا في حياته، ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلا عن الحسد بسبب فرط الحب، وذلك كما حدث لسيدنا يعقوب مع يوسف عليه السلام، إذ قالوا كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 3/ 1122.

² الزحيلي، التفسير المنير 29/ 141.

أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» [يوسف: 8] قالوا: "إن يوسف وأخاه بنيامين، اللذين هما من صلب والدنا، يحظيان بمكانة أعلى في قلبه مقارنة بنا، إذ يظهر عليهما التفضيل في حبهما رغم صغر سنهما، بينما نحن نُشكل مجموعة من عشرة رجال ... إن أبانا لفي خطأ واضح مجاف الصواب في ذلك، بإيثار يوسف وأخيه علينا بالحب، وتركه العدل والمساواة في المحبة"¹.

فسبب هذه المحبة لسيدنا يوسف وبنيامين، ثارت العداوة بين الإخوة، وأصبحوا يبحثون عن حل؛ لكي يميلوا قلب أبيهم إليهم حسب ظنهم، وهذا الأمر في الحقيقة "إن الخطأ يعود إلى إخوة يوسف وليس إلى والدهم، حيث إن يوسف وأخاه، اللذين فقدوا والدهما وهما في سن صغيرة، يواجهان ظروفًا يتيمة، وكان والدهم يلاحظ في يوسف علامات النبوة والعقل والحكمة، مما جعله يتأكد من صحة توقعاته استنادًا إلى ما استشرفه من رؤياه"².

وقد غابت عنهم هذه الأمور، وغاب عنهم أنهم يتمين لا أم لديهما، فحدث ما حدث من الواقعة التي هزت كيان سيدنا يعقوب من ادعاء أخوة سيدنا يوسف بأكل الذئب له، ومع كل هذه الأمور التي حدثت لسيدنا يعقوب، على الإنسان أن يكون منصفًا في تعامله مع أولاده ويتطلب "مع ذلك يطلب الاحتياط في معاملة الأولاد والتسوية بينهم في المحبة والمعاملة ولو في القبلية، وتجنب ما يثير التحاسد والتباغض بينهم"³. كما قال النبي ﷺ: «اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم»⁴.

فالعادلة مطلوبة بين الأبناء؛ حتى تستقيم شؤون الحياة، ويصبح توازن في المشاعر، وفي المعاملة؛ لأن فرط الحب لأحد أولاده والاهتمام لأحدهم، يولد الخصومة والبغضاء، وعلى الأب أن "يتقى الله في

¹ الزحيلي، التفسير المنير 213 / 12.

² المصدر السابق.

³ الزحيلي، التفسير المنير 213 / 12.

⁴ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الإشهاد في الهبة، 158 / 3، حديث رقم 2587.

الولد فلا يكون حبه داعية من دواعي ارتكابه الإثم والعدوان، ويراقب الله فيه فينشئه تنشئة صالحة دينية، ولا يدفعه حب الولد إلى أن يكون في جمع المال له كحاطب الليل¹.

وقد قُرِن المال مع الأولاد في القرآن الكريم كثيراً؛ ليدل على أنهما قرينان في التملك وفي اتجاه الإنسان نحوهما، والتمسك بهما والاتكال عليهما، يهوي بالإنسان نحو الفتنة ونحو أمور قد تجر بالحسرة والوبال على الإنسان، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ.....﴾ [الأنفال: 28] معناها: "إن على المؤمنين المخلصين أن يدركوا أن اختبار نفوسهم يأتي من شدة محبتهم لأبنائهم لذا، ينبغي عليهم ألا يُفضلوا حب المال والذرية على حب الله تعالى، لأن ذلك قد يؤدي إلى فساد أمورهم، ومن المهم أن يعلموا أن جزاء الله عظيم، وأنه يعوضهم خيراً عن المال والأبناء"².

والله تعالى يبين للناس عندما يكون الأمر فيه فتنة، أن يأخذوا حذرهم، ويتقي الإنسان من شره، وكذلك من عداوته وطغيانه، ثم بعدها يبين الطريق السليم للتعامل مع هذه الفتنة، ويبين بأن ما عند الله تعالى خير وأعظم من هذه الفتنة؛ حتى ينتبه الإنسان لهذا الأمر، ولا يركن حاله إليها. "واعلموا أن الله عنده أجر عظيم وخير كثير هو خير من الدنيا وما فيها، فارعوا الأمانة، ولا تخونوا الله ورسوله"³.

2_ المال والأولاد مصدر شقاء وتعب للإنسان: يعيش الإنسان في هذه الحياة، ويتزوج وينجب الأولاد ويكون عنده المال؛ ولكن هذه النعم قد تكون في نفس الوقت تعباً ونصباً وشقاء على الإنسان، والكافر الذي يملك الكثير من المال والأولاد "يعتبر خداع النفس وتضليلها من الأمور التي تنجم عن الغرور بالمال والأبناء، مما ينسى الفرد أن مجريات الحياة تخضع لسلطة من يملك كل شيء، إن الشخص غير المؤمن يتناول مسألة الحياة من زاوية خاطئة، حيث يُعد الانشغال بالمال والأولاد سمة مضللة، فمن الممكن أن

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 821.

² لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (مصر: مؤسسة الأهرام، 1995 م) ص 246.

³ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 821.

يعيش الإنسان حياة كريمة دون الاعتماد على المال أو الذرية، وعندما يفتخر الشخص بثروته أو أبنائه، فإنه قد يواجه يوم القيامة خيبة أمل عندما يدرك أن هذه الأمور كانت سبباً في إبعاده عن ما يؤمله لذلك الموقف. وعليه، فإن كل تذكر لهؤلاء الأموال والأبناء سيجعله يشعر بالأسى ويعاني من الندم¹.

فهذا الكافر كان السبب في هلاكه هم أولاده وماله؛ لأنه اغتر بهما وصب جم اهتمامه فيهما، فكانا حيرة عليه وخسرانا، ومن ثم كان مصيره إلى الهلاك فيقول: "الحق سبحانه عن هذا المغتر بالمال والأولاد وهو كافر بالله: ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217] وهذا مصير يليق بمن يقع في خديعة نفسه بالمال أو الأولاد².

وقد يكون المال والأولاد، هما السبب الرئيس بانحراف الإنسان عن المنهج الصحيح، حيث يجمع المال من الحرام ليحلبه لأولاده، فينقلب ذلك بالويل له ولأولاده، ولا بد من المصابرة على هذه الفتنة، وضبط النفس من الانحراف، والسعي نحو مرضاة الله تعالى بالمال والأولاد.

وقد يعيش الإنسان حياة هائلة مستقرة ليس فيها شرور أو حزن؛ لكن تأتي له الأحزان والمصائب من قبل أمواله وأولاده، فتتقلب عليه حياته غما وتعاسة، وقد تجر صاحبها إلى الوقوع في الذنوب، وهذه من الفتن العظيمة المانعة³.

"إن فتنة الأموال والأولاد عظيمة لا تخفى على ذوي الألباب، إذ أموال الإنسان عليها مدار معيشتة، وتحصيل رغائبه، وشهوته، ودفع كثير من المكاره عنه من أجل ذلك يتكلف في كسبها المشاق، ويركب الصعاب ويكلفه الشرع فيها التزام الحلال واجتناب الحرام، ويرغبه في القصد والاعتدال ويتكلف

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 3/ 1694.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي 3/ 1695.

³ ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 28/ 286.

العناء في حفظها، وتتنازعه الأهواء في انفاقها"¹.

فيركب الإنسان مركبا صعبا من أجل المحافظة على المال والأولاد، ويخوض المعارك الطاحنة إذا تطلب الأمر من يمس أمواله وأولاده، ولا يهمله إن كان الطريق الذي يسلكه بالحق أو بالباطل.

3_ المال والأولاد مشغلة وملهية عن ذكر الله تعالى: الأولاد نعمة من الله تعالى، وهبهم الله تعالى للإنسان؛ حتى يكونوا سنداً لهم وزينة ومتعة ومنفعة وغير ذلك، ولقد وجه الله تعالى عباده أن لا يكون الأولاد سببا في الانهماك بهم وبالميل الشديد لهم، والانشغال بهم عن ذكر الله وطاعته، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ [المنافقون: 9] أي: "لا تكونوا كالمنافقين الذين يغترون بالأموال والأولاد، ويشتغلون بتدبيرها ورعايتها عن ذكر الله، ولا شك أن من أهم الأسباب التي تدفع الإنسان إلى النفاق أو التحلل من الدين هو الانشغال بالدنيا وعوارضها، والانهماك الشديد في تحصيلها ورعايتها، فذلك مما يشغل الإنسان عن ذكر الله وعن عبادته، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون لأنهم باعوا الباقية بالفانية، واشتروا الضلالة بالهدى، وليس معنى هذا أننا نترك الدنيا بما فيها من الأموال والأولاد، لا. ولكن المنهي عنه هو الانشغال بهما عن ذكر الله"².

فقد يمر الإنسان بمعارك في الحياة من أجل الأولاد، ويدخل في التناحر والتدابير؛ حتى مع أقرب الناس له؛ من أجل راحة أولاده وسلامتهم، لذلك جاء النهي صريحا في عدم الانشغال بهم؛ لأنهم فتنة كما أخبر الله تعالى بذلك وبين الله تعالى لعباده بأن "لا تشغلكم أموالكم التي تهتمون بجمعها وتحصيلها، ولا أولادكم الذين هم أشهى ثمرات حياتكم، المقصود بذكر الله يشمل جميع التكاليف التي فرضها، مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج، بالإضافة إلى سائر العبادات التي أمر الله تعالى بها"³.

¹ محمد الأمين المروري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 10/ 389.

² محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 3/ 681.

³ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 14/ 413.

وخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه متطلبات الأولاد ومشاكلهم ونزواتهم، فيكون ذلك سببا في انشغال الأبوين بهما والوقوف على متطلباتهما، وجلب ما تحفوا به نفوسهم، وهذا الأمر يدعو إلى التعلق الزائد والافتتان بهم، وقد تنقلب نعمة الأولاد والأموال على صاحبه نقمة، فيصبح ألد الأعداء لهم، ويكونوا ندا للإنسان ومحل مشقة وتعب، وهذا الأمر من الفتنة ومن الامتحان يقول سيد قطب¹: "والتنبيه إلى أن من الأزواج والأولاد من يكون عدوا، إن هذا يشير إلى حقيقة عميقة في الحياة البشرية، ويمس وشائج متشابكة دقيقة في التركيب العاطفي وفي ملابسات الحياة سواء، فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله، كما أنهم قد يكونون دافعا للتقصير في تبعات الإيمان اتقاء للمتاعب التي تحيط بهم لو قام المؤمن بواجبه"².

فقد يكون الأولاد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى التقصير والفتور لعبادة الله تعالى، بل ويوقعان والدهما في المحرمات، وذلك بدفع أولادهم إلى تحصيل المال من أي جهة كانت سواء من حلال أم من حرام، لذلك فقد كرر الله تعالى "يتجلى التحذير من فتنة المال والأبناء في بعدين رئيسيين الأول، أن الله يختبركم من خلال هذه الفتنة، مما يتطلب منكم اليقظة والانتباه للنجاح في هذا الابتلاء والتخلص من أي شوائب تتعلق بالأهداف الدنيوية من أجل التوجه الخالص لله الثاني، هو أن هذه الأموال والأبناء قد تكون سببا في إغراءكم بارتكاب المخالفات والمعاصي، لذا يجب عليكم الحذر من هذه الفتنة حتى لا تجرّكم بعيداً عن الله"³.

ثم بين الله تعالى أن من يشغله أولاده عن ذكر الله تعالى فقد وقع في الخسران المبين، ﴿وَمَنْ

¹ سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) كان سيد قطب من أكثر المفكرين الإسلاميين وضوحا، له مؤلفات كثيرة في الفكر الإسلامي، توفي سنة (1967 م) ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام للزركلي 3/ 147.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 6/ 3589.

³ سيد قطب، في ظلال القرآن 6/ 3590.

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [المنافقون: 9] أي: "إن من ينشغل حبه للمال والأبناء عن ذكر الله وأداء الواجبات التي كلفهم بها، هم أولئك الذين يصلون إلى أقصى درجات الخسارة والغفلة، وذلك لأنهم خالفوا أوامر ربهم، وفضلوا ما يعود عليهم بالنفع في حياتهم الدنيا الزائلة على ما ينفعهم في الآخرة الخالدة"¹.

لذلك على أن الإنسان أن حذرا ويقظا، في حياته من تلك الفتن، والتي قد توقعه في وحل اللهو والشهوات، من دون أن يعلم، ومن دون أن يكون له رادعا يردعه عن الافتتان بزينه الحياة. وهنا لفظة تفسيرية بديعة في أحد الأسباب الموقعة في فتنة المال والأولاد فسبب "الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب؛ لأنها تشغل القلب بالدنيا، وتحجب عن عمل الآخرة، والسبب هو أن الإنسان مفطور على حب المال، طمّاع في كسبه وادخاره، فيبخل به، ولا يؤدي منه حقوق الله، ولا يحسن به إلى الفقراء ولا ينفقه في أعمال البر والخير والإحسان، وحب الأولاد مما فطر عليه الإنسان أيضا، وقد يحمل هذا الحب إلى كسب المال الحرام من أجلهم، لذا وجب على المؤمن الحذر من المال والولد، فيكسب المال الحلال، وينفقه في مستحقاته وفي سبيل البر والإحسان، ويطعم أولاده حلالا"².

ثالثا: فتنة الشهوات: تحيط الشهوات بالإنسان في هذه الحياة من كل جانب، وجبل الله الحياة الدنيا على هذه الشهوات، وكذلك جبل الناس على حب الشهوات، ولولا حب الشهوات لتوقفت الحياة، لأنها مصدر اشتغال الناس فيها، ومصدر حركتهم، والمذموم من الشهوات هو فرط التمسك فيها، والتعلق الكبير في حبالها؛ حتى لا تُخرج الإنسان عن جادة الطريق، وعن منهج الله تعالى، ومن أسباب الوقوع في فتنة الشهوات أمور عدة أهمها ما يلي:

¹ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 414 / 14.

² الزحيلي، التفسير المنير 298 / 9.

1_ إغواء الشيطان: الشيطان له مسالك كثيرة في سبيل إيقاع الإنسان في المنكرات والشهوات، وهو يزين للناس كل أمر ممقوت وحرام؛ ليوقعهم في فخاخه وفي مكائده؛ ولكي ينحرفوا عن الطريق الصحيح، وقد أمر الله تعالى بعدم اتباع الشيطان فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: 142] أي فلا تتبعوا "أيها الناس، إن أسلوب الشيطان يعتمد على الإغواء والإضلال والوسوسة، حيث يقوم بإلقاء الشكوك حول الخير ويغري الناس بالشر والمنكر إن الشيطان، منذ عهد أبينا آدم عليه السلام، يعتبر عدوًا معلنًا للإنسان، فهو لا يأمر بالخير بل يروج للقباح. ويُعد مصدر الأفكار السيئة ومُحَسِّنًا للمعاصي، لذا يجب عليكم توخي الحذر من مكره وعدم اتباعه، إن وسوسته وسلطته عليكم تجعل منه كأنه أمر مطاع، يدفعكم لفعل ما يضركم في حياتكم الدنيا والآخرة"¹.

فقد أمر الله تعالى العباد بأن لا يتبعوا خطوات الشيطان، ولا يسيروا خلف غوايته وحباله؛ لأنه عدو، وأخبر سبحانه بالعداوة الظاهرة من الشيطان لبني آدم فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6] بمعنى "إن الشيطان يُعتبر عدوًا واضحًا لكم أيها الناس، حيث يُظهر عداً جلياً، ولا يأمر إلا بالأفعال السيئة والفحشاء والمنكر"².

ولشدة بغض الشيطان لبني آدم فإنه يأمرهم بالسوء والفحشاء والعداوة، فقال ربنا: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 169].

فالشيطان ليس وحده السبب الرئيس في التزين؛ لكنه أحد الطرق الموصلة للتمسك بالشهوات فالمرزوق "يتعلق الأمر بإدراك الإنسان الذي يميل إلى الشهوات، وهو سلوك فطري أودعه الله في نظام

¹ الزحيلي، التفسير المنير 2/ 73.

² الزحيلي، التفسير المنير 8/ 71.

خلقه، وعندما يرتبط التزيين بردود فعل فطرية، فإن الفاعل الحقيقي لذلك هو الخالق الذي خلق هذه

الفطر وبالتالي، يكون المزين هو الله من خلال خلقه وليس بدعوته، ومع ذلك، يُقال إن المزين هو

الشیطان، مما يشير إلى أن التزيين هنا يعني التحريض والترغيب من خلال الوسوسة نحو الشهوات السيئة

والأفعال الفاسدة"¹.

فكما أن الشيطان يزين للعباد أعمالهم، كذلك النفس تزين لصاحبها المنكرات كفعل الشيطان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: 53] أي: "إن النفس البشرية لكثيرة الأمر بعمل

السوء، لما فيها من دواعي الشهوات الجسمية والأهواء النفسية، بما ركب فيها من القوى والآلات

لتحصيل اللذات، وما يوسوس الشيطان ويزينه لها من النزغات"².

فمما سبق يتبين أن الشيطان هو السبب الرئيس في التزيين، وفي إغواء الناس عن طريق الهدى

وزجهم إلى الشهوات فقد " وجد الشيطان في طباع البشر مساعدة لتحقيق أهدافه، حيث قام بتزيين

قساوتهم وأغراهم بالاستمرار في آثامهم وأفعالهم السيئة، ومن هنا يتضح أن الضلال ينشأ من استعدادات

النفس التي خلقها الله، بينما التزيين يعني جعل الشيء يبدو جذاباً ... وتزيين الشيطان لهم أعمالهم³، قال

تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: 24].

والناس في بعض الأحيان لا يعلمون أن الشيطان هو الذي يزين لهم الشهوات، فينغمسون فيها

لجهالتهم، وقد توقعهم الجهالة في كيد الشيطان بالفتنة والفساد، من حيث لا يعلمون فهم " لا يدرك هؤلاء

الأفراد إحسان الله إليهم وسوء تأثير الشيطان عليهم، حيث زين لهم اتباع الشهوات، إن جهلهم هذا

يؤدي إلى الفتن والفساد، ويحول بينهم وبين اتباع سبل الرشاد، مما يسهم في انتشار الفوضى والاضطراب

¹ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 3/ 180.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 13/ 4.

³ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 7/ 229_263، وينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي 3/ 1312.

بين الناس" ¹.

فعندما لا يؤوي الإنسان إلى المنهج الحق فإنه ينحرف عن الطريق " عندما يتمسك الإنسان بمنهج الله، فإنه يحمي نفسه من السقوط في الهوى والضلال ... ومهمة الشيطان أن يزيّن المعصية بالبريق، فتندفع شهوات النفس هائجة إلى المعصية" ². فعلى الإنسان أن يتمسك بمنهج الله تعالى ولا يحيد عنه؛ لينجو من فتنة الشهوات.

والتخلص من تزيين الشهوات للإنسان هي التقوى والصبر، ومجادة الهوى، والصبر على تزيين الشهوات للإنسان؛ حتى يكون مستقيماً في حياته، مستقيماً في طاعته، بعيداً عن غواية الشيطان وشراكه قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90] أي: "إن الحقيقة التي أكدت عليها الشرائع وأظهرتها التجارب هي أن من يتق الله في ما أمره به وما نهاه عنه، ويصبر على ما يتعرض له من محن وفتن الشهوات والأهواء، فإن عليه ألا يستعجل الأقدار قبل أوانها، فالله لا يضيع أجره في الدنيا، بل يوفّر له جزاءه في الآخرة، وتؤكد الآية أن الله يشهد له بأنه من المحسنين والمتقين، أما من يطيع نفسه الأماراة بالسوء ويتبع وساوس الشيطان، فإن عاقبته ستكون الحزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، باستثناء من تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى" ³.

2_ شهوات الدنيا: تحف الشهوات بالإنسان في حياته من كل جانب، وإحدى المغريات هو شهوات الدنيا الكثيرة، والدنيا وزينتها تجعل الإنسان ضعيفاً، وتوقعه في شراكها ومغريتها، ومغريات الدنيا متعددة، منها المال والجاه والسلطة وامتلاك الذهب والفضة و غيرها من الشهوات، قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، 19 / 21.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي 3 / 1655.

³ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 13 / 35.

الْمُسْوَمَةِ.....» [آل عمران: 14] "ففي هذه الآية يبين سبحانه مصدر الغرور وأسباب الاغترار في هذه الدنيا، إن الحب المتزايد للشهوات في قلوب الناس يمكن أن يؤدي إلى انحراف في التفكير، حيث يؤدي السعي المتواصل وراء هذه الشهوات إلى طمس بصيرتهم، مما يمنعهم من إدراك الأمور بشكل صحيح"¹.

فالدنيا إذا فُتحت على الإنسان فإنها تجعله في دوامة الشهوات والملهات، وتجعله على الطريق المنحرف، في تفكيره وفي تصرفه، بل وتعمي بصيرته، وقد "تم تعزيز حب الشهوات في قلوب الناس وجعلها جذابة لهم، حتى أصبحت هذه الشهوة غريزة أو فطرة لديهم، وقد عبر القرآن عن الأشياء المرغوبة باستخدام مفهوم الشهوة، مما يدل على كونها مرغوبة بشدة، يشير هذا إلى أن الشهوة قد تكون مذمومة إذا لم يتوازن الإنسان في حبه لها، ويجب عليه تعديل غريزته تجاهها، يجب ألا يؤدي حب الدنيا، بسلطتها المؤقتة وثروتها الزائلة، إلى طمس معالم الحق أو عدم الإيمان بالدين الحق"².

وإن الله تعالى لا يريد من عباده أن يكونوا عبيدا لتلك الشهوات والمغريات التي تلهي الإنسان؛ لأن الدنيا دار هو ولعب كما أخبر الله تعالى بذلك في قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزْنٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ.....» [الحديد: 20].

وهذه الصفات هي من الشهوات الملهية عن طاعة الله، إذا تمسك بها الإنسان وأصبحت همه الوحيد. ولشدة اغرائها وتوهجها وأثرها في القلوب فقد بين الله سبحانه وتعالى "منزلة ما في هذه الدنيا من مُتَعٍ فانية بجوار ما في الآخرة من نعيم دائم، وإذا كان قد بين سبحانه وتعالى أولا مآل المغترين المعترين بأعراض الدنيا، فقد بين في هذه الآيات مال المتقين وأوصافهم، ومقدار فهمهم لرخارف هذه الحياة وما

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 3/ 1131.

² الزحيلي، التفسير المنير 3/ 165.

فيها من شهوات مردية عند الانحراف في طلبها، ولقد ابتدأ سبحانه بما ركز في فطرة كل إنسان من حب وطلب لهذه الشهوات في مواضعها"¹.

فعلى الإنسان أن يتعظ وينتبه إلى مخاطر الدنيا وزينتها، ولا يركن إليها ولا لملذاتها، ولا نزواتها، وهذه القضية لا يفطن لها إلا أصحاب العقول المستنيرة بالإيمان وأصحاب العقول الراسخة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269] أي: "وما يتذكر ويعتبر بأوامر الله تعالى، ويستولي على نفسه ويحارب أهواءه حتى يقذف الله في قلبه بنور الحكمة إلا أولو الألباب، أي أصحاب العقول التي تصيب الحق وتدركه، وتتجه إليه غير متأشبة بلذة من لذات الجسد، أو شهوة من شهوات الدنيا المردية"².

فالذي يتمسك بما جاء من عند الله تعالى يعصم نفسه من الشهوات ومن الافتتان بهذه الحياة " يجب على المؤمن أن لا ينخدع بالشهوات، بل ينبغي عليه أن يعاملها كوسيلة للعيش في هذه الدنيا فقط، دون أن تشغله عن واجباته الدينية المتعلقة بالآخرة، إن المؤمن يسعى لتحقيق سعادة الدارين معاً، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة 2/ 201]³.

فالإنسان دائماً يرجو ما عند الله من الثواب؛ حتى يخلص نفسه من متاهات الشهوات؛ وحتى لا تعبت به مغريات الدنيا ويبقى على طريق مستقيم.

3_ ضعف الإيمان: إن مما يوهن عزيمة المسلم ويضعفها، هي ضعف الإيمان، وهذا الضعف يأتي لمقدمات كثيرة، أهمها تسلط الشهوات على القلوب، وتمكنها في التحكم بإيمان المسلم قوة وضعفاً، والإيمان موجود بفطرة الناس التي فطرهم الله عليها، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 3/ 1131.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 2/ 1011.

³ الزحيلي، التفسير المنير 3/ 168.

وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شَهِدْنَا ﴿[الأعراف: 172] ومعنى هذا الكلام أن الإيمان هو "إن إيمان الفطرة متجذر في كيان الأشياء، وقد تؤثر الشهوات سلبيًا على هذا الإيمان، مما يدفع الإنسان بعيدًا عن المنهج الصحيح من هنا، يرسل الله سبحانه وتعالى رسلاً برحمته لتذكيرنا بالحقائق الأولى، ولتوجيهنا نحو العلل والأحكام، وهذا يساهم في تحقيق توافق بين ما جاء به الرسل وما يعكسه الإيمان الفطري في كينونتنا"¹.

إذاً لقد فطر الله الناس على الإيمان في القلوب، وهنا تكمن التفرقة بين من يريد الإيمان، وبين من يصد عن طريق الله تعالى، فالذين يريدون الإيمان يهديهم الله تعالى للحق، ويُبعدون عن الشهوات والفساد، قال الله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: 9] معنى الآية: "ذكر الله لهم جزاءين أولهما أنهم بسبب الإيمان والعمل الصالح يهديهم ربهم إلى الحق دائماً فلا تغمرهم الشهوات ولا يرتعون في الفاسد؛ لأن الإيمان نور في قلب المؤمن، به لا يفكر إلا في الحق، ولا يقول إلا الحق، ولا يعمل إلا الحق وسيره بين الناس لا يكون إلا بالحق"².

هذا الجزاء لمن دخل الإيمان في قلبه، ولمن آمن بالله تعالى فيكون قلبه مطمئناً سليماً من الشهوات، أما الذين تتمكن منهم الشهوات فإنهم يضيّعون أوامر الله تعالى وتتخطفهم الأهواء فهؤلاء "اتبعوا الشهوات وأضاعوا الصلاة ... وهي مقابلة بين المؤمن وغيره، فالأول يتبع الشهوات، والثاني مؤمن تواب إلى ربه راجع إليه طالب، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ يشمل من غوي منهم الأهواء والشهوات ورجع إلى ربه، ومن لم يسيطر عليه هواه ابتداءً واتبع سبيل الحق ... لأن المؤمن التواب وصل إلى أعلى درجات الإيمان؛ لأنه يستصغر أفعاله أمام الله ويحسب نفسه مقصراً فلا يُدِلّ بالطاعة، بل يستشعر

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 10 / 6390.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 7 / 3522.

الحشية الدائمة ويغلب عليه الخوف ولا يغلب عليه رجاء الثواب، لأنه يستكثر خطأه، ويستقل طاعته"¹.

فالفرق واضح جدا بين من تملكه الشهوات، وبين الذي تأتي إليه الشهوات؛ لكنه يتوب

ويؤوب إلى ربه، فيستقر الإدمان في قلبه، إن درجات الآخرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدرجات الدنيا، حيث

تتحدد بناءً على قوة الإيمان وضعفه قال الله تعالى: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [النساء: 96] وهذه

الدرجات "هي ما ادخره الله لعباده من المنازل الرفيعة التي يقصر الحصر عن عددها كما قال تعالى: ﴿انْظُرْ

كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21] تتحدد

درجات الآخرة بناءً على درجات الدنيا، وذلك من خلال قوة الإيمان بالله، وتفضيل رضاه على متع

الراحة والنعيم، بالإضافة إلى تقديم المصلحة العامة على الشهوات الفردية"².

فالشهوات إذا تسلطت على القلوب جعلتها أشبه بصحراء مقفرة، خاوية من الرحمة والإيمان

ومن الهدى "يعود ذلك إلى هيمنة الشهوات على قلوبهم وسيطرتها على نفوسهم، مما دفعهم إلى السعي

وراء الباطل بشغف شديد ولهذا السبب، أصبح الاختلاف، رغم وجود المعرفة، قائماً على البغي

بينهم"³.

وقد جعل الله الشهوات في هذه الدنيا؛ ليختبر عباده في قوة الإيمان وضعفه، وفي قوة صبرهم

وجلدتهم أمام المغريات، وينقي ما في القلوب "يتعين التفريق بين الحبيث والطيب، وذلك بهدف تنقية ما

في قلوبكم وإزالة ما قد يعلق بها من شوائب، وتطهيرها من الظنون السيئة. فالقلوب تتأثر، بفعل العادة

وتزيين الشيطان واستحكام الغفلة وحب الشهوات، بما يتعارض مع ما أودعه الله فيها من إيمان وإسلام

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 9/ 4666.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 5/ 130.

³ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 3/ 1150.

وورع وتقوى"1.

والابتعاد عن الشهوات يحتاج إلى مراقبة الله تعالى وإلى تقوى القلوب وتركيتها من الأدران وتطهيرها من الشوائب " يحتاج كل مؤمن يسير على نهج الإيمان إلى الاستعانة بالصبر ليتمكن من تحمل مشقة هذا المنهج وتكاليفه، بالإضافة إلى مقاومة الشهوات التي حرمها الله سبحانه وتعالى"2.

فمنهج الإسلام منهج متزن وسطي في نظره للشهوات، بحيث لا يغلق على الناس كل الشهوات إغلاقاً تاماً، ويعزل الناس عن أمور فطرها الله عليها؛ لكنه جعل لكل شهوة من هذا الشهوات قنواتاً نظيفة يمكن من خلالها استغلال تلك الشهوات على ما يرضي الله عز وجل، وفي نفس الوقت يقوي عزيمة الإيمان في القلوب ويجعلها نظيفة نقية.

المطلب الثالث: مقارنة بين أقوال القدامى والمحدثين في أسباب الفتن

الفرع الأول: الفتن الدينية

في هذا المطلب مقارنة بين رؤية المفسرين القدامى والمحدثين في أسباب وقوع الفتن التي ذكرت آنفاً، فيبدأ الباحث بالفتن الدينية ومقارنتها بين القدامى والمحدثين وهي كما يلي:

أولاً: فتنة الثبات على الحق: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة كما يأتي:

1. رأي القدامى في أسباب وقوعها:

أ. عدم اختصاص أمته ﷺ دون الأمم بالفتن: فلقد بين الله تعالى لنبيه ﷺ أن أمته لا تختلف

عن باقي الأمم في إنزال الفتن عليها، وفي وقوعها، فإذا علمت الأمة هذا الأمر تشبثت بما

¹ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 2/ 307.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي 1/ 307.

أرسل الله لها من كتاب أو منهج، وقد بين الله تعالى لنبيه ﷺ أن أمته كما قال الطبري:
"ستبلى كما ابتليت الأمم، ثم أنزل عليه: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي
فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 93، 94] ، لجأ نبي الله إلى الله بالتعوذ، فأعاده الله،
حيث لم يشهد من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة، ثم أنزل الله عليه آية تحذر أصحابه من
الفتنة، مبيِّناً له أنها ستخص بعضهم دون بعض"¹.

ب. **عدم اتباع طريق الهدى:** فتقلب الهوى واتباع الباطل، تُنزل بأصحابها إلى البلاء والضلال،
وهذه من البلايا التي تعم المجتمعات والأفراد على حد سواء، ولم يصل الحد إلى إنزال البلاء
فقط، بل يتعدى اتباع الهوى إلى " إن تغيير النعمة والانسلاخ منها ظاهرة تستدعي التأمل،
حيث يُعتبر من نجا من هاتين الحالتين محصناً بعصمة الله، ثم ضرب الله له مثلاً فقال:
﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: 176] يقال: لهث
الكلب يلهث لهثاً ولهثاً"².

ت. **إطاعة الشيطان:** ومن طرقه أنه يحرف صاحبه عن اتباع الآيات المنزل من رب العباد كما
حصل مع بلعم بن باعوراء، قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾
[الأعراف: 175] أي: "اقرأ على قومك خبر الذي علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته،
فانسلخ منها أي: خرج منها وفارقها"³.

ث. **الميل إلى الدنيا والسكون إليها:** لأن الدنيا خداعة مغرية، تجعل الإنسان في فتنة دائمة، وفي
لهو مستمر، والله تعالى دائماً يحذّر عباده بعدم الاغترار بالدنيا وزينتها قال الله تعالى: ﴿فَلَا

¹ الطبري، تفسير الطبري 11 / 429.

² أبو الحسن الواحدي، التفسير الوسيط 2 / 428.

³ أبو الحسن علي الواحدي، التفسير الوسيط 2 / 427.

تَعْرِتُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» [لقمان: 33] يقول: "فلا تحددنكم زينة الحياة الدنيا ولذاتها،

فتميلوا إليها، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم"¹.

2. رأي المحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة:

أ. عدم تحمل المشقة والأذى: فلا بد للمؤمنين من تحمل المشاق في سبيل الثبات على الحق

قال المراغي²: "حثّ المؤمنون هنا على الثبات والمصابرة في تحمل المشاق التي تصيبهم من

الكفار، كما لقي الأنبياء ومن معهم من أمثالهم من الشدائد ومقاساة الهموم، وكان عاقبة

أمرهم الفلج والنصر عليهم"³.

ب. اغواء المنافقين للمؤمنين: المنافقون يتربصون بالمؤمنين في شؤونهم كلها، حتى في أوامر الله

عز وجل، وحادثة تحويل القبلة خير دليل على ذلك، قال المراغي: فهم يريدون تشكيك

المسلمين ويريدون بذلك الخداع والفتنة والتهويش على الذين في قلوبهم مرض، بإثارة

الشكوك في نفوسهم، ومن ثمّ كذب الله هؤلاء المخادعين، ويّين أنهم يقولون ما لا

يعتقدون⁴.

ت. كثرة المغريات في هذا الزمن: ومن تلك المغريات هو الانبهار بصورة الغرب والتشبه بهم،

واستعظام ما عندهم من تقدم وتطور، فهؤلاء قد "انجذب الناس نحو الدنيا، حيث كانت

¹ الطبري، تفسير الطبري 20 / 158.

² أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، من العلماء، كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة، سنة (1952 م)، خير الدين الزركلي، الأعلام للزركلي 1 / 258.

³ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2 / 127.

⁴ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2 / 10.

موازينهم مادية بحتة، وأعرضوا عن الآخرة نتيجة لهذا الانجذاب إنهم قصيرو النظر، لأن الله جعل ما في الأرض زينة لها، ليختبر الناس في أعمالهم ويقيم مدى أحسنهم عملاً¹.

3. مناقشة الآراء التفسيرية

بعد طرح آراء المفسرين القدامى والمحدثين في هذه الفتنة، ونظرة كل منهم لأسبابها فإن الباحث يرجح أقوال المفسرين القدامى؛ لأنهم قد حققوا أسباب الثبات على الحق، وكانت أسبابهم تلامس من يسير على خطى الحق، وأسبابهم تواجه أهل الحق في طريقهم، أما بالنسبة لآراء المفسرين المحدثين، فإنَّ تحمّل المشقة لطالب الحق لازمة ضرورة، فمن لم يتحمل الثبات على الحق، لن يستطيع المضي فيه، وبالنسبة لإغواء المنافقين، نعم قد ينغر بهم أهل الحق، ولكن الراسخين من أهل الحق لا تنطلي عليهم تشويش وتشويه المنافقين، فهم على دراية كاملة بمخططاتهم البائسة، فلا تؤثر كثيرا في الثبات على الحق.

وأما كثرة المغريات والملهيات، فهذه تؤثر في ضعف النفوس، أما من تجده طالبا للحق، رابط الجأش، ملازما لتعاليم الإسلام، فإن المغريات لا تؤثر به، فيرجح الباحث أقوال المفسرين القدامى في أسباب وقوع هذه الفتنة.

ثانيا: فتنة أعداء الأنبياء وصدهم الناس عن طريق الله: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة كما يلي:

1. رأي القدامى في أسباب وقوعها:

أ. إظهار الله تعالى الصادقين من الكاذبين: من أهم أسباب هذه الفتنة هو إظهار معادن الناس، وإظهار صدقهم أو كذبهم، فهم يحسبون أن لا يقع عليهم اختبار أو امتحان، يقول

¹ الزحيلي، التفسير المنير 2/ 241.

الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2]

معنى ذلك: "هل يعتقد هؤلاء أنهم سيتجاوزون التصديق بتوحيد الله عز وجل دون أن يُبتلوا في إيمانهم؟ لقد اختبرنا الذين من قبلهم من المؤمنين، ليظهرن الله الذين صدقوا في إيمانهم من هذه الأمة عند مواجهة البلاء، فيصبرون على قضاء الله عز وجل. وسيتبين أيضًا الكاذبون في إيمانهم، حيث سيشككون عند مواجهة الشدائد"¹.

ب. ظنهم الخاطئ بعدم العقاب وعدم ابتلاء الله لهم: فقد توعد الله تعالى بنصرة الأنبياء والرسول؛ لأنهم خلفاء الله تعالى في أرضه، وهم الذي يبلغون رسالات الله تعالى، فإذا عودوا وأوذوا وقُهرُوا؛ فستموت دعوتهم وتندثر تعاليمهم، ويدب الجهل والظلام في الأرض، فكان عقابهم وصددهم، هو لإعلاء الحق وإعلاء شأن من يتبع الحق، وهؤلاء بجهلهم يحسبون أن لا يُفْتَنُوا ولا يتعرض لهم الاختبار، كما قال الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة: 71] المعنى: وظن هؤلاء الذين أخذَ ميثاقهم أنه لا يكون لهم من الله ابتلاء واختبار بالشدائد من العقوبات، ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ أي: عن الحق والوفاء بالميثاق الذي أخذ عليهم².

ت. استهزاؤهم في دعوة الأنبياء عليهم السلام: قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الحجر: 11] يقول: "وما يأتي شيع الأولين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيدهِ، والإذعان بطاعته ... إلا كانوا يسخرون بالرسول الذي يرسله الله

¹ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 3/ 372.

² ينظر: أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية 3/ 1810، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تفسير الثعلبي 95/4.

إليهم عتُّوا منهم وتمردا على ربهم"¹.

ث. إنكارهم لمنهج الأنبياء ودعوتهم: لم يكتف أهل الباطل بالاستهزاء والانتقاص بدعوة

الأنبياء فحسب، بل أنكروا كل ماجأؤوا به، وهو سبب كبير، في صد الناس عن دعوة

ومنهج الأنبياء عليهم السلام، فهم يقفون ضد إيصال شريعة الله ومنهجه للناس، قال الله

تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا

مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 34] قال ابن عباس: "كذبهم قومهم كما

كذبك قومك على ما كذبهم قومهم، وصبروا على أذى قومهم بحلاك قومهم"².

2. رأي المفسرين المحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة:

أ. التكبر عن قبول الحق: قسم من الناس من يتعرف إلى الحق، ويعلم طريقه وسبله، ويعرف

أهله حق المعرفة؛ ولكن يمنعه من قبول الحق هو التكبر والتعالي، قال الله تعالى: ﴿ثَانِي

عِظْفِهِ﴾ أي: "إنه يجادل باستكبار عن الحق ولا يقبل به عندما يدعى إليه، حيث يهدف

من ذلك أو تنتهي عاقبته إلى صد الناس المؤمنين عن دين الله، الذي يحمل في طياته خيرهم

ليصير مآله ممن يضل عن سبيل الله ... ولما أذى جداله إلى الضلال، جعل كأنه غرضه"³.

ب. الخوف من فقدان النفوذ والسلطة: السلطة هي إحدى الشهوات التي يتمناها الإنسان في

حياته، فهي تعطيه قوة ومنعة من الناس، فهم قد تنكروا للحق بسبب حبهم للسلطة والجاه،

وها هو فرعون يخذلوا حذو الجبابرة، فقد رفض دعوة سيدنا موسى واستهزأ به وبرسالته

وبدعوته؛ لأنه كان متشبها بالسلطة والقوة التي كان يمتلكها، وبسبب سلطته على الرقاب

¹ الطبري، تفسير الطبري 69 / 17.

² مجد الدين الفيروزآبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص 108.

³ الزحيلي، التفسير المنير 168 / 17.

ونفوذ الواسع، فإذا انقاد وآمن لسيدنا موسى ستذهب كل تلك المنعة ويذهب الملك ويبلغون قد "علا في الأرض، واستكبر وطغى فيها، وتجبر على الخلق وأفسد فيها، وجعل أعزة أهلها أذلة، وجعل أبناء مصر شيعا وأحزابا، كل حزب بما لديهم فرحون، أفسد ما بينهما، وقرب هذا وأبعد ذاك ليكون بأسهم بينهم شديدا فيظل الكل خاضعا له مستضعفا عنده"¹.

ت. التشكيك والتضليل: وهي أحد الأساليب التي يتخذها أعداء الأنبياء، ويتخذها كل من يريد التصدي لدعوة الناس إلى الخير، ويردون النيل منهم بالتشكيك والتضليل حتى يصدوا الناس عن طريق الهدى قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [آل عمران: 118]، فالخبال هو: "الاضطراب في الرأي والفساد في العمل، كضعف القتال والخلل في النظام، ويقال وضع الرجل إذا عدا مسرعا، وأوضع راحلته إذا حملها على الإسراع، وخلال الأشياء: ما يفصل بينها من فروج ونحوها، والفتنة: التشكيك في الدين والتخويف من الأعداء، وسماعون لهم: أي ضعفاء العزيمة يسمعون قولهم ... والمراد أنهم دبّروا الحيل والمكايد ودوّروا الآراء في كل وجه لإبطال دينك"².

3. مناقشة الآراء التفسيرية

من خلال النظر في آراء المفسرين القدامى والمحدثين، في أسباب وقوع فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله، يجد الباحث أن كلا الأسباب التي طرحها الفرقان صائبة، وموافقة لأسباب

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 2/ 814.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 10/ 130.

وقوع هذه الفتنة، وكلا الفرقين، قد أعطى أسبابا تَصَب في وقوع هذه الفتنة، فهما وإن اختلفت مسمياتهم وأسبابهم، فهي تصدق في أسباب وقوع هذه الفتنة، ومآلها واحد، لما تحتويه من مظان لوقوع الفتن، ولكن يرى الباحث أن أسباب وقوع هذه الفتنة قد قررها المفسرون القدامى وأعطوها اهتماما كبيرا، ودققوا في وصفها وتبين تشعباتها، لذلك فالذي يترجح لدى الباحث في هذه الفتنة هو قول المفسرين القدامى.

ثالثاً: فتنة الشبهات: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة كما يأتي:

1. رأي المفسرين القدامى في أسباب وقوعها:

أ. إثارة الشبهات والشكوك: فقد بين الله تعالى أن بعضهم في قلوبهم مرض وغواية، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [التوبة: 125] أي: في قلوبهم: "شك ونفاق، حيث يعتبر الشك في الدين مرضاً لانه يمثل فساداً في القلب يتطلب العلاج، كما يحتاج الفساد في البدن الى معالجة"¹.

ب. ضعف الإيمان: من علامات وقوع الشبهات في القلوب هو ضعف الإيمان، وهذه القضية قد تجر إلى زعزعة الإيمان، وعدم استقراره، والله تعالى أمر عباده بالإيمان به ورساله، وبالتصديق بكل ما جاء من عند الله قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ [الحديد: 8] يقول تعالى ذكره: "وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله، ورسوله محمد ﷺ يدعوكم إلى الإقرار

¹ أبو الحسن النيسابوري، التفسير البسيط 99/ 11.

بوجدانيته، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك، ما قطع عذرکم، وأزال الشك من قلوبكم¹.

ت. الجهل وعدم المعرفة التامة: فقد يوقع الجهل بأصحابه بالابتعاد عن الحق، ويوقع صاحبها في الشبهات، وعن ملة الإسلام، وعن الطريق الصحيح، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: 130] معناه "إلا من سفهت نفسه ... ومعنى: السفه، الجهل، فمعنى الكلام: وما يرغب عن ملة إبراهيم الحنيفية، إلا سفيه جاهل بموضع حظ نفسه فيما ينفعها، ويضرها في معادها"².

2. رأي المفسرين المحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة:

أ. التحريف والتأويل الخاطي: فالذي يتأول القرآن الكريم، على وفق هواه وعلى حسب معلوماته فقد هوى وضل؛ لأن القرآن لا يمكن أن يفسر وفق الأهواء والرغبات، وقد أخبر الله تعالى عن قوم يحرفون الكلم عن موضعه، بعدما فهموه وعقلوه، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75] فقد أخبر الله تعالى "إن التحريف يحدث بعد أن يستوعب الشخص المعنى ويعرفه بشكل دقيق كالمتعلم الخبير، وليس نتيجة جهل أو عدم فهم لمعاني الألفاظ ودلالاتها ومقاصدها، إن تحريفهم يهدف إلى التضليل، ومن يسعى إلى التضليل يكون قلبه بعيداً عن

¹ الطبري، تفسير الطبري 23 / 172.

² الطبري، تفسير الطبري 3 / 90.

الحقائق، مما يمنعه من إدراكها أو الانصياع لها حتى وإن فهمها، بل إنه يعمل على صد الآخرين عن سبيلها"¹.

ب. مكائد الأعداء في بث الشبهات: فهؤلاء عادتهم سقيمة، يريدون نشر الضلال والباطل، ويريدون الكيد بالمسلمين بل كما يقول سيد قطب: "ويتعاونون مع شياطين الجن في المعركة مع الحق والهدى، وفي نشر الباطل والضلال، واستخفاف الناس بهذا الكيد الظاهر والخافي، إنها سنة جارية، ومعركة محتومة، لأنها تقوم على أساس التناقض الكامل بين القاعدة الأولى في دين الله ... وكذلك توضح النصوص أطماع المجرمين في القرى، بل تشير أيضاً إلى وجودهم من الأساس"².

3. مناقشة الآراء التفسيرية

فتنة الشبهات فتنة كبيرة عظيمة، إذا تسللت إلى القلوب والعقول والأذهان جعلته هشا ضعيفا، وكل ما ذكره المفسرون القدامى والمحدثون هو لا يمكن التفريق والتفريط فيه، إذ ما ذكره القدامى موافق لأسباب الشبهات، وما ذكره المحدثون موافق كذلك لأسباب الشبهات، غير أن المفسرين المحدثين قد أعطوا مساحة أكبر في أسبابها؛ لما لها أثر كبير اليوم من تفشي الشبهات وإحاطتها بالمسلمين، وتغلغلها بينهم، ومن كيد الأعداء بهذه الأمة، وإرادة السوء فيها وفي منهجها فهم يصرفون الأموال الطائلة، من أجل صد الناس وتشكيكهم وتشويه صورة الإسلام في نظر أتباعه، من التحريف والتأويل الخاطئ و مكائد الأعداء في بث الشبهات، فيرجع الباحث أقوال المفسرين المحدثين لتوافق قضايا العصر لهذه الأسباب.

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 1/ 277.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 3/ 1202.

رابعاً: فتنة الاختلاف والتفرق: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة كما يأتي:

1. رأي المفسرين القدامى في أسباب وقوعها:

أ. اتباع الأمم السابقة: وفل من اتبع الآباء والأسلاف من أهل الأهواء فسيكون عليهم وبالاً وخسرانا في الآخرة ويتبرؤون من أتباعهم قال الله عنهم: "يتبرأ القادة الذين اتبعهم الآخرون من أتباعهم، وقد رأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، أي المنازل والأرحام التي كانوا يجتمعون عليها نتيجة لمعاصي الله، حيث كانوا يتحابون في غير طاعة الله، وقد انقطع هذا الترابط بينهم، مما أدى إلى ندمهم ويقول الأتباع: "لو كان لنا فرصة للعودة إلى الدنيا، لننتبرأ من القادة كما تبرأوا منا في الآخرة." كما جاء في قوله سبحانه: "ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً" وهكذا يريهم الله أعمالهم، مما يسبب لهم الندم والحسرات، مع العلم أنهم لن يخرجوا من النار"¹.

ب. اتباع الهوى: إذا كان الإنسان يتبع هواه، فسيؤدي هذا الأمر إلى ترك الجماعة والاختلاف والتشرد؛ لأن الهوى دائماً يُضل صاحبه إلى شطط الطريق ومنحدرات الفكر، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23] أي: "هل رأيت، يا محمد، من اتخذ هواه معبوداً، فيعبد ما يميل إليه من أشياء بدلاً من إله الحق الذي يستحق العبادة من كل شيء؟ ... وقوله ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23] أي:

¹ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 154.

وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كل آية¹.

ت. اتباع الشيطان: اتباع الشيطان والسير خلف وساوسه يوقع الإنسان في الخلاف والتفرقة والعداوة؛ لأنه خلق من نار فيؤجج ويثير المقابل بوسوسته، ويوقع أتباعه في الزيف والهلاك ويزين الضلال على أنه هو الهدى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: 91]، فهو يوقع بين الأصحاب العداوة والبغضاء، والفحشاء؛ ليعادي بعضكم بعضاً، وليبغض بعضكم إلى بعض، مما يؤدي إلى تشتت أموركم بعد أن أَلَفَ الله بينكم بالإيمان وجمعكم في إطار أخوة الإسلام، كما أنه سيصدكم عن ذكر الله.²

2. رأي المفسرين المحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة:

أ. فتنة الغلو والتطرف: فلقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من الغلو ونهبهم على ذلك وبين لهم أن ذلك هو منهج وديدن النصارى في مغالاتهم في عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: 171] "بدأت موعظتهم بالنهي عن الغلو، نظرًا لأن النصارى قد بالغوا في تعظيم عيسى عليه السلام، حتى زعموا أنه ابن الله وجعلوه ثالث الآلهة وتم التحذير من الغلو، لأنه يمثل الأساس للكثير من ضلالاتهم وتكذيبهم للرسل الصادقين، وقد تجاوز أهل الكتاب الحدود التي طلبها دينهم: فاليهود طُلب منهم اتباع التوراة ومحبة رسولهم، لكنهم تجاوزوا ذلك إلى بغض الرسل كعيسى ومحمد

¹ الطبري، تفسير الطبري 22 / 76.

² ينظر: الطبري، تفسير الطبري / 565، أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 12 / 424.

عليهما السلام, كما طُلب من النصارى اتباع المسيح، إلا أنهم تخطوا هذا الحد إلى ادعاء ألوهيته أو كونه ابن الله، مع كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم¹.

ب. **الكبر والغرور:** ومن أساليب المتكبرين هو الإصرار على ارتداد المسلمين عن دينهم وتفرقتهم والله تعالى يبين لنا "يعمل على توضيح الحقيقة للمؤمنين برسالته حتى يمنحهم مناعة إيمانية ضد محاولات الكافرين للإضرار بالمؤمنين, كما يُعلمنا أنهم لن يدخروا جهداً في سعيهم لردّ المسلمين عن دينهم، حيث إن منهج الله لا يخيف إلا المبطلين, ويقوم هؤلاء الكافرون ببذل كل ما في وسعهم واستخدام شتى الوسائل لصرف المسلمين عن دينهم، لكن هل سيمكنهم الله من تحقيق ذلك؟ الجواب هو لا؛ فلا يزال هناك أمل في الخير ما دامت أمة الإسلام متمسكة بالمنهج الحق"².

3. مناقشة الآراء التفسيرية

من خلال ما ورد من الأسباب التي ذكرها المفسرون القدامى والمحدثون، يتبين أن هذه الفتنة لها أسباب أساسية وأسباب ثانوية، والمفسرون القدامى ذكروا أسباباً رئيسة منها اتباع الهوى، واتباع الشيطان، وذكروا أسباباً ثانوية وهي اتباع الأمم السابقة، لكن المحدثين، ذكروا أسباباً جوهرية لها، تكمن في أسباب نشأت التفرقة والاختلاف بين المسلمين، وهي فتنة الغلو والتطرف، والكبر والغرور، والغلو والتطرف لم يكن له طابع منفصل في القرون القديمة وفي عهد المفسرين القدامى، لكنه اليوم أصبح له جذور عميقة في واقعنا، فبسببه قد اختلف الناس وأوذوا وهجروا بل وقتلوا، وما أمر الجماعات المتطرفة ببعيد عن الغلو الذي نخر في جسد الأمة اليوم ونرى أن كل فرقة تغلو

¹ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 6/ 50 _ 51.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي 2/ 933.

في اتباعها وفي مسلكها، وإذا قُدمت لهم النصائح وقدمت لهم الحلول لترك هذا الغلو تأخذهم العزة بالإثم بالتكبر والغرور؛ فتؤدي هذه التصرفات، إلى انشقاق المسلمين والضغينة والكراهية التي لا يرضها الله لعباده، فيرى الباحث أن أسباب وقوع هذه الفتنة التي ذكرها المفسرون المحدثون، هو الراجح، لتوافق النصوص على واقعنا؛ ولظهور علامتها في بلاد المسلمين.

الفرع الثاني: الفتن الدنيوية

أولاً: فتنة الأولاد: ثانياً: فتنة المال: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في أسباب وقوع هذه الفتن كما يأتي:

1. رأي المفسرين القدامى في أسباب وقوعها:

أ. الانشغال بالدنيا عن الآخرة والاستعداد لها في التفريط في الصالحات: فقد نهي الله تعالى عن الانشغال بالأموال والأولاد والالتهاؤ بها عن ذكر الله ونسيان طاعته؛ لأن كل ما يشغل عن ذكر الله تعالى، فهو خسران وغير نافع، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ يقول: لا توجب لكم أموالكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ اللهم ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهو من أهيته عن كذا وكذا، فلها هو يلهو لهواً؛ ... وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يقول: ومن يلهو ماله وأولاده عن ذكر الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقول: هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى"¹.

¹ الطبري، تفسير الطبري 23 / 407.

ب. الحرص على المال والأولاد يدفع على الوقوع في المحرمات: فقد يجبر التعلق بالمال إلى ما لا يحمد عقباه، وإلى الخيانة بل وفي بعض الأحيان التعدي على حدود الله، وقد جعل الله تعالى الأموال والأولاد فتنة؛ لأنهم " يعود سبب الوقوع في الفتنة إلى الإثم أو العذاب، أو إلى كونها محنة من الله لاختبار كيفية حفاظكم على حدوده ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، يتوجب عليكم التركيز على طلب ما تسعون إليه من أهداف، والعمل وفقاً لما تقتضيه هممكم ينبغي عليكم الزهد في الدنيا، والابتعاد عن الحرص المفرط على جمع المال وحب الأبناء، حتى لا تورطوا أنفسكم في مشكلات بسبب ذلك"¹.

ت. الالتئام بالمال سبب في الهلاك والخسران: من تمسك بالمال وأولع به وصار شغله الشاغل؛ فسيكون مآله إلى الخسران والثبور والهلاك، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9] معناها: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ... لا توجب لكم أموالكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ اللهم ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهو من أهيته عن كذا وكذا"².

2. رأي المفسرين المحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة:

أ. الفتنة بسبب فرط المحبة لهم: إذا تمكن حب المال والأولاد من القلب؛ فإنه يجعل فيه تعب ومشقة، وإذا تعلق الإنسان بهم تعلقاً يوصل بالإنسان حد الشغف؛ فإنه ربما تعمى بصيرته، ولا يستطيع أن يكون متزنًا في حياته، ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً عن الحسد بسبب فرط الحب، وذلك كما حدث لسيدنا يعقوب مع يوسف عليه السلام، إذ قالوا كما في قوله تعالى:

¹ أبو القاسم محمود الزمخشري، تفسير الزمخشري 2/ 214.

² الطبري، تفسير الطبري 23/ 407.

﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف:

8] قالوا: "إن يوسف وأخاه بنيامين، شقيقه، يحظيان بمكانة خاصة في قلب والدنا، مما يجعلهما محبوبين لديه أكثر منا، رغم صغر سنهما، نحن مجموعة مكونة من عشرة رجال، ونتيجة لذلك، يظهر أن والدنا في موقف خاطئ، حيث يميل إلى حب يوسف وأخيه بشكل يتجاوز الحدود، مما ينم عن عدم تحقيقه للعدل والمساواة في توزيع مشاعره"¹.

ب. المال والأولاد مصدر شقاء وتعب للإنسان: يعيش الإنسان في هذه الحياة، ويتزوج وينجب الأولاد ويكون عنده المال؛ ولكن هذه النعم قد تكون في نفس الوقت تعباً ونصباً وشقاءً على الإنسان، قال الطاهر بن عاشور: وقد يعيش الإنسان حياة هائلة مستقرة ليس فيها شرور أو حزن؛ لكن تأتي له الأحزان والمصائب من قبل أمواله وأولاده، فتقلب عليه حياته غما وتعاسة، وقد تجر صاحبها إلى الوقوع في الذنوب، وهذه من الفتن العظيمة المانعة².

ت. المال والأولاد مشغلة وملهية عن ذكر الله تعالى: فلقد وجه الله تعالى عباده أن لا يكون الأولاد سبباً في الانهماك بهم وبالميل الشديد لهم، والانشغال بهم عن ذكر الله وطاعته، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ [المنافقون: 9] أي: "لا تكونوا كالمنافقين الذين يغترون بالأموال والأولاد، ويشغلون بتدبيرها ورعايتها عن ذكر الله، ولا شك أن من أهم الأسباب التي تدفع الإنسان إلى النفاق أو التحلل من الدين هو الانشغال بالدنيا وعوارضها، والانهماك الشديد في تحصيلهما ورعايتهما، فذلك مما يُعَدُّ الانشغال عن ذكر الله وعبادته من الأمور الضارة بالإنسان، أولئك الذين يرتكبون هذا الفعل يعدّون من الخاسرين، لأنهم يضحون بما هو

¹ الزحيلي، التفسير المنير 12/ 213.

² ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 28/ 286.

دائم ومفيد من أجل ما هو زائل وعابر، واشتروا الضلالة بالهدى، وليس معنى هذا أننا نترك الدنيا بما فيها من الأموال والأولاد، لا. ولكن المنهي عنه هو الانشغال بهما عن ذكر الله¹.

3. مناقشة الآراء التفسيرية

من خلال الأسباب التي ذكرها المفسرون القدامى والمحدثون يرى الباحث أن كلا الأسباب التي ذكروها تصدق على الفتنين، وتنطبق عليهما؛ لأنهما من الفتن المتلازمة للإنسان منذ وجود البشر على هذه الخليقة، فهما فتنتان يشتغلون ويشرون الإنسان عن ذكر الله، وهما قد يكونان سببا رئيسا في هلاك وبوار صاحبهما إذا أعطاهما القدر الذي لا يستحقونه، تجاوزا للحد أو تفريطا فيهما؛ لذلك فمن خلال الآيات والاطلاع على الآيات الواردة بشأن هذه الفتنين يرى الباحث أن كلاهما قد تطابقت أسبابهما ولا يمكن الفصل بينهما؛ ولأنهما من الفتن المتجددة مع الإنسان يدور حيث تدور.

ثالثا: فتنة الشهوات: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في أسباب وقوع هذه الفتن كما يأتي:

1. رأي المفسرين القدامى في أسباب وقوع هذه الفتنة:

أ. الافتتان بالنساء: إن فتنة النساء من أشد الفتن التي تصيب المسلم، لذلك فإن الله تعالى قد أمر بمقدمات الافتتان بالنساء؛ حتى يتحصن المسلم لنفسه ولا يقع في النظر، وقد يجز النظر إلى الشهوة وإلى اللبس ثم الزنا والعياذ بالله، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: 30] يعني: "وردت تفسيرات متعددة بشأن معنى "عما لا يحل النظر إليه" قيل إن المقصود هو الأمر بغض البصر، بينما يُفهم أيضاً أن استخدام "من" هنا للتبعية، حيث لا يُطلب من الناس غض البصر عن كل ما يُسمح لهم بالنظر إليه وإنما

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 3/ 681.

أُمُّرُوا بَغْضَ أَبْصَارِهِمْ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَجُوزُ النَّظَرُ إِلَيْهَا ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
يعني: عما لا يحل وكل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع
فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه"¹.

ب. **الافتتان بالمنصب والجاه:** قد يغتر قسم من الناس بالمنصب والجاه فتكون فتنة له، وما أكثر
من اغتر بمنصبه وجاهه، ومن أكثر من كان الجاه والسلطة والمنصب له فتنة هو فرعون، فقد
كان ذا سلطه وجاه، واستخف قومه فأطاعوه، ثم بعد ذلك ادعى أنه إله يعبد من دون الله
تعالى، فكانت عنده صفة التعالي والتكبر، وبحسب أنه يستطيع أن يفعل بملكه بمحض هواه
وشهوته، وكان في نفس الوقت جبارا ظالما "فجمع قومه فنادى فيهم فقال لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ
الْأَعْلَى﴾، تمردا على الله وطغيانا"².

ت. **الافتتان بالمال وحب الجشع:** فإن من الشهوات الدنيوية هي شهوة المال التي تجعل
صاحبها يتكبر على الناس ويتفاخر، وقد يظن بأنه هو صاحب الفضل في هذه الأموال، ولا
ينسب الفضل لله تعالى، بل يتناول ويتمادى إلى أن يتحدى غيره، أو يأخذ المال بأي
سبب سواء كان هذا السبب مشروعاً أو غير مشروع، وسواء كان من الحلال أو أكل أموال
الناس بالباطل بالغش والرشوة والربا وغيرها، وقصة قارون خير دليل³

2. رأي المفسرين المحدثين في أسباب وقوع هذه الفتنة:

أ. **إغواء الشيطان:** الشيطان له مسالك كثيرة في سبيل إيقاع الإنسان في المنكرات والشهوات،

¹ علاء الدين علي بن محمد الخازن، تفسير الخازن 3/ 292، وينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 508، أبو القاسم
محمود الزمخشري، تفسير الزمخشري 3/ 229.

² أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية 12/ 8037.

³ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 19/ 616، الواحدي، الوجيز للواحدي ص 825.

وهو يزين للناس كل أمر ممقوت وحرام؛ ليوقعهم في فخاخه وفي مكائده؛ ولكي ينحرفوا عن الطريق الصحيح، وقد أمر الله تعالى بعدم اتباع الشيطان فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ.....﴾ [الأنعام: 142] أي فلا تتبعوا "طريقة الشيطان بالإغواء والوسوسة، فهو إنما يوسوس بالبشر، وإنه للإنسان بدءا من أبينا آدم عليه السلام عدو ظاهر العداوة، فلا يأمر بالخير أصلا، ولا يأمر إلا بالقبيح، الشيطان هو منشأ الأفكار السلبية ومروج الأعمال السيئة، ولذلك يجب الحذر منه وعدم الانقياد وراءه، فهو بتأثيره وإغوائه يُظهر وكأنه قائد يُطاع، محاولاً دفعكم للقيام بما يضرّكم في حياتكم الدنيا ويؤثر سلباً على آخرتكم"¹.

ب. **شهوات الدنيا:** تحف الشهوات بالإنسان في حياته من كل جانب، وإحدى المغريات هو شهوات الدنيا الكثيرة، والدنيا وزينتها تجعل الإنسان ضعيفا، وتوقعه في شراكها ومغريتها، ومغريات الدنيا متعددة، منها المال والجاه والسلطة وامتلاك الذهب والفضة و غيرها من الشهوات، قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ.....﴾ [آل عمران: 14] "ففي هذه الآية يبين سبحانه مصدر الغرور وأسباب الاغترار في هذه الدنيا، ترسخت في قلوب الناس رغبات قوية تجاه الشهوات، والتي إذا تمادى الإنسان في السعي وراءها، تؤدي إلى انحراف تفكيره وتشويش بصيرته، مما يمنعه من إدراك الأمور على حقيقتها"².

¹ الزحيلي، التفسير المنير 2 / 73.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 3 / 1131.

ت. **ضعف الإيمان:** إن مما يوهن عزيمة المسلم ويضعفها، هي ضعف الإيمان، وهذا الضعف يأتي لمقدمات كثيرة، أهمها تسلط الشهوات على القلوب، وتمكنها في التحكم بإيمان المسلم قوة وضعفاً، والإيمان موجود بفطرة الناس التي فطرهم الله عليها، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: 172] ومعنى هذا الكلام أن الإيمان هو "الإيمان الفطري المغروس في طبيعة الأشياء قد يتأثر بالشهوات التي تعكر صفاءه وتعيق الإنسان عن الالتزام بالطريق الصحيح لذا، يرسل الله تعالى برحمته رسلاً يحملون الأدلة الواضحة والأحكام الإلهية، لإرشاد الناس وإعادتهم إلى مسار الفطرة السليمة، حيث تتكامل الأدلة السماوية مع الفطرة الإلهية المغروسة في الكائنات"¹.

3. مناقشة الآراء التفسيرية

بالنظر إلى الأسباب التي بينها المفسرون القدامى والمحدثون، فإن الأسباب التي ذكرها المفسرون القدامى هي أسباب ليست ذات دافع جوهري، فإن هذه الأمور من النساء والمال والمنصب، هي موجودة من ضمن حياة المسلم، وليس شرطاً أن تكون في ذاتها دافعة للشهوات، إلا إذا استخدمت في غير محلها فإنها ستكون محل للشهوات المذمومة، بينما نجد المفسرين المحدثين قد بينوا وأكدوا على أسباب حقيقة التي من شأنها أن تدفع الإنسان إلى الغور في ظلمات الشهوات، من إغواء الشيطان، وضعف الإيمان، غير أن المفسرين المحدثين يتفقون مع المفسرين المحدثين في أن المال والجاه والمنصب هو أحد أسباب الدخول في الشهوات، لكن ليست في أصلها سبباً حقيقياً للدخول في متاهة الشهوات، ويرجح الباحث الأسباب التي ذكرها المفسرون

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 10/ 6390.

المحدثون لما لها تأثير في أسباب وقوع المسلم بالشهوات، وهي أشبه بالمقدمة لها.

الفصل الثالث: أقوال المفسرين في الآثار المترتبة على وقوع الفتنة

تمهيد

تنتشر الفتن في مختلف جوانب الحياة، وتؤثر على الفرد والمجتمع، فعلى المستوى الفردي، يمكن للفتنة أن تؤثر على السلوك والشخصية والإيمان، وعلى المستوى المجتمعي، تؤثر الفتن على الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغالباً ما تنعكس سلباً، وقد تنعكس إيجاباً، وللفتنة تأثير كبير على مجرى الحياة ويمكن أن تؤدي إلى انهيارات مجتمعية وأمراض كبيرة مثل الانقسام والصراع والتطرف.

ولقد بين علماء التفسير قديماً وحديثاً وتتبعوا آثار الفتن، وكيفية ومدى تأثيرها، فالآثار تكون في بعض الأحيان وخيمة ووقعها شديد أكثر من أسباب وقوع الفتن؛ لأن الآثار قد تبقى متلازمة للفرد وللمجتمع، ويصعب تجاوزها وإزالتها بيسر وسهولة، وقد بين الباحث آثار الفتن التي تم دراستها في هذه الأطروحة، ونظرة المفسرين لهذه الآثار وذلك عند المفسرين القدامى والمحدثين، ليقف المسلم على تلك الآثار ويجعلها نصب عينيه؛ فبمعرفة عواقب الأمور يتجنب المسلم الخوض في الوقوع في الفتن، ويحصن نفسه من الانزلاق في متاهاتها وآثارها.

وقد كانت لكل فتنة عدة آثار، يبينها الباحث من خلال استقراء المفسرين القدامى والمحدثين للفتن، وكيف كانوا يوجهون ويبيّنون آثار تلك الفتن من خلال حديثهم عن الفتن، والوقوف على منعطفاتها وعواقبها، وتختلف آثار الفتن في بعض الأحيان من زمن لآخر وفقاً لمعطيات ذلك الزمن ومدى تأثيره على الأفراد والمجتمعات.

المبحث الأول: أقوال المفسرين القدامى في آثار وقوع الفتنة

لكل فتنة أسباب وتأثير على الفرد والمجتمع، وتختلف هذه الآثار وفقا لعظم وشدة الفتنة، فالفتن الصغيرة يكون تأثيرها صغيرا وضعيفا، وإذا كانت الفتنة عظيمة شديدة فسيكون بلا شك وقعها وتأثيرها شديدا وكبيرا، وقد بين المفسرون القدامى بعض آثار الفتنة التي تصيب الأفراد والمجتمعات، فمن خلال طرحهم وتعقبهم للفتن، وقعوا على تلك الآثار والعواقب، وفي نفس الوقت لم يكونوا يبينون تلك الآثار بشكل منفصل عن الفتنة المذكورة؛ لكن يعطون إشارات ولحاحات عن هذه الآثار، فكان لزاما على من يبحث في آثارها أن يمعن النظر، ويطيل القراءة ليجد ضالته، وقد جعل الباحث لكل فتنة ثلاثة آثار في غالب الفتن التي ذُكرت، وجعلت لها أدلة من آيات القرآن، ومن الأحاديث النبوية إن وجدت، ومن كلام المفسرين القدامى؛ حتى يخرج القارئ بتصور واضح عن آثار هذه الفتنة.

المطلب الأول: الآثار العامة المترتبة على وقوع الفتنة

سبق أن تم البحث في أنواع الفتنة عند المفسرين القدامى وعند المفسرين المحدثين، وفي أسباب وقوع الفتنة، عند القدامى والمحدثين، ويتم البحث الآن في آثار الفتنة التي ذُكرت سابقا _ من الفتن الدينية والفتن الدنيوية، وأثر هذه الفتنة على الفرد والمجتمع، وتوجد آثار نافعة إيجابية و آثار مضرّة سلبية، وهناك آثار عامة للفتن التي ذُكرت، وآثار خاصة، ومن هذه الآثار العامة ما يلي:

أولا: الآثار الإيجابية:

1. التحلي بالصبر على الابتلاء: الابتلاء سنة جارية على جميع الخلق بما فيهم الأنبياء عليهم السلام، وذلك لغايات كثيرة، فها هم الرسل قد ابتلوا، حيث أنه "ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم، وبمناصبتهم لهم العداوة، وأقاويلهم الخارجة عن حدّ الإنصاف، وأنواع أذاهم، وطلب منهم الصبر الجميل، ونحوه

﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران:

186] وموقع أَتَصْبِرُونَ بعد ذكر الفتنة موقع أَيُّكُمْ بعد الابتلاء في قوله: ﴿لَيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[هود: 7]¹.

وقد أبتلي النبي ﷺ بقومه حين رموه بصفات لا تليق به، ويردون منه ألا يفعل كما يفعل باقي

البشر مثل المشي والأكل بالأسواق، ظنا منهم أنه لا ينبغي لرسول أن يأكل بهذه الأماكن، ولكن هذا

أمر خارج عن المألوف، فالرسل يأكلون ويمشون في الأسواق؛ لأن بشريتهم تتطلب ذلك قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ

لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: 20] فقد أخبر الله "عز وجل أن السبب في ذلك أن

الله تعالى أراد أن يجعل بعض العبيد فِتْنَةً لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر ... والرسول

المختص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس الكفار في عصره ... والتوقيف ب أَتَصْبِرُونَ خاص للمؤمنين

المحققين فهو لأمة محمد ﷺ كأنه جعل إمهال الكفار فتنة للمؤمنين أي اختبارا ثم وقفهم هل يصبرون أم

لا، ثم أعرب قوله وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين"².

فالله تعالى: جعل الناس بعضهم لبعض فتنة ليرى صدقهم، ويرى صبرهم بالمخالطة؛ لأن المخالطة

مع الناس تحتاج إلى صبر وعزم؛ وذلك لأن الناس يصدر منهم الكلام الحسن والكلام البذيء فيحتاج

الإنسان إلى تحمل ورية، قال الصحابي عبد الله بن عباس: "أي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على

ما تسمعون منهم، وترون من خلافهم، وتبعوا الهدى"³.

والأنبياء قد ابتلاهم الله تعالى، بأنواع من الحن والرزايا؛ لأنهم قدوة للبشر، وهم محط نظر جميع

¹ أبو القاسم محمود الزمخشري، تفسير الزمخشري 3 / 272.

² عبد الحق عطية الأندلسي، تفسير ابن عطية 4 / 205.

³ البغوي، تفسير البغوي 3 / 439.

الناس فإذا صبر الانبياء والرسل على الابتلاءات، تأسى بهم الناس واقتدوا بهم، لذلك فقد سأل النبي ﷺ: «أي الناس أشد بلاء؟» فقال رسول الله ﷺ: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل من الناس، فيبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان صُلْبَ الدين اشتد بلاءؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب ذلك، فلا يبرح البلاء على العبد حتى يدعه يمشي على الأرض، وليس عليه خطيئة»¹.

فالابتلاء جاء ليربي النفس على التحمل والصبر، فيبتلى المسلم على حسب ما عنده من إيمان، ومن الأمثلة على ذلك سيدنا أيوب عليه السلام قد لاقى ما لاقى من أنواع الابتلاءات وصنوف الاختبارات وامتنحن بكل شيء آتاه الله، بالمال والولد والمرض لكنه صبر واحتسب الأجر لله تعالى حتى قال الله في حقه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ [الأنبياء: 83، 84] فقد جرت على سيدنا أيوب الفتن والمحن، ونزلت به كل المصائب، فصبر واحتسب ذلك كله لله تعالى، حتى قيل في صبره "أعظم مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبيا من الأنبياء"².

فالمسلم معرّض في حياته للابتلاء؛ حتى يكشف الناس عن معادهم، ومدى صبرهم وتحملهم، ولولا الابتلاء لتساوى الناس كلهم "عندما يعدّنا الله سبحانه وتعالى للتعامل مع تحديات الحياة، ويختبرنا بالصبر على المصاعب، فإن النجاح في هذه التجارب يجلب لنا البشارة، إذ نكون قد أظهرنا قدرتنا على التحمل والثبات في مواجهة المنغصات.... إذن فالمهم أن ينجح المؤمن في كل هذه الابتلاءات؛ حتى يواجه الحياة صلبا؛ ويعلم أن الحياة معبرا، ولا يشغله المعبر عن الغاية؛ ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

¹ أخرجه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، باب ما جاء في الصبر على البلاء، 4/ 602، حديث رقم 2398، قال عنه الإمام الترمذي (هذا حديث حسن صحيح).

² الطبري، تفسير الطبري 18/ 507.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]¹.

فبعد عناء النصب والابتلاء، يطمئن الله تعالى عباده بالجزاء على صبرهم وتحملهم فيقول الله

تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10] يقول تعالى ذكره: "إن الله

سبحانه وتعالى يكرم الذين يتحلون بالصبر على ما واجهوه من مصاعب في الدنيا، فيمنحهم أجرهم في

الآخرة دون حساب. بمعنى أن ثوابهم سيكون غير محدود أو محدد"². فحازوا أهل الصبر على مزايا عظيمة

نتيجة صبرهم وثباتهم على الابتلاء.

2. اكتساب الأجور ومضاعفتها: تتضاعف الأجور والثواب لمن حطت برحالمهم الفتن والمصائب في

حياتهم، على ما لاقوا من تنوع الفتن والشدائد في الحياة، حتى في الصبر على الطاعات فيه أجر كبير

وثواب عظيم، وقد نبه وبين وأمر الله تعالى عباده على ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ.....﴾ [آل عمران: 200] أي: "ينبغي عليكم التحلي بالصبر في مواجهة

البلاء والجهد والالتزام بأداء الفرائض، والابتعاد عن المعاصي، كما يجب أن تصبروا مع نبيكم ﷺ على

مواجهة عدوكم حتى يتمكنوا من ترك دينهم والشرك، ويدخلوا في دائرة الإيمان، ومن المهم أيضاً أن تظلوا

رابطين مع عدوكم ما داموا قائمين ... لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ يقول: تفوزون وتؤمنون النار وتنجون منها، ويقال:

أصل الفلاح البقاء بالنعمة، ويقال: الفلاح أن يبلغ الإنسان نهاية ما يؤمل³.

فنهاية هذا الجهد هو الفور والأجر الكبير من الله تعالى، والله تعالى بين منزلة الصابرين على

البأساء والضراء فهم "المؤمنون الذين صبروا على الطاعات والشدائد ... إذا ابتلوا صبروا وإذا أعطوا شكروا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بينهم وبين ربهم أولئك هُم مَغْفِرَةٌ لذنوبهم في الدنيا وَأَجْرٌ كَبِيرٌ يعني: ثواباً عظيماً في

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 2/ 662 _ 663.

² الطبري، تفسير الطبري 21/ 269 _ 270.

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 276 _ 277.

ويوم القيامة عندما تنشر الموازين وتتطاير الصحف، يتبين مكانة الناس في صبرهم وثباتهم على المواقف والفتن في الدنيا، فعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب، ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء، ولا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان فيصب عليهم الأجر صبا حتى إن أهل العافية ليرتمون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم»².

فالمسلم دائما مأجور في تعرضه للفتن والحن، ولا يخلوا الابتلاء من لطف الله تعالى، ويشيب الله تعالى الصابرين، ولا يضيعه قال الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 90] يعني: "إن الله سبحانه وتعالى يمنح الصبر لمن يتقيه، إذ إن من يصبر على الحن والابتلاءات يُعَدّ من المحسنين، وثوابهم لن يضيع عند الله، حيث يُعطى أجرهم في الآخرة دون حساب"³.

فقد نال سيدنا يوسف عليه السلام الثواب والأجر بالصبر والتحمل على كل الفتن والصعاب، وهذا ينبه المؤمن على التأسي بالأنبياء والرسل، في مصابهم وعظم محنتهم ليسير على طريق متزن، ويرى أن المصائب هي ضيوف من الله تعالى على عبده.

3. التضرع والدعاء إلى الله: عندما يصيب المسلم الأهوال والفتن والشدائد، فكثير من الناس يهرع للخلق لينقذوه من هذه الشدة التي هو فيها، وينسى خالقه ورازقه؛ ولكن المؤمن التقي، يرى أن هذه

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي / 140.

² أخرجه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير للطبراني 12/ 182، قال عنه الإمام الهيثمي: (فيه جماعة بن الزبير وثقه أحمد وضعفه الدارقطني).

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 208.

الفتن هي من عند الله تعالى؛ فإنه يلجأ إليه سبحانه جل في علاه قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: 51] يبين الله تعالى بأنه "إذا نحن أنعمنا على الكافر، فكشفنا ما به من ضرر، ورزقناه غنى وسعة، ووهبنا له صحة جسم وعافية، أعرض عما دعوناه إليه من طاعته، وصد عنه (ونأى بجانبه) يقول: وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، ويعني بجانبه بناحيته ... ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: 51] يعني بالعريض: الكثير ... وأطال فلان الدعاء: إذا أكثر، وكذلك أعرض دعاءه"¹.

حتى أن الكافر الذي ييحد ربه إذا ركب في البحر وأخذته الغرق يدعو ربه تضرعا وخيفة أن ينجيه فكيف بالمسلم، قال ربنا في كتابه العزيز: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ.....﴾ [الإسراء: 67] يعني: "إن الخوف من الغرق يعد من الأمور التي تجعلكم تدعون آلهة غير الله، حيث يُظهر ذلك انحرافاً في دعائكم وقد يُفهم أن كلمة "ضل" تشير إلى الغياب أو النسيان والمعنى هنا أنكم في لحظات الشدة أخلصتم الدعاء لله وحده، وتجاهلتم الأصنام التي تعبدونها ومع ذلك، عندما أنقذكم الله من الغرق ووصلتم إلى البر، استمرتم في الإعراض عن الإيمان والإخلاص، مما يبين أن الإنسان، ولا سيما الكافر، يكون جاحداً لنعم ربه"².

فهم في لجج البحر وفي خوف كثير، لم يسعفهم أحد إلا التضرع والدعاء لله تعالى؛ لأنهم يعلمون أن لا أحد ينقذهم من هذا الهلاك والخوف إلا الله جل شأنه؛ لكنهم عندما أمنوا على أنفسهم ورسوا على البر أعرضوا وتنكروا لله، وهذا شأن الجاحد المتكبر على عبادته تعالى، بل حتى من المسلمين من تصيبه المصائب يلجأ إلى الله تعالى لكشف كربته، وعندما تنجلي هذه الكربة يعود إلى طيشه وإسرافه في

¹ الطبري، تفسير الطبري 21 / 491 _ 492.

² جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير 3 / 38.

المنكرات واجتراء السيئات.

وهذا يدلنا على أن الفطرة السليمة، تلجأ إلى الله تعالى عند الكرب، حتى لو لم يكن صاحبها مؤمناً بالله تعالى فقلوه: "يظهر من النص أن الفطرة السليمة والخلقة الأصلية تشهد بأن الملجأ الوحيد في الأوقات الحرجة هو الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يمكن الاعتماد إلا على فضله ومع ذلك، فإن هذا الإخلاص غالباً ما يتلاشى بعد تحقيق السلامة والنجاة، حيث يميل الإنسان إلى نسب تلك السلامة إلى الأسباب المادية من حوله هذا التحول يعكس ضعفاً في الإيمان، حيث يُقدم الإنسان على الشرك ويغفل عن وحدانية الله في لحظات السلم والنجاة"¹.

فقوم موسى عليه السلام كانوا شديدي التكبر والغطرسة، ولم يدعنوا لما جاء به سيدنا موسى عليه السلام، بل كانوا من أشد الناس عداوة لمن آمن من قوم سيدنا موسى عليه السلام، ومع تكبرهم وعنادهم، عندما أخذهم الله بالعذاب وجرى عليهم أنواعاً من التضيق، كان ذلك تنبيهاً من الله تعالى لهم حتى يتضرعوا ويؤوبوا إلى خالقهم، وحتى يكونوا عبيداً لله ويتقادوا لما جاء به موسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 130]².

والتضرع لله تعالى هو نجاة من الفتن التي يتعرض لها المسلم في حياته؛ لأن المسلم معرض لكثير من البلايا والفتن، فهو بنزول الفتن والشدائد، يلوذ بحمى الله تعالى، ويظهر قلبه من التكبر والغفلة، وهذا دأب الصالحين كذلك "وإن الصالحين لا يفرون من المصائب تنزل بهم، ولا يرونها من جانبها الشديد، بل يرونها من جانبها الصالح المفيد، فهي تربي في المؤمن الإحساس بالربوبية والضعف أمام القدرة الإلهية والإخلاص لله تعالى، فالإخلاص حيث الضعف أمام الله، وأنه لا كاشف للضرر سواه، وإن ذلك يجعله

¹ الرازي، تفسير الرازي 13 / 20.

² ينظر: الرازي، تفسير الرازي 14 / 344.

يرجع إلى الله تعالى ويكون ممن أناب إليه سبحانه كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: 32] وحيث يحس بشدة المصيبة يتضرع إليه، فيدعو إليه متضرعا ليكشف عنه الضر¹.

4. تكفير السيئات: من أصيب بالفتن والبلايا والكروب ثم صبر على كل هذه الشدائد فإن الله تعالى يجبر كسره، ويغفر ذنبه ويكفر سيئاته، لأن الجزاء من جنس العمل قال سحرة فرعون الذين آمنوا بربنا بسيدنا موسى جراء موقف انقلاب عصيهم إلى لقمة في فم الثعبان الكبير بعصى سيدنا موسى قالوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 51] فقد امتلكوا "إيمان قوي وصبر على البلاء، ورجاء ما عند الله العزيز الحكيم، وذكروا طمعهم في غفرانه، ولم يذكروا تأكيدهم منه؛ لأن شأن المؤمن الذي يذكر سيئاته أن يرجو ولا يطمع، ويخاف ولا يتأكد، ولتذكرهم لما أخطئوا به في جنب الله لم يذكروا في طمعهم إلا أن يغفر لهم خطاياهم"².

فلم يكن همهم المناصب والجاه بعد أن عرفوا الحقيقة سوى العفو من الله تعالى وتكفير سيئاتهم وخطاياهم، وكذلك المسلم عندما يتعرض لشد الفتن والبلاء؛ فإنه يرجو من الله تعالى العفو وغفران الذنوب وتكفير السيئات؛ لأن السيئات هي عوائق ضد الوصول إلى مرضاة الله تعالى لذلك فإن المسلم يُكفر الله عنه سيئاته بكل شيء يؤذيه قال النبي ﷺ: «ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها»³. أجور عظيمة يحوزها المسلم بسبب تعرضه للأذى حتى وإن كان بسيطا، والمسلم يحتسب دائما دخول الألم والعذاب والشدائد في حياته لله تعالى، ويجعل ذلك من الصبر على تحمل الأذى "فلقد قال تعالى في جزاء الصابرين عند

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفسير 1/ 473.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفسير 10/ 5357.

³ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، 7/ 114، حديث رقم 5641.

النازلة التي تكرّثهم، والرضا بما يأتي به الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعْتِدُونَ﴾ [البقرة: 157] الإشارة هنا إلى الصابرين الذين يتحملون الخوف مهما يكن مقداره ... وإذا نزلت بهم نازلة أصابت نفوسهم من فقد حبيب أو حرمان من مطلب من مطالب الدنيا، هؤلاء الذين تلك أحوالهم، هم من الصديقين والشهداء ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ الصلوات جمع صلاة، وجمعها الله تعالى لكثرتها، وتنوع آحادها، والصلاة معناها الدعاء ولكنها من الله تعالى استجابة الدعاء، وذلك بالعفو والمغفرة، وعفو الله ومغفرته دليل رضوانه¹.

فهؤلاء الذين صبروا وتحملوا المشاق غشيتهم رحمة الله تعالى، وكانت عليهم صلوات وهي استجابة الله تعالى لدعواتهم وتذلّلتهم وافتقارهم؛ لأنهم صبروا على المحن، ولم يقف الحد إلى تنزيل الرحمت فحسب، بل كان لهم من الله تعالى الرضوان والعطاء، قال الله تعالى في ختام جزاء الصابرين: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ.....﴾ [التوبة: 72] معنى ذلك "إن الله سبحانه وتعالى لم يقتصر في مننه على عباده الصابرين على المغفرة والرضا كجزء من جزاء صبرهم، بل شملهم برحمته الواسعة التي تعم كل شيء، فقد منحهم رحمته في الدنيا من خلال الهداية والتوفيق لأعمال الخير، وفي الآخرة أكرمهم بالنعيم الدائم"².

ثانياً: الآثار السلبية: من عواقب آثار الفتن هي الآثار السلبية، وهي تؤثر على المستوى الفردي و على المستوى الاجتماعي، فتجعله في تحير ومتاهة، وتسوقه إلى منعطفات وخيمة، وتضعفه وتجعله هشاً أمام العواصف، ومن هذه الآثار السلبية أمور عدة أجملها الباحث في بعض الحالات وهي ما يلي:

1_الاضطراب والخطأ والزلل: من الآثار السلبية التي تقع على المسلمين هو الاضطراب والخلل الذي

يصيب المسلمين وقت الفتن، وعندما يغيرون ويبدلون بعض المسلمين إيمانهم على حسب أهوائهم

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 1/ 474.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 1/ 475.

وحسب متغيرات الحوادث التي يمرون بها، فهؤلاء قد خابت مساعيهم؛ لأنهم يجعلون صفوف المسلمين تتزعزع " إن الأفراد الذين اختاروا الكفر على الإيمان كانوا في البداية كافرين، ثم آمنوا، إلا أنهم عادوا إلى الكفر مرة أخرى، وهذا يعكس عدم استقرارهم الفكري وضعف آرائهم وقلة ثباتهم على المعتقد"¹.

فمن كان هذا حاله فهو مع ضعفه وعدم قدرته على اتخاذ قرار صائب يجعله مؤمنا حقا، فهو في نفس الوقت قد يؤثر سلبا على وحدة المسلمين، وخاصة إذا كان الأمر متعلق بالمواجهة مع الكافرين في القتال، قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 47] أي: لو خرجوا لظهرت مفاسدهم من خروجهم معكم، وما زادهم من خروجهم إلا خبالا أي فسادا وشرا واضطرابا، ويوقعون الأراجيف بينكم ويفتعلون الأكاذيب، ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي: يطلبون لكم ما تفتنون به عن خروجكم في مغزاكم بتشبيطكم إياكم عنه، ويزلزلون الصفوف بأكاذيبهم، ويفسدون نياتكم².

فابتغاء الفتنة للمؤمنين وقت الخروج للقتال، يجعل صفوفهم مضطربة ومتزلزلة، وهذا فيه فتنة شديدة للمؤمنين، وتراجع عما أقدموا عليه من قتال الكافرين، وفسادا في الأرض "ثم ذكر أن هذه الشدائد محصت للمؤمنين، وأظهرت المنافقين ﴿هَذَا الَّذِي ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 11] أي: في تلك المرحلة، قام الله باختبار المؤمنين بشكل مكثف، مما أظهر الفرق بين المخلصين والمنافقين، وكذلك بين الراسخين في الإيمان والمتزلزلين فيه، وقد شعروا باضطراب كبير نتيجة الخوف من العدو وكثرتهم"³.

¹ أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 9/ 437.

² ينظر: الطبري، تفسير الطبري 14/ 279، محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 11/ 281.

³ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 21/ 140.

وهذه سنة الله في خلقه، أن يتلي الله المؤمنين، ويدفعهم إلى الأذى والبأساء والضراء؛ ليرى مدى ثقتهم وتحملهم، وهل ستكون آثار الفتنة عليهم واضحة، بحيث يتخلخل صفهم أو تجعلهم يضطربون ويتزلزلون، فمن صبر وثبت فقد نجى ومن تزعزع واضطرب فقد خسر "فحياة الأنبياء وحواريهم كانت كلها امتحانا واختبارا، وأن على أصحاب محمد أن يعلموا أنه نازل بهم ما نزل بالسابقين من بأساء وضراء، وشدائد تزلزل النفوس وتضطرب لها القلوب بين الجنوب، وأن ذلك طريق الجنة"¹.

2_ **تسلط الأعداء:** من الفتن التي تجعل المسلمين في ضعف وهوان هو تسلط الأعداء، وهذا الأمر والتسلط وجد قديما منذ زمن الأنبياء ومنذ زمن النبي ﷺ؛ لكي يطفئوا نور الإسلام؛ ولكي يكسروا شوكة الإسلام بتسلطهم، وهم يحاول المكر بالمؤمنين والمكر بالنبي محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 30] أي: "تأمل، يا محمد، في نعمتي عليك عندما مكنتني من التصدي لمؤامرات الذين سعوا للإيقاع بك من مشركي قومك، سواء من خلال محاولتهم قتلك أو طردك من وطنك، لقد أنقذتك من بينهم وأهلكتهم لذا، تابع مسيرتك في مواجهة أعدائك من المشركين، وابتعد عن الانشغال بما أرسلناك به من الدين القيم ولا تضعف أمام كثرتهم، فإن ربك هو الأقدر على تدبير الأمور، وهو أفضل من يتعامل مع أولئك الذين كفروا به وعبدوا سواه، وعصوا أوامره ونواهيه"².

والكافرون لن يهنأ لهم بال، إلا أن يوقعوا العداوة والبغضاء والتضعيف بين المسلمين، وبث الأفكار الحبيثة "وقد يُراد تقلبهم في الأفكار والمكر السيء بالرسول محمد ﷺ وصحابته كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: 48] فقد قعدوا يُحْطَطُونَ ويمكرون ويدبرون

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 2/ 674.

² الطبري، تفسير الطبري 13/ 502.

للقضاء على الدعوة في مَهْدِهَا، ويقول تعالى: ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [النحل: 46] المعجز هو الأمر الذي يصعب على الإنسان التغلب عليه أو مواجهته، إلا أن هؤلاء الأفراد لن يتمكنوا من إحباط قدرة الله¹.

فهؤلاء يحاولون جهد إمكانه أن يكيدوا بالنبي محمد ﷺ وبدعوته ليل نهار ولكن الله غالب على أمره، وهم ييغون افتتان المؤمنين وصدّهم عن الدين القويم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ.....﴾ [التوبة: 48] أي: لقد ابتغى وطلب هؤلاء المنافقون إيقاع الفتنة في المسلمين وتفريق شملهم، وصد المؤمنين عن الدين، وتحذيل الناس، ويقلبون الأمور، ويدبرون المكائد والحيل في إبطال دين النبي محمد ﷺ ورد أمره².

وهذه المكائد والحيل وهذا المكر، غايتهم فيه أن يتسلطوا على المسلمين وينزعوا عنهم ملكهم وسيطرتهم على الناس، ولا يريدون للإسلام أن يحكم البلاد والعباد، وهذا نجده اليوم واضحاً في بث أباطيلهم جهاراً علناً، من أجل إبعاد وتحذيل المسلمين، وتشكيك المسلمين بدينهم، وبدعم كبير من الأموال الطائلة، في سبيل أن يشوهوا دين الله تعالى، فمهما حاول الأعداء بتسلطهم فقوة الله غالبية، والله غالب على أمره وسيجزون سوءاً بأكاذيبهم وتدليسهم.

3_ الضلال والانحراف: من يرد الله به خيراً يجعله على طريق مستقيم، ومن يرد هو أن ينحرف عن المسار الصحيح فهذا هو شأن من دخلت عليه الفتنة، فجعلته في ضلال وانحراف عن الحق، وقد ضرب الله لنا مثلاً في هذا الأمر، فقال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ.....﴾ [الأعراف: 175] أي: "يُعَدّ هذا مثلاً يضربه الله تعالى للإشارة إلى أولئك

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 13/ 7966.

² ينظر: محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 11/ 284.

الذين تهديهم فطرتهم إلى الحق، وتظهر لهم الآيات بشكل واضح، فتغمرهم بنورها كما يكتسي الشخص بثوبه ومع ذلك، يختارون الانفصال عن هذا النور ويتبعهم الشيطان، مما يؤدي بهم إلى الغواية، وعندما يحدث ذلك، فإنهم يكونون قد اتبعوا طريق الضلال وساروا فيه"¹.

فهذا الرجل كان على الطريق الصحيح، الذي يضمن له دخول الجنة، لكنه افتتن باتباع الهوى والشيطان؛ فانحرف وأضلَّ الطريق فكان من الهالكين، والضلال يكون من عند العبد تارة ومن عند الله تعالى.

والضلال يأتي بأن تضل الشيء، وربما كان الإضلال سببا للضلال، بمعنى يمكن القول إن الله قد يجعل الباطل يبدو زينا في أعين الإنسان ليقوده إلى الضلال. والضلال هو اختيار الفرد لطريق الانحراف، حيث يتيح الله له الاستمرار في هذا الضلال ويمكِّنه من الطغيان، ومن الملاحظ أن الإضلال ينسب إلى الكافرين دون المؤمنين².

فالكافرون يُضلون المؤمنين في الدنيا بشتى الوسائل، وأعداء الإسلام كذلك يفتعلون وينشرون فتنتهم؛ لأجل إيقاع المسلمين في مستنقع الشبهات والشهوات " تُعرِّف الفتنة بأنها المحاولات التي يسعى من خلالها البعض إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، وذلك من خلال زراعة الشبهات في قلوبهم بين الحين والآخر، وتارة بالتعذيب، كفعلهم ببلال وصهيب وعمار بن ياسر... وأن الفتنة عبارة عن الامتحان"³.

واستحق الكافرون وأعداء الإسلام التهديد والوعيد، وإحباط المؤامرات، وكشف الخدع بإلقاء الشبهات، والمكر؛ لأن الله تعالى شهد على صنيعهم، غير غافلٍ عن مكائدهم، وسيجازيهم على سوء أعمالهم ومواقفهم وتجنبيهم وتكذبيهم وجحودهم وعنادهم، يعتبر هذا النص تنبيهاً في الحياة الدنيا قبل

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 6/ 3007.

² ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 1/ 61.

³ أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 6/ 391.

فوات الفرصة، كما أنه يهدف إلى إبلاغ الناس بالحق لتجنب الضلال والفتنة، يتضمن النص تحذيراً من الانحراف وراء أهواء النفس، خاصة الحسد والعناد والكبر، التي أدت بأصحابها إلى الضلال، ودفعهم لمحاولة إضلال الآخرين أيضاً¹.

فالانحراف قد يكون صادراً من الإنسان نفسه، أو صادراً من الشيطان ومن هوى النفس، وقد يكون الانحراف والإضلال صادر من قبل الأعداء الذين يردون النيل من المسلمين، فيجب على المسلم أن يكون حاضر الذهن متيقظ القلب والعقل؛ حتى لا تنطلي عليه خدع النفس والشيطان والأعداء.

المطلب الثاني: الآثار الدينية

تختص هذه الآثار بكل فتنة على حدة، فالفتن آثارها متنوعة حسب معطيات ومقدمات هذه الفتن، وتختلف من زمن إلى زمن آخر؛ وذلك لنقف على تلك الآثار، ونتعرف عليها؛ لتمييز الفتن وتمييز مآلاتها.

أولاً: فتنة الثبات على الحق: ومن آثار هذه الفتنة ما يلي:

1_ **افتتان المؤمنين:** الثبات على الحق له ثمن، ومآلاته وأثره في النفوس كبير، وأحد أهم آثار فتنة عدم الثبات على الحق هو افتتان المؤمنين، فتدخل هذه الفتنة إلى القلوب؛ لتزعزع الثوابت وتهز كيان المبادئ والثبات على القيم والمعتقدات، فمن الناس من يثبت، ومنهم من يضعف وينكسر أمام الضغوطات، وقد استضعف أهل مكة من دخل بالإسلام من قبل قومهم، فأذوهم وضيقوا عليهم في دينهم؛ وذلك لأنهم اتبعوا النبي ﷺ وثبتوا على الحق قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: 75] "يعني بذلك جل ثناؤه: وما لكم أيها المؤمنون لا تقاتلون، يقول: عن المستضعفين منكم، فأما من الرجال، فإنهم كانوا قد أسلموا بمكة، فغلبتهم عشائريهم على

¹ ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 4/ 24.

أنفسهم بالقهر لهم، وآذوهم، ونالوهم بالعذاب والمكاره في أبدانهم ليفتنوهم عن دينهم، حثَّ الله المؤمنين على ضرورة إنقاذ أنفسهم من قبضة الكفار الذين تمكنوا منهم، حيث قال لهم: "ما الذي يمنعكم من القتال في سبيل الله؟" وذلك في إشارة إلى المستضعفين من أتباع دينهم والذين تعرضوا للاضطهاد والإذلال من قبل الكفار، سعيًا منهم لإبعادهم عن دينهم. تشمل هذه الفئة الرجال والنساء والأطفال الذين يعانون من الاستضعاف"¹.

فقد ضيق قومهم عليهم بسبب ثباتهم على دين الله عز وجل واتباعهم للنبي ﷺ، ونالوا منهم بالقهر والعذاب؛ لأنهم اتبعوا الحق ورفضوا الظلم ورفضوا طريق الضلال قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا.....﴾ [النساء: 75] يعني: "يتوجه المستضعفون من الرجال والنساء والأطفال في دعائهم إلى الله سبحانه وتعالى، سائلين نجاة من الفتنة التي أوقعهم فيها المشركون. فيقولون: "يا ربنا، أخرجنا من هذه القرية التي يعمها الظلم." ويطلبون أيضًا من الله أن يرزقهم وليًا يتولى أمورهم، مُعبرين عن رغبتهم في الحصول على من يعينهم ويكفيهم ما هم فيه من فتنة أهل الكفر"².

ومن شدة معاداة أهل الكفر والضلال لسيدنا محمد ﷺ، فأثم يريدون أن يثنوا ويفتنوا رسول الله ﷺ، فقد قال اليهود للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: 49] أي: "وذلك أن يهود بني النضير قالوا فيما بينهم: اذهبوا بنا إلى محمد ﷺ لعلنا نفتنه عن دينه، وإنما هو بشر فأتوه، فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أننا أحبار اليهود، وأشرافهم، وسادتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعك اليهود، ولن يخالفونا، وإنَّ بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، فنؤمن بك،

¹ الطبري، تفسير الطبري 8 / 543.

² الطبري، تفسير الطبري 8 / 543.

فأبى النبي ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآية وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ يعني: اقض بينهم بما في القرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ فِي الْحَكْمِ، وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ يعني: يصرفوك، ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾¹.

فالنبي ﷺ، لم يسلم من فتنهم وشرهم، ويريدون أن يصدوا النبي ﷺ عن الحق وعن الثبات أمام خبثهم ودسائسهم، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام، مؤيد من رب الأرض والسماء وقد حفظه الله تعالى من كيدهم وشرهم.

وقد افتن كثير ممن اتبع الحق وثبت عليه، على مر العصور والدهور، وهنا يضرب لنا القرآن الكريم مثالا لما حصل مع أصحاب الأخدود، من فتنهم وعذابهم ليرتدوا عن الدين الصحيح فقد نالوا من العذاب والأذى والظلم ما تشيب له الولدان؛ بسبب ثباتهم وقوة جأشهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: 10] أي: "تعرض هؤلاء للأذى من خلال التعذيب بالنار، ورغم ذلك لم يعودوا إلى الصواب ولم يتوبوا عن كفرهم وأفعالهم السلبية ولذلك، فإن مصيرهم هو عذاب جهنم في الآخرة، بالإضافة إلى عذاب الحريق الذي يواجهونه في هذه الدنيا"².

فالمملك وأصحابه أرادوا أن يفتنوا أصحاب الأخدود عن دينهم، وهم على ما يشاهدون من عذاب المؤمنين لشهود، من تعرضهم للنار، وذلك ليرجعوا عن دينهم، وحتى يشهد الملك واتباعه على أن المؤمنين في ضلال بسبب تركهم عبادة الأصنام³.

فالحق له ضريته وله ثمنه، فلولا أنهم عرفوا قيمة الدين الصحيح، لما ثبتوا أمام التحريق بالنار، وأمام هذا العذاب، كذلك المؤمن يجب عليه أن يكون قويا أمام الشدائد والحن، التي تصيبه في الحياة، ويثبت أمام العذاب الذي قد يلاقه في دينه.

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 396، وينظر: أبو إسحاق النعالي، تفسير النعالي 4/ 75.

² أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطي، الهداية الى بلوغ النهاية 12/ 8183.

³ ينظر: البغوي، تفسير البغوي 5/ 236.

2_ **الخوف والاستضعاف:** من آثار وضعية الثبات على الحق، أن الذي يثبت على الحق، فإنه معرضٌ للقهر والقمع من قبل أعداء المنهج الحق؛ وذلك لأن أهل الباطل لا يريدون أحدا يترك ملتهم ومنهجهم العقيم؛ لذلك يسلطون عليهم أنواعا من القهر والاستضعاف والنكال لمن يترك منهجهم وباطلهم، وربما تسلل الخوف إلى قلوب من يريد أن يتبع المنهج الحق؛ بسبب الاضطهاد الذي يمارسه أهل الباطل عليهم، فقد قال الله تعالى حكاية عن قوم سيدنا موسى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: 83] أي:

"يشير النص إلى أن فرعون كان يسعى لفتنة المؤمنين من خلال تسليط أنواع البلاء عليهم، مما يؤدي إلى صرفهم عن دينهم، يُوصف فرعون بأنه عالٍ في الأرض، مما يعني أنه كان غالبا وقاهرا، وقد وُصف أيضا بالإسراف، وذلك بسبب كثرة في القتل والتعذيب لمن يخالفه في آرائه وأوامره، هذا الوصف يبرز الأسباب التي تجعل المؤمنين في حالة من الخوف، وأن الإسراف قد يكون ناتجا عن ادعائه الإلهية، رغم كونه من أحسن العبيد"¹.

فالخوف والترقب، قد منع قسما من الناس من اتباع سيدنا موسى عليه السلام؛ لأنهم رأوا كيف كان فرعون يفعل بهم، وينكل بمن يتبع سيدنا موسى عليه السلام، فقال موسى عليه السلام لاتباعه ولمن آمن معه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84] أي: "فقالوا على الله توكلنا، اعتمدنا، ثم دعوا فقالوا: ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، أي: لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بأيديهم، فيظنوا أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا، وقال مجاهد: لا تعذبنا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على الحق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتتنوا"².

¹ الرازي، تفسير الرازي 17 / 289.

² البغوي، تفسير البغوي 2 / 430 _ 431.

فدعاهم سيدنا موسى بالتوكل على الله تعالى وعلى الثبات أمام عذاب فرعون، لذلك دعا قوم موسى فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85] وفي هذه الآية وجوه: "الأول: أن المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لأنك لو سلطتهم علينا لوقع في قلوبهم أننا لو كنا على الحق لما سلطتهم علينا، فيصير ذلك شبهة قوية في إصرارهم على الكفر فيصير تسليطهم علينا فتنة لهم ... الثاني: لا تجعلنا مفتونين، أي لا تمكنهم من أن يحملونا بالظلم والقهر على أن ننصرف عن هذا الدين الحق الذي قبلناه"¹.

فأتباع موسى عليه السلام يدعون الله تعالى بأن لا يجعلهم فتنة لأهل الباطل، حتى لا يفتنهم ويقهروهم على ترك دينهم ويستضعفهم، ويدعون الله تعالى أن يخلصهم من هذا الشر والعذاب، وربما بعضهم يريد أن يؤمن بسيدنا موسى؛ لكنه يخاف أن يفتنهم ويعذبهم فرعون وجنده، وهذا الخوف قد يواجه المؤمنين في حياتهم فيضعفهم ويرجعهم عن قبول الحق واتباع الطريق الصحيح؛ ولكن الله تعالى يثبت أهل الحق، ولمن يريد أن يثبت على المنهج القويم، وأهل الحق ثابتون على أمام هذا الطغيان مهما حصل، وهذا لا يخلو في أي عصر من العصور فمعركة الحق والباطل قائمة مادام هناك من يريد الحق ومادام هناك من يثبت أمام الطغيان.

3- تحريف الحق إلى الباطل: من آثار فتنة الثبات على الحق أن اناسا عندما يسمعون الحق ويرون أن له اتباعا، يحاولون أن يحرقوا هذا الحق، ويصدوا من يتبع الحق ويشوهونه بشتى الطرق، وإذا ذكر التحريف ذكروا أعداء الله تعالى اليهود؛ فإنهم يحرفون كلام الله تعالى في كل العصور قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ...﴾ [البقرة: 75] أي: يقوم هؤلاء بتحريف التوراة التي أنزلت إليهم، حيث يبدلون الأحكام فيها، فيعتبرون ما هو حلالاً حراماً، وما

¹ الرازي، تفسير الرازي 17/ 290، وينظر: جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير 2/ 344.

هو حرامًا حلالًا، ويحولون الحق إلى باطل والباطل إلى حق، عندما يأتيهم شخص يدفع لهم رشوة، يخرجون له نصوص الكتاب، ويتظاهرون بأن ما في الكتاب يتفق مع موقفه، أما إذا جاءهم أحد يسألهم عن مسألة ليس فيها منفعة أو رشوة، فإنهم يوجهونه إلى الحق ويأمرونه باتباعه¹.

فهم يحرفون الحق وفق هواهم ووفق نزوات أنفسهم؛ لأنهم يعلمون أن أهل الحق لا يضرهم كيدهم ولا تحريفهم، وهم من شدة عداوتهم وبغضهم يحرفون الكلم، وهم يعلمون أنهم يحرفون ويغيرون "لقد أشار الله تعالى إلى أن التحريف قد تم من قبل فئة من الناس الذين كانوا يستمعون إلى كلامه، مما يدل على عظم البهتان الذي ارتكبه بعد أن تم تأكيد الحجة عليهم وإظهار البرهان، ومن هنا، يُنبّه الله عباده المؤمنين ويقطع آمالهم في إيمان بقايا نسل هؤلاء المحرفين، وذلك بما أتى به النبي محمد من الحق والنور والهدى فيسألهم الله: كيف يمكن لكم أن تأملوا في تصديق هؤلاء اليهود، في حين أنكم تخبرونهم عن أمور غيبية لم يشهدوا عليها؟ وقد كان بعضهم يستمع إلى كلام الله وأوامره ونواهيته، لكنهم بدلوا تلك الحقائق وحرفوها وجحدوا بها"².

فالمؤمنون يرجون أن يكون اليهود من أتباع الحق والمنهج السوي، ولكن هيهات فمن تقلب في الضلال كيف يمكن أن يكون مستقيما على الحق قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ.....﴾ [البقرة: 75] أي: "تتضمن مجموعة من الأشخاص الذين يسمعون كلام الله، كما وردت في التوراة، إلا أنهم يقومون بتحريفها وتغيير ما تحتويه من أحكام بعد أن استوعبوا معانيها وفهموها، ومن الأمثلة على ذلك تغييرهم لآية الرجم ووصية النبي محمد، رغم أنهم يدركون كذبهم في ذلك"³.

¹ الطبري، تفسير الطبري 2/ 246.

² الطبري، تفسير الطبري 2/ 347.

³ أبو إسحاق الثعلبي، تفسير الثعلبي 1/ 222.

فاليهود هذا ديدنهم وهذه طريقتهم في تحريف الحق، وفي تشويه من جاء بالحق؛ لأنهم أهل الجحود والنكران، ولم يصل الحد بتحريف كلام الله، بل يريدون أن يُضل أهل الإيمان السبيل الصحيح قال الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: 44] أي: "تعدوا عن الحق والطريق المستقيم ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ﴾ [النساء: 44] أي: يختارون الضلالة على الهدى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ [النساء: 45] أي: أعلم منكم بأمرهم وبما يسرون من آرائهم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ [النساء: 45] أي: به فاكثفوا، وله فانتصروا على أعدائكم"¹.

فطريقهم هو طريق الخراب والدمار لمن يريد أن تتبع الحق، ويحاربون كل من يريد الوصول إلى المنهج الصحيح؛ وذلك لخبث نفوسهم، فهؤلاء "لما وصفهم تعالى بالضلال وصفهم بعد ذلك بالإضلال فقال: ويريدون أن تضلوا السبيل يعني أنهم يتوصلون إلى إضلال المؤمنين والتلبيس عليهم، لكي يخرجوا عن الإسلام، وأعلم أنك لا ترى حالة أسوأ ولا أقبح ممن جمع بين هذين الأمرين أعني الضلال والإضلال"².

فقد حازوا على صفات ذميمة قبيحة، وذلك لصد الناس عن الثبات على الحق وتحريف كتب الله عز وجل، ولكن الله لهم بالمرصاد فقال الله جل شأنه: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: 45] أي: "هو سبحانه أعلم بكنه ما في قلوبهم وصدورهم من العداوة والبغضاء، ثم قال تعالى: وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا والمعنى أنه تعالى لما بين شدة عداوتهم للمسلمين، بين أن الله تعالى ولي المسلمين وناصرهم، ومن كان الله وليا له وناصر له لم تضره عداوة الخلق"³.

فعداوتهم للمسلمين ظاهرة في كل زمان، وهم يسرون في كل طريق يوصلهم للتحريف والتشويه

¹ أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي، الهداية الى بلوغ النهاية 2 / 1345.

² الرازي، تفسير الرازي 10 / 91 _ 92.

³ الرازي، تفسير الرازي 10 / 92.

من "يتضمن هذا السلوك إلقاء شبهات باطلة وتقديم تأويلات فاسدة، حيث يتم تحويل الكلمات عن معانيها الصحيحة إلى دلالات زائفة من خلال استخدام الحيل اللفظية، وهذا يشبه ما يقوم به أهل البدعة في العصر الحاضر عندما يفسرون الآيات بما يتعارض مع مذهبهم، وقد كان بعض الأفراد يدخلون على النبي محمد ﷺ ليستفسروا عن مسائل معينة، فيقدم لهم الأجوبة، لكنهم عند مغادرتهم يقومون بتحريف كلماته"¹.

ثانيا: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: ومن آثار هذه الفتنة ما يلي:

1_ **تفشي الجهل:** إن الجهل إذا فشا في المجتمع، يجعله هشاً تتخطفه الأفكار الزائفة وتبعده عن دعوة الأنبياء، وعن طريق الهدى فسيدينا نوح عليه السلام دعا قومه ليل نهار، وافنى حياته في تبين الحق لهم؛ لكنهم بجهلهم وعنادهم رفضوا أن يستجيبوا لدعوة سيدنا نوح، قال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: 60] أي: "يتحدث هذا النص عن استجابة مشركي قوم نوح لدعوة نبيهم، حيث يبرز موقف الملاء، وهم جماعة من الرجال دون وجود نساء بينهم، عندما دعاهم نوح إلى عبادة الله وحده دون شريك، ردوا عليه قائلين: "إنا لنراك، يا نوح، في ضلال مبين." يفهم من ذلك أنهم اعتبروا دعوته خروجاً عن الحق، وأنهم يرون في دعوته أمراً لا يشتمل على الحقائق الواضحة، مُشددين على زوال الحق بالنسبة لمن يتأمل في الأمور"².

فبسبب الجهل تحبّط أقوالهم وأفعالهم تجاه الأنبياء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: 8] فمرة يقولوا عن النبي ﷺ بأنه ساحر ومرة مجنون، والعجيب أن الساحر عادة يكون في غاية المعرفة، والمجنون هو الغائب عقله عن الإدراك، فتحيروا، وهذا التحير هو لجهلهم مكانة النبي ﷺ.

¹ الرازي، تفسير الرازي 10 / 93.

² الطبري، تفسير الطبري 12 / 499.

وتكذيبهم لدعوته¹.

وإن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم، وذهبت أبصارهم فلا يفتنون لا يعون، وهم قد عرفوا الحق، لكنهم كابروا وعاندوا، وأنكروا الهدى، بالمقابل كان ذلك سببا في زيادة ثبات المؤمنين، فهم معاندون جاهلون عن المعرفة².

فهؤلاء قد عرفوا الحق، لكن طغى عليهم الجهل والتكبر، فرفضوا إتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذهبوا يشنعون عليهم التهم والأفعال غير اللائقة بحق أنبياء الله تعالى؛ لأن الجهل إذا تحكم في العقول، أزاح عنه نور الحقيقة، وقوة البرهان.

2_ التمحيص: وهو من الآثار العظيمة لفتنة اتباع الأنبياء؛ ليرى الله تعالى أهل الصدق من عدمه، ولتظهر معادن الناس، وتقبلهم لدعوة الأنبياء عليهم السلام، وهذه سنة الله تعالى في خلقه قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: 140] معناها مرة لكم ومرة عليكم كما في معركة بدر ومعركة أحد، ويتولي الله المؤمنين بالكافرين، وحتى يعلم الله إيمان الذين آمنوا منكم عند البلاء، هل يتذمرون؟ أم لا والله تعالى لا يحب الظالمين³.

بعدها قال الله تعالى تعقبا على مداولة الأيام بين الناس وبيان أن الأيام دول مرة تكون لأهل الإيمان ومرة تكون لأهل الضلال قال ربنا: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 141] يعني: "المنافقين وليمحص الله الذين آمنوا بالبلاء ليرى صبرهم ويمحق الكافرين يعني ويذهب دعوة الكافرين الشرك يعني المنافقين فيبين نفاقهم وكفرهم"⁴.

¹ ينظر، أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3/ 342.

² ينظر: الزمخشري، تفسير الزمخشري 1/ 111، عبد الحق عطية الأندلسي، تفسير ابن عطية 2/ 286.

³ ينظر: مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 304.

⁴ مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 304.

وهذا فيه اختبار من الله تعالى لأوليائه وأهل طاعته على ما في صدورهم من الشك والمرض، فيعرفكم ويمحص قلوبكم، ويميزكم، هل تكونون من أهل الإخلاص واليقين؟ أم من أهل العداوة لله ولرسوله؟.

وفي فتنه السحرة مع سيدنا موسى عليه السلام، فلقد محص الله تعالى السحرة فآمنوا بموسى عليه السلام واستكبر فرعون وجنوده، فحصل التمحيص في اتباع سيدنا موسى وقبول دعوته ورفض آخرون الدخول تحت رايته¹، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الأعراف: 120 - 123] إلى قول ربنا ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ﴾ [الأعراف: 127]. وَإِنَّمَا سَمَوْا مَلَأً لِمَعْنَيْنِ: أحدهما: أَنَّهُمْ كَانُوا يَمْلِئُونَ صُدُورَ النَّاسِ هَيْبَةً، وَقِيلَ: لَأَنَّهُمْ كَانُوا مَلِئِينَ بِمَا فُوضَ إِلَيْهِمْ ﴿أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 127] أَرَادُوا بِهَذَا الْفُسَادَ، مُخَالَفَةَ أَمْرِ فِرْعَوْنَ ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ﴾ [الأعراف: 127] وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَإِلَاهَتِكَ أَي: عبادتك².

وهذا فيه تمحيص لمن اتبع أمر سيدنا موسى من السحرة وغيرهم، فهم قد آمنوا بسيدنا موسى رغم معرفتهم بما يلحق بهم من أذى وعذاب وهذا غاية التمحيص لهم.

3_ الظلم والفساد: الظلم والفساد من الآثار السلبية على المجتمع، بسبب صد الناس لدعوة الأنبياء، فهم قد رفضوا المنهج الصحيح الذي يضمن لهم العدل والإنصاف في حياتهم، وأنهم يريدون تحقيق إزالة الظلم عنهم "وربما ادعى أعداء الرسل عليهم السلام من الطغاة الظالمين أنهم يحققون مصلحة العباد والبلاد

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 7 / 325.

² أبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني 2 / 205.

في تصديهم لدعوة الرسل عليهم السلام، ، فهذا فرعون يدعي الرشاد قائلا لمن حوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29]، وطالما ظن أئمة الكفر بأن عملهم صواب، فلا عجب إذا من صدّهم عن سبيل الله¹.

وهذا الأمر نسمعه اليوم كثيرا ممن يدعون أنهم يريدون مصالح العباد، ويريدون التقدم والتطور، لكن على أن نترك المفهوم الصحيح لديننا، ونستمع إليهم كيف يوجهون أوامر الدين الحنيف وفق فهمهم السقيم، وفي نفس الوقت هم ينعنون الإسلام بأشد التهم والألفاظ، من التخلف والرجعية، فهم بذلك لهم سلف بهذا الأمر، عندما قال لهم فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾ [غافر: 29] أي: "قال فرعون مجيبا لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: ما رأيكم أيها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحا وصوابا، وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد، يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد"².

فهو يدعي زروا بأنه يريد مصلحتهم ومنفعتهم، ولكن الحقيقة هو يريد التنكيل بهم، بسب ما يملك من القوة، والفكر المنحرف والقوة إذا اجتمعت فإنها تدمر العقول والشعوب والمجتمعات؛ لأن الأفكار تكون مطاعة في بعض النفوس إذا كانت بالقوة، وإن إطاعة المجتمع للأنبياء فيها إصلاح للناس ولنفسهم ومعاشهم، وإذا تنكروا لدعوة الأنبياء عليهم السلام، فسيعم الجهل والخراب قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56] أي: "إن بعثة الأنبياء تمثل نقطة تحول في المجتمعات، حيث يؤدي اتباعهم وطاعتهم إلى إصلاح الأرض وسعادة سكانها في المقابل، يؤدي العصيان إلى فساد الأرض وسكانها، لذا يُذكر أنه

¹ أ. د. محمد رفعت زنجير، الأنبياء والرسل عليهم السلام ضحايا الظلم والعدوان (دراسة قرآنية لفلسفة الحدث في التاريخ البشري) بحث علمي محكم وقد نشر هذا البحث في مجلة الحكمة التي تصدر في مانشستر ضمن العدد 25 والصادر في رجب سنة 1423 هـ ص12.

² الطبري، تفسير الطبري 378/ 21.

ينبغي تجنب الفساد في الأرض بعد أن تم إصلاحها، مما يعني ضرورة الالتزام بالعدل كشرط لاستدامة صلاحها، إذ إن العدل هو الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات"¹.

ثالثاً: فتنة الشبهات: ومن آثار هذه الفتنة ما يلي:

1_ ابتغاء الفتنة بين الناس: من آفات وآثار فتنة الشبهات هي أنها تبث الفتنة بين الناس، وتجعلهم في حيرة من أمرهم، وربما وجههم إلى هذه الشبهات من يريد النيل من منهج الإسلام فهؤلاء "في قلوبهم ميل" عن الحق وحيثُ عنه، فيتبعون من آي الكتاب ما تشابهت ألفاظه، واحتمل صرّف صارفه في وجوه التأويلات باحتماله المعاني المختلفة، إرادة اللبس على نفسه وعلى غيره، احتجاجاً به على باطله الذي مأل إليه قلبه، دون الحق الذي أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آي كتابه"².

فكانت غايتهم هو تشتيت المعاني عليهم، وصرف الألفاظ إلى معاني بعيدة عن المعنى المراد، وذلك للتشويه على أفهام المسلمين.

وهم يؤولون معاني الألفاظ، ابتغاء الفتنة فيزينوا للناس الضلالة ليروجوا ما بين أيديهم من البدع، وكذلك يكون حجة لهم فيمن خالفهم من التحريف والتبديل، من ميل القلوب والاعراض عن الحق بسبب بدعهم، وبسبب اتخاذهم التأويل لفتنة الناس"³.

ابتغاء تأويله ما تأولوا وزينوا من الضلالة ليحيى لهم الذين في أيديهم من البدعة، ليكون لهم به حجة على من خالفهم للتصريف والتحريف الذي ابتلوا به، كميل الأهواء وزيف القلوب، والتنكيب عن الحق الذي أحدثوا من البدعة"⁴.

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 522.

² الطبري، تفسير الطبري 6/ 197.

³ ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 2/ 597.

⁴ عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 2/ 597.

فأهل الأهواء وأهل الفكر المنحرف يجرون الناس إلى فهمهم، وإلى التدليس لمعاني القرآن؛ وذلك لأجل التشويش على قلوب المؤمنين، وربما تنزل الآيات للمشركين ويراد منها تنبيه لأهل البدع "يتعلق هذا المعنى بكل مبتدع في دين الله ينجذب إلى بدعة ما، مستندًا في ذلك إلى بعض الآيات المتشابهة في القرآن، ثم يسعى لتبرير بدعته من خلال مناقشة أهل الحق، محيدًا عن الأدلة الواضحة التي تضمنتها الآيات المحكمات، تهدف هذه الممارسات إلى إرباك المؤمنين ولبس الحق عليهم، مع السعي لفهم تأويل ما قد يكون غامضًا بالنسبة له، وهذا ينطبق على جميع فئات المبتدعين، مهما كانت تصنيفاتهم"¹.

فغايتهم هو فتنه الناس عن الحق وعن منهج أهل الحق، ويسيروا خلف تأويل المتشابه من القرآن، على ما يصبوا إليه نفوسهم؛ وذلك لزيغ الناس وفتنة قلوبهم، وهؤلاء يطيحون في أودية الشك والريب، ولا يزدادون إلا جهلا على جهل، وسوءاً على سوء بسبب شكوكهم ولسوء منهجهم"².

2_ إرادة اللبس على نفسه وعلى الآخرين: من يتتبع الشبهات فإنه لا يضر نفسه فقط، بل يتعدى على غيره بسبب فهمه السقيم، وبسبب نتائج فكره المعوج فإنه لا يريد اتباع الحق بهذه المعاني بل يريد كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي: "طلب الشرك ... وقال مجاهد: ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم الزيغ عن الحق"³.

فالفتنة فُتِرت مرة بالشرك، ومرة بالشبهات، لما لها أهمية كبيرة في تفشي الباطل بين الناس، ولا يتبع هذه المعاني إلا من كان في قلبه دخن وضلال وزيغ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: 7] أي: "ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل" ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 7]

¹ الطبري، تفسير الطبري 6/ 198.

² ينظر: أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية 2/ 956، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تفسير القشيري 1/ 221.

³ البغوي، تفسير البغوي 2/ 10.

أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال: ﴿ابتغاء الفتنة﴾ أي: الإضلال لأتباعهم، إيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم¹.

فكانت حجتهم فيها لبس على أنفسهم ولبس على الآخرين؛ بسبب مقاصدهم البائسة على معاني القرآن الكريم.

ومن يتتبع الشبهات فإنه يوقع نفسه في متاهات الآراء، بحيث يخالف بعضه بعضا، وذلك يؤدي إلى التقاتل والهرج والمرج، وهذه من الفتنة، ومن ثم بعضهم يتمسك بهذه الفتنة من البدعة والضلال فيصير مفتونا بذلك الباطل عاكفا عليه ولا ينقطع عنه، وهذه طريقة الزائغين عن الحق وذم الله تعالى طريقتهم ومنهجهم².

فلو أراحوا أنفسهم بترك الولوج إلى تلك المعاني، وحملها على فهمهم الضعيف؛ لسلموا من الشبهات، وسلم الناس منها، وما نراه اليوم من بعض من يعتبر نفسه أهلا للعلم، ويتتبع أنواع الشبهات ويثيرها بين العامة، ويضرب بفهمه فهم العلماء الراسخين بالعلم، بل ويستند على أدلة من الكتاب والسنة بتقوله؛ لكنه بعيد كل البعد عما قرره الشريعة الإسلامية من قيم ومفاهيم، وقد رد علماء الإسلام المتقنين للعلوم كل شبههم، وكل أباطيلهم الزائفة، والتي قد تُشكل على كثير من الناس فهمها، وإدراك الحقيقة المحضة، التي يرمي إليها الإسلام؛ لذلك بين الإمام ابن القيم³ بعد ما بين أن الفتنة نوعان فقال:

¹ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (د.م): دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999 م) 8/2.

² ينظر: الرازي، تفسير الرازي 7/ 145.

³ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعِيّ الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، كان جري الجنان واسع العلم عارفا بالخلاف ومذاهب السلف، توفي سنة (751 هـ)، ينظر: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر

"والفتنة نوعان: فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحدهما: فتنة الشبهات: من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: 23]"¹.

"عندما يتداول الأفراد الآيات المتشابهة في الدين، ينشأ تباين في الآراء والمعتقدات بينهم، مما قد يؤدي إلى الانقسام والافتتال، وهو ما يُعرف بالفتنة، إن التمسك بتلك المتشابهات يعزز البدعة والباطل في قلوب الناس، مما يجعلهم مفتونين بذلك الباطل وملتمزين به بشكل لا يمكن الانفصال عنه وبالتالي، فإن الفتنة في الدين تُعتبر من أكبر أنواع الضلال، حيث لا يوجد فساد أعظم من الفساد الذي يصيب العقيدة"².

3_ الضلال: تتبع الشبهات وإثارتها تبعد العبد عن المنهج الصحيح، وتؤدي إلى الضلال والفساد، وتوقع صاحبها في سقم الفهم، ودرك المعاني، قال الله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي: "فيتبعون ما تشابهت ألفاظه وتنوعت معانيه، بوجوه التأويلات، ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيف عن محجة الحق، وذلك تلبيسا منهم على من ضعفت معرفته بوجود تأويل ذلك وتصريفات معانيه"³.

الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان (الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972 م) 5/ 138، خير الدين الزركلي، الأعلام للزركلي (6/ 56)

¹ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان في مصاديق الشيطان، تحقيق: محمد عزيز شمس (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1432 هـ) 2/ 900.

² الرازي، تفسير الرازي 7/ 145.

³ الطبري، تفسير الطبري 6/ 185.

فهؤلاء يفسرون الآيات على وفق ما انتهت إليه عقولهم وفهمهم، والحقيقة أنهم ليسوا أهلاً لأن يبدوا آرائهم، ولا يقررون المفاهيم، فيقعون في ضلال وسوء منقلب، وهم متخبطون دائماً "يقومون بتفسير الآيات المحكمات بناءً على المتشابهات، كما يتناولون المتشابهات وفقاً للمحكمات، مما يؤدي إلى إحداث لبس في معاني النصوص ونتيجة لذلك، فإن الله سبحانه وتعالى قد أوقعهم في هذا الالتباس"¹.

وهذا من أشد الفتن التي تمر على المسلمين؛ لأن منبعها اتباع الهوى وتحكم في الأقوال بحسب نظرات سقيمة لا تمت للعلم أي صلة "وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال"².

وكم من المسلمين اليوم ضلوا عن الطريق الصحيح، بسبب قناعاتهم ببعض الشبهات التي يثيرها من لم يشم رائحة العلم، ناهيك عن دسائس الأعداء التي يدخلوها في مضامين الدين ويشيعون أنها من المتناقضات في شريعة الإسلام، والمشكلة أن بعضاً ليس بالقليل، أخذ يردد ما يقولونه وما يثيرونه من شبهات، فتراهم منغلقيين على أنفسهم، ولا يقبلون الرأي الآخر، فأدى بهم إلى التشدد والغلو، بل بعضهم أدى به الحال إلى التكفير، ووصل بعضهم إلى قتال المسلمين بحجج بعيدة عن مضامين الشريعة، وحجج باطلة بنيت على فهم بائس.

ثالثاً: فتنة الاختلاف والتفرق: ومن آثار هذه الفتنة ما يلي:

1_ الفشل وذهاب الريح والقوة: من آثار فتنة الاختلاف والتفرق هو الفشل وذهاب القوة وهذه من الأمور التي تخص المجتمع بصورة عامة، إذ بإطاعة الله تعالى ورسوله، والتمسك بما جاء به الشرع الحنيف

¹ الطبري، تفسير الطبري 6/ 185.

² ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان في مصاديد الشيطان 2/ 901.

تكمُن القوة والمنعة للمسلمين، أما إذا تنافر المسلمون وتفرقوا واختلفوا فستذهب هذ القوة وهذه الوحدة

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا.....﴾

[الأنفال: 46] أي: يقول الله تعالى للمؤمنين، أطيعوا ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عن، ولا

تخالفوهم في أي شيء، حتى لا تنازعوا فتفشلوا، ولا تختلفوا فتتفرقوا وتختلف قلوبكم وتضعفوا وتجنوا

وتذهب قوتكم وربحكم وبأسكم ويدخلكم الوهن والضعف والخلل¹.

فاختلاف الأقوال يجر إلى اختلاف القلوب وتنافرها، فيتشتت الأمر، ولا يجتمع الناس على كلمة

واحدة، وبهذا التفرق يتسلط الأعداء على رقاب المسلمين، ويثنون سمومهم؛ لذلك فقد نهى الله تعالى عن

التفرقة بين المسلمين، وأوجب عليهم أن يكونوا متحدين، فقد نهى الله " يتعلق الاختلاف في الدين بفكرة

أن الحق لا يمكن أن يكون سوى واحد، بينما يُعتبر كل ما يتعارض مع ذلك جهلاً وضلالاً. وبالتالي،

يُعتبر النهي عن الاختلاف في الدين أمراً ضرورياً، حيث إن التباين في الآراء والمعتقدات يمكن أن يؤدي

إلى الفوضى والاضطراب في فهم الحقائق الدينية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا

الضَّلَالُ﴾ [يونس: 32] وأنه نهى عن المعاداة والمخاصمة، فإنهم كانوا في الجاهلية مواظبين على المحاربة

والمنازعة فنهاهم الله عنها وأنه نهى عما يوجب الفرقة ويزيل الألفة والمحبة².

فأي شيء يؤدي إلى تفرقة المسلمين وإضعاف كلمتهم، قد نهى الله عنه، ولقد جاءت آيات

كثيرة تحث وتوجب على عدم التفرقة منها ولا تفرقوا... ولا تختلفوا... واعتصموا... كلها آيات قرآنية

تدل دلالة واضحة على عدم السماح للتفرقة أن تسود بين جسد الأمة الواحدة؛ لأن لها آثاراً سلبية

ومقينة لجماعة المسلمين، ولها تأثير بالغ في كيان الأمة وتماسكها وبنائها، فالإسلام منع من كل شيء

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 13/ 575.

² الرازي، تفسير الرازي 8/ 311_312.

يؤدي إلى نفوذ الشقاق والنزاع والشتات إلى المسلمين.

2- الاختلاف والتنازع سبب هلاك الأمم وذهاب الدول: التفرقة داء ينخر في جسد أي أمة، ولقد

جاءت الآيات القرآنية تحث على عدم التنازع؛ حتى تبقى شوكة الإسلام قوية متينة، مبنية على أسس

قوية وذلك لمنع اهتزازها وتضعضع الأواصر المتينة بين المسلمين، لذلك فقد بين الصحابي الجليل عبد الله

بن عباس هذا الأمر فقال في تفسير قوله الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران:

105] قال: "أمر الله عز وجل بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلكم

بالمراء والخصومات في دين الله عز وجل"¹.

وآثار الاختلاف تتضح عندما يتسلل التنازع والتنافر في المجتمع المسلم، ولقد بين النبي ﷺ هذا

المعنى في الحديث، فعن أبي هريرة عَنِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«ما نهيتكم عنه، فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة

مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»².

فقد بين النبي ﷺ أن من آثار هلاك الأمم الماضية، هي كثرة اختلافهم على أنبيائهم، وهذا الأمر

ينطبق على المسلمين اليوم، فمن يشدد في السؤال ويريد أن يختلف بأقواله وأفعاله عن سواد المسلمين؛

فإنه بذلك يريد الهلاك والخسران لنفسه ولغيره.

وإحدى آثار فتنة الاختلاف والتفرق، هو تمني المنافقين الضرر والتفرقة بين المسلمين؛ لأن ذلك

يضعفهم ويجعلهم متنازعين متخاصمين؛ ولأن قلوبهم فيها ريب ومرض فكان يسوؤهم الأمر الحسن

للمؤمنين، ويفرحون بلحاق الأذى بهم، فأخبر الله تعالى عنهم هذه الصفات فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ

¹ عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 3/ 728.

² أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيه ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك 4/ 1830، حديث رقم 130.

تَمَسَّكُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا» [آل

عمران: 120] أي: "إذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافاً، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك، أعجبوا وابتهجوا به فهم كما رأيتم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحديثه، وأوطأ محلته، وأبطل حجته وأظهر عورته فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم، وفيمن بقى إلى يوم القيامة"¹.

فهؤلاء المنافقون يفرحون بكل شيء يفرق المسلمين، ويبتغون تفرقتهم وشقاقهم؛ وذلك لمرض قلوبهم، فكان لزاماً على المسلمين أن يعوا هذا الأمر، وأن لا يقعوا في هذه الفتنة، حتى لا تذهب قوتهم، ويُصبحوا متناحرين أمام الأمم، وبالتالي تذهب مكانتهم وتزول دولتهم.

3- التفرق والاختلاف سبب للذم ولحوق الوعيد: من يتجرأ على بث الفرقة والنزاع بين المسلمين فإن مصيره العذاب والخسران والوبار، ولقد نهي الله تعالى عن التفرقة حتى لا يقع أصحابها في العذاب الأليم فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105] قال: "افتترقت اليهود فرقاً والنصارى فرقاً، فنهى الله المؤمنين عن ذلك، ثم خوفهم فقال: وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يعني دائم لا يرفع عنهم أبداً، يعني الذين اختلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ، أي العلامات في أمر محمد ﷺ، وبيان الطريق، ثم بيَّن منازل الذين تفرقوا، والذين لم يتفرقوا فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم"².

فسنة الله تعالى في خلقه أن من يريد تفرقة المسلمين وشق عصاهم، فسيعرض نفسه وأتباعه إلى الهلاك والعذاب، وبين الله تعالى للمسلمين جميعاً بعدم الانصياع إلى الأفواه التي تدعوا إلى التحزب وإلى زرع الفتن بين المسلمين —وما أكثرهم اليوم— "وَبِالْجُمْلَةِ لَا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمَحْمَدِيُّونَ الْمُتَحَقِّقُونَ بِمَقَامِ الْجُمُعَةِ

¹ عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 3/ 747.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 236.

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى الْجَمْعِيَّةِ وَالْإِتِّفَاقِ وَلَمْ يَنْتَبِهُوا مِنْهَا عَلَى التَّوْحِيدِ الذَّاتِيِّ وَأُولَئِكَ الْأَشْقِيَاءُ الْمَرْدُودُونَ الْهَالِكُونَ فِي تِيهِ الْخِذْلَانِ وَالْحَرَمَانِ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي جَهَنَّمَ الْبَعْدِ وَجَحِيمِ الْإِمْكَانِ وَسَعِيرِ الطَّرْدِ وَالْخِذْلَانِ"¹.

فهو نهي صريح وواضح إلى عدم المساس بوحدة المجتمع وبوحدة المسلمين عموماً؛ لأن مصيره سيكون إلى الهاوية والمكان الأليم.

المبحث الثاني: أقوال المفسرين المحدثين في آثار وقوع الفتنة

الفتن يختلف تأثيرها من زمن إلى زمن، وفق رؤية الناس لهذه الفتن، والمفسرون كذلك تختلف نظرتهم لآثار الفتن، من زمن لآخر، ولقد بين المفسرون المحدثون آثار الفتن التي تحيط بالمسلم؛ لأن الآثار لها علاقة متينة بحياة المسلم القولية والعملية، ولها تأثير على الأفراد والمجتمعات، سلبي وإيجابي، لذلك كانت دراسة الآثار عنصر أساسي لفهم قضايا الفتن، وفهم نتائجها، وقد تنوعت آثار الفتن للفتن الواحدة، وقد جعل الباحث لكل فتنة آثاراً عدة لتتضح الصورة ويتبين جوانبها وقلة تأثيرها.

المطلب الأول: الآثار الدينية

أولاً: فتنة الثبات على الحق: ومن آثار هذه الفتنة ما يلي:

1_ التمييز بين الصادقين والكاذبين: يختبر الله تعالى المؤمنين في صدق إيمانهم، فبعد أن يرى أن الإيمان قد أخذ موقعه من القلوب، تأتي الفتن إليه ليرى الله تعالى صدقه من كذبه، ويرى ثباته من زعزعته، وذلك ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: 37].

وحادثة تحويل القبلة خير شاهد على هذا الأمر، حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَا

¹ نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، الفوائح الإلهية والمفاتيح الغيبية (مصر: دار ركايا للنشر، 1999 م) 1/ 121.

جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴿البقرة: 143﴾ أي: وما

جعلنا القبلة التي كنت عليها فيما مضى، ثم أمرناك بالتحويل عنها إلى الكعبة، إلا لتمييز الثابت على مبدأه وعلى إيمانه، من الذي لا يثبت، فهو عرضة لرياح الفتن والشبهات، تترنح به كيف شاءت، وهذا الأمر هو اختبار من الله تعالى للمؤمنين ليظهر صدق الصادقين، وريب المرتابين المتزعزعين، فيثبت من عرف وفقه الدين وعرف حكمه تعالى، من الذين أخذتهم الشبهات تتخطفهم يمنة ويسرة، ويتكلمون بغير فهم ولا روية، ومن خلال هذه المواقف يختبر الله تعالى ما في القلوب بإلقاء الفتن عليهم لتمييز الصادقين من الكاذبين¹.

فقد يرسل الله تعالى الحوادث والمواقف للناس؛ لتظهر قوة إيمانهم من عدمه؛ وليرى الله صدق أقوالهم وأفعالهم، إذ الإيمان هو في القلوب وما صدقه العمل، أما إذا كان الإيمان في الكلام بدون تصديق من العمل فهذا سيبساوى الناس فيه كلهم.

ولا تظهر معادن الناس وتمييزهم إلا بالشدائد والحن، لقول الله عز وجل: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 2، 3]².

فكان هذا إخبار من الله تعالى للناس، أن الذي يثبت هو صادق في إيمانه، والذي ينكص على عقبيه ولم يثبت فهذا في إيمانه دخن وريب، وهذا الأمر يدلنا اليوم على ضرورة تسلح المسلم بالإيمان في حياته؛ لأنه معرض إلى الفتن، وخاصة في وقتنا المعاصر حيث انتشرت كثير من الفتن التي لم تكن موجودة في سالف الأيام.

¹ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2 / 7.

² ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 10 / 71.

2_ **صلابة المسلم على دينه:** جرت سنة الله تعالى في خلقه أن يرسل إلى عباده الفتن، ليرى آثارها على

عباده، من الخير أو الشر، ولم تكن أمة النبي ﷺ بعيدة عن الأمم السابقة من الابتلاءات والحن والمصائب،

بل كانوا يتجرعون مر الصبر على المشقة والنصب جراء ما يصيبهم من فتن ومصائب، ولقد ذكر الله تعالى

نبيه ﷺ وأمته على هذا الأمر فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 3].

فالله تعالى يسلي المؤمنين من أمته ﷺ، الذي عذبوا وأوذوا، وضربوا تحت الشمس الالهية،

ووضعت عليهم الحجارة وتعرضوا لصنوف العذاب، حتى أنهم أكلوا الميتة، وأوراق الشجر، يسليهم ربنا

ويقول لهم لستم وحدكم فُعل بكم هذا العذاب إنما عذبوا قبلكم من الأمم في دينهم، فثبتوا واصمدوا، كما

صمد السابقون من أهل الإيمان¹.

فمن علم أن الذين كانوا قبلهم يعذبون في سبيل الله وثبتوا وصمدوا، تكون لهم القوة في التحمل،

وكذلك المسلم اليوم، عليه أن يتأسى بمن كان قبلنا من السابقين ومن الصحابة الميامين، في تحملهم

للعذاب، فيسلي نفسه بما أصابهم ويثبت على الحق وعلى الإيمان، حتى ينال الدرجات العلا، ولكي يقوى

إيمانه ويجعله صلبا لا تفتته الفتن والمصائب، ويترقى في درجات الإيمان.

والشدائد تأتي لقلب المؤمن ليختبر الله تعالى إيمانه، فإن صبر ظهر إيمانه قويا متماسكا شديدا،

وإن خار عزمه وتهاوى كان من ضعفاء الإيمان لقوله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2] ².

فإظهار قوة المؤمن لإيمانه وصلابته مطلب قراني، ليتأسى به من كان ضعيفا، وليرى أعداء

الإسلام قوة ورباطة جأش المؤمنين أمام المصائب، والتأريخ له مثل كثيرة على هذا الأمر، من ثبات أهل

¹ ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي 18/ 11065_11065.

² ينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 5/ 2300.

الإيمان في وجه الأعداء، وأمام أفسى التحديات "فهكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم إلى أن يأتيهم نصر الله، فكونوا - يا معشر المؤمنين - كذلك، وتحملوا الأذى والشدة والمشقة في طلب الحق، فإن نصر الله قريب، فاصبروا كما صبروا تظفروا"¹.

3_تحقيق الإيمان: كل شيء له ثمن وثمن الثبات على الحق، من أهم آثاره هو تحقيق الإيمان ورسوخه في القلوب، ويتبين لك عندما تحتاج المسلم الفتن، ليختبره الله تعالى في إيمانه وقوته وثباته. فإن صبر على الابتلاءات والحن فهو صادق الإيمان، ويؤكد هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ.....﴾ [الحج: 11] وعندما يعرض للمسلم خوارق العادات، التي تخالف نوااميس الكون، فهنا سيظهر من هو صادق الإيمان، ومن هو مضطرب متحير في التصديق، وهل يؤمن بصدق النبي ﷺ؟ أم يراها غير معقولة؟².

كل هذه الأمور تبين مدى تحقيق الإيمان في قلب المسلم، ونظرته لما جاء به النبي محمد ﷺ، فالمسلم الحق هو الذي يحقق إيمانه، ويثبت أمام الاختبارات.

ولقد كان فيمن سبقنا من الأمم جرى عليهم الاختبار والامتحان والبلاء؛ ليرى الله عز وجل صدق إيمانهم وتحقيقه. فقد خلت من قبلنا من الذين أوتوا الكتاب واهتدوا إلى الحق فأذاهم الناس، فصبروا على هذا البلاء، فهل يصبر المؤمنون مثل صبرهم ويشبتون كما ثبتوا على شدائد الأمور؟، وهل حسبتم أن تدخلوا الجنة دون أن يصيبكم ما أصاب من قبلكم وما أصابهم؟، وهو نداء للمؤمنين بأنكم أوديتهم في سبيل دينكم أذى كبيرا، فعليكم بالصبر والثبات، ولا ينبغي أن يضعف إيمانكم، بل ينبغي عليكم إذا أصابكم الابتلاء والامتحان والشدائد أن يكون إيمانكم قويا صلبا³.

¹ محمد الأمين المرعي الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 3 / 261.

² ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي 18 / 1106.

³ ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 1 / 464.

وثبات المؤمن وزيادة إيمانه متوقف على تيسير الله تعالى له، وعندهم خزين من تعاليم الدين الحنيف، يعني تثبيت الذين آمنوا أن الله سبحانه وتعالى يسهل عليهم فهم الآيات الإلهية بوضوح، مما يتيح لهم استيعاب أدلتها ويقوي إيمانهم، فتطمئن قلوبهم ولا يدخلها الشك نتيجة لذلك، يصبحون ثابتين في إيمانهم وغير متزعزعين وفي الآخرة، يتجلى هذا الثبات ويظهر قوة إيمانهم في مواجهة الشدائد والتحديات¹.

فتحقيق الإيمان لا يصل إليه كل الناس؛ لأن ذلك يحتاج إلى عزيمة وشجاعة؛ لنيل هذا الشرف والرفعة في زيادة الإيمان، وهذا هو ما يحتاجه المؤمن اليوم، إذ قد التفت الفتن والمصائب علينا من كل جانب، فإذا أراد المؤمن أن يكون راسخا في إيمانه، متمسكا بدينه أمام جحافل الشبهات والشهوات والمغريات، ثابتا في دينه أمام الهجمات المتكررة على تعاليم ديننا؛ فليكن له نصيب كبير من التحصن والمنعة في تدارس العلم وتعلمه على أهله، وحفظ النفس من الانغماس في قضايا عشوائية تخرجه عن جادة الصواب.

ثانيا: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: ومن آثار هذه الفتنة ما يلي:

1_ وعد الله تعالى بالهلاك والدمار لمن صد عن دعوة الأنبياء: بعث الله تعالى الرسل والأنبياء إلى أقوامهم ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، ومن دياجير الظلم إلى واحة العدل، ولكن كثيرا من الناس، يصددون عن دعوة الأنبياء، فكانت لها آثارا غير مرضية لمن خالف أوامر الله تعالى وخالف ما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأن الله تعالى أرسل أنبيائه بالهدى والنور وتحقيق الكرامة للإنسان، ومن خالف فله عذاب شديد، والعذاب لن يأتي بغتة ومباشرة بعد تبليغ الرسل، لا! لكن يُبْهَوْنَ ويتعظون ويأمرُونَ، ثم بعدها إذا لم يؤمنوا ولم يدعنا للرسل جاءهم العذاب " أما الذين آمنوا بعيسى وصدقوا بنبوته

¹ ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 13/ 226.

وما أنزل عليه من عند الله، بالإضافة إلى قيامهم بالأعمال الصالحة من خلال تنفيذ الأوامر والابتعاد عن النواهي، فسوف يمنحهم الله أجورهم كاملة دون أي نقص"¹.

وإن الله تعالى لا يعذب أحدا من أتباع الأنبياء إلا بعد تبليغهم الرسالة، وينبهم على ترك العناد، كما حصل لأهل الكتاب. حيث ركز القرآن الكريم بالكف على عنادهم وحسدتهم، وقبولهم سريعا دعوة القرآن، وبين لهم ألوان التعنيف والتوبيخ من الله وبلطف من الله وكذلك بلين القول ولكنهم يعاندون الحق، وقد كفروا وصدوا عن سبيل الله، وأرادوا مكرًا وكيدا لأهل الإيمان، فاستحقوا بذلك التهديد والوعيد، وسيجازيهم الله تعالى على صنيعهم"².

ولقد بين الله تعالى خبث نواياهم وسوء طويتهم بعدم قبول دعوة الأنبياء والرسل، وربما تحسّر بعض أنبياء الله تعالى على قومه؛ لأنه لم يتبعه الكثير من الناس. فإن تولوا وأعرضوا، فلا يهملك أمرهم ولا تبال بهم، ويخبر الله تعالى أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ما اقترفته أيديهم من الذنوب، وهو التولي والإعراض عن دعوة الرسل، وما أكثرهم، فهؤلاء لهم عذاب أليم، وهم فاسقون وخارجون عن حدود العقل والدين"³.

ولقد بلغ الرسل أقوامهم دين الله عز وجل، ولم يردعهم أهل الباطل عن تبليغ الرسالة، فهم أمناء الله في أرضه، فالأنبياء عليهم السلام وجهوا أقوامهم إلى الخير والصالح "ولكل أمة من الأمم رسول يهديهم ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد، فإذا جاء رسولهم وكذبوه وكفروا به، وقامت الحجة عليهم قضى بينهم بالقسط، وهم لا يظلمون إذ العدل يقتضى إثابة الطائع والعاصي كل بما

¹ الزحيلي، التفسير المنير 3/ 242.

² ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 4/ 24.

³ ينظر: محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 523.

يستحق"1.

فالله تعالى لم يظلم أحدا وحشاه من الظلم، وكذلك الأنبياء لم يظلموا أحدا من قومهم، فلقد أمهلوا أقوامهم كثيرا حتى يدخلوا في دين الله تعالى، لكن كثيرا منهم معاندون مكابرون عن الحق وعن قبوله. وباستقراء تاريخ الأمم السابقة نلاحظ ما جرى عليهم من سنة إهلاك الله للظالمين، من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم الذي نزل بهم العذاب، الذي لا يرد عن القوم الكافرين، فكان عذابهم عذاب استئصال؛ لأن الأنبياء لم يكونوا مطالبين بحمل السلاح لنشر دعوتهم، فكان عليهم البلاغ، والحق سبحانه وتعالى هو الذي يتولى تأديب المخالفين².

وكل من تخلف عن دعوة الأنبياء يبقى في تيه الظلام، ويبقى في وهن الباطل، وهشاشة آراء العقول؛ لأن دعوة الأنبياء تعصم العقول بالتردي في وحل التخبط والظلام، ودعوة الأنبياء طريق لينعم الناس بالحرية والكرامة والأمان النفسي والاجتماعي.

فما بالناس اليوم قد تركنا ديننا ونبدنا دستورنا؛ لأننا أشد قوة ممن سبقنا، والكفار لا يعترفون بالإسلام وهم خارجون عنه ولا يعدوه ديناً إلهياً، وعلى الأقل لا يعرف حقيقته أحبارهم وكبائرتهم، ونحن اليوم ندعي الإسلام، ونأمل الجنة والثواب، ومع هذا تركنا حكم الله تعالى بالقرآن، وحكما الآراء الجاهلية، التي تبيع الدين والعقيدة، والتجأنا إلى القوانين الوضعية التي تقر بالجرائم، وتحميهم، وجاءت دعوة الإسلام لقوم يوقنون؛ لأنه لا عدل وأنصف من الله تعالى، ولا أحسن حكما منه³.

إن دعوة الأنبياء ليست سلاسل مفصولة عن بعضها فجوهر ديننا واحد، لكنه متنوع الشرائع من عند الله تعالى، وتطبيقه اليوم ليس عسيرا في حياتنا، وعلى المسلم أن يحكم شرع الله تعالى في معيشتة،

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 2/ 68.

² ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي 14/ 8627.

³ ينظر: محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 523_524.

وأن لا يفصل حياته عن دينه، كما فعلت النصرانية من ذي قبل فهلكوا، والمسلم يؤمن بكل الأنبياء عليهم السلام؛ لأن منبعمهم واحد وهو من عند الله تعالى، والإعراض عن دعوة الرسل ودعوة النبي ﷺ تجعل الإنسان في ضيق العيش ومرارة الفكر.

2_ الضلال والابتعاد عن الحق: لقد بعث الله تعالى الرسل وأنزل معهم شرائع فيه هداية البشر من الزيغ والضلال، ومن الجور والظلم والانتكاس.

حث الله المؤمنين على الإيمان بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين، مع الالتزام بالخضوع والطاعة لرب العالمين، فهو سبحانه وتعالى أصل جميع الأديان، ينبغي علينا أن نصدق كل الرسل دون استثناء، ونعترف بجوهر الدين، ونشهد أن جميع الأنبياء هم رسل الله تعالى، الذين أرسلوا بالحق والهداية ويجب علينا أن نتجنب ما قام به بعض اليهود وغيرهم من إنكار لأنبيائهم وكفرهم برسول الله محمد ﷺ¹.

والله تعالى لم يدع خلقه لشرائع العقول الناقصة تحكم في الأرض، بل يرسل إليهم كل فترة رسلاً من عنده يوجهون خلقه نحو الخير والصالح والهدى.

ولقد أرسل الله تعالى الرسل ليبينوا للناس منهج الله تعالى، فكان الناس أمة واحدة، إلى أن تحركت فيهم الأهواء، ومع ذلك رحمهم الله تعالى، واستمرت الرسالات السماوية إليهم، وكلما ابتعدوا عن الحق وعن الفساد، أرسل الله إليهم رسولا لينبه خلقه ويوقظهم من الغفلة، إلى أن جاء خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وصارت أمة النبي محمد ﷺ حارسة للقيم، التي تصون حركة الحياة؛ لأنه الله تعالى جعلها أمانة لكل الأمم، ومن يتولى عن دعوة الرسل قال الله: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 82] أي: أن الوعيد هو أن يحاسبه الله تعالى حساب الفاسقين، الذين خرجوا عن الطاعة،

¹ ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 1/ 324-325.

وهم بفسقهم يريدون منهج غير منهج الله تعالى ليحكمهم وهذا هو الضلال بعينه¹.

فدعوة الأنبياء عليهم السلام جاءت لحسن البشرية من الهلاك والخسران، ولكن بعض البشر يرفضون هذا المنهج، ويركضون وراء مناهج فيها نقص وخلل وتحايل.

إن المنهج الذي يختاره الإنسان لنفسه، إذا لم يكن مستنداً إلى توجيهات الله، يصبح منهجاً من تأليف العقول البشرية، وعادةً ما تتبع هذه المناهج البشرية من الأهواء الشخصية، ومع وجود هذه الأهواء، فإن أي تشريع يتم وضعه من قبل البشر يتأثر بها، مما يؤدي إلى نقص في الفهم والرؤية، وهذا النقص يمكن أن يسهم في إحداث الفساد في الكون، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ.....﴾ [المؤمنون: 71].

فهم يبتغون منهجاً من صنع عقولهم، وهم بهذا الأمر يبتغون في الأرض ويضلوا عن الطريق المستقيم². ومن الضلال الذي يلحق في واقعنا المعاصر، هو اتباع بعض المسلمين لنظريات الغرب وثقافته، ويصدون عن دعوة الأنبياء ودعوة النبي ﷺ، بل ويطعنون بتعاليم الإسلام، ويوجهون سهامهم نحو تاريخ الإسلام وشريعة سيد الأنام، وتراهم يتعرضون لأوامر الله تعالى ويصفونها بالإجحاف، وعدم الانصاف مثل مسألة عدم تساوي الذكر والانثى في الميراث، وغيرها من النظريات الفاسدة، التي يشيعونها بين أوساط المسلمين، فهؤلاء قد ضلوا وحادوا وابتعدوا عن منهج الرسل.

3_ التمييز بين المؤمنين والكافرين: إن من آثار فتنة اتباع الأنبياء وصددهم الناس، هو التمييز بين المؤمنين والكافرين، حيث تعرض عليهم دعوة الأنبياء، فقسم من الناس من يتبع الأنبياء، وقسم منهم من يحدد ويكفر بدعوتهم، وبين الله تعالى أن من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ

¹ ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي 2/ 949.

² ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي 3/ 1578.

يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [آل عمران: 85] أي: والاسلام هو الإيمان بالله تعالى وحده، وإذعان العقل والنفس والعقل والقلب لله وحده، ويخلصوا لله وحده، ولا يقبل الله من عباده الإيمان إلا إن كان خالصا لله تعالى، ولذا قال سبحانه: ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: أن الخسران يوم القيامة يكون إذا خسر رضوان الله جل شأنه وخسر التمتع المقيم، وخسر رحمة الله تعالى، فيلقى به في الجحيم الأليم¹.

ويميّز الله المؤمنين من الكافرين؛ بأن تكون لهم الدرجات في الآخرة ويأخذ كل منهم نصيبه من النعيم أو العذاب؛ لأنهم إما أن يكونوا من أتباع الأنبياء أو يكونوا من الجاحدين. وقد انقسم الناس أمام الدين والحق ودعوة الأنبياء إلى حزبين: الأول: حزب الله، الذين يمثلون لأوامر الله تعالى ويقفون عند نواهيه، ومنهجهم واضح وسليم، وعقيدة ثابتة فهؤلاء قال الله فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22]، والحزب الثاني: حزب الشيطان، ويشمل كل جماعة أو فرقة لا يتبع منهج الله تعالى، قال الله تعالى عنهم: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19] وهؤلاء أتباعه فرق كثيرة من أهل الباطل، من المنافقين والكافرين والملاحدة، كلهم من حزب الشيطان².

فالإنسان مخير في أن يتبع ويختار أي طريق يناسبه، فيكون من المؤمنين أم من الكافرين، ودعوة الأنبياء لم تقف على أفراد أو على جماعة من الجماعة على مر العصور، فشرعية الله تعالى غالبة في كل زمان، ومن يعارض أنبياءه وشريعته سيظلمهم العذاب والجحيم عاجلا أم آجلا؛ لأنهم وقفوا أمام إرادة الله تعالى، في إيصال الخير للناس، وإنقاذهم من الهلاك، ومن تطبيق شرع الله تعالى في أرضه، وبسط العدل

¹ ينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 3/ 1302.

² ينظر: محمد رفعت زنجير، الأنبياء والرسول عليهم السلام ضحايا الظلم والعدوان ص2.

والحرية والنور، فحتمًا ستكون نهايتهم أليمة، عافانا الله من ذلك.

ثالثًا: فتنة الشبهات: ومن آثار هذه الفتنة ما يلي:

1_ **تشويه صورة الاسلام:** إذا أقيمت الفتنة فسيصبح لها أثرًا على صعيد الأفراد، وعلى صعيد المجتمع، وربما كان أثر الفتنة أشد ضررًا من الفتنة نفسها؛ لأن الفتنة قد تأتي وتذهب، لكن في بعض الأحيان يبقى أثرها مستمرًا بعد انتهاءها، وتثار فترة بعد فترة، ومن هذه الفتن التي يتركز عليها أعداء الدين، أو ربما هم من المسلمين، هي فتنة تشويه الإسلام، والذين يشوهون صورة الإسلام هم الأعداء أو جماعة من المسلمين قد تقصدوا ذلك أم لم يتقصدوا.

ونرى اليوم أن بعض الناس يشوهون ويشيرون المواضيع التي لا فائدة منها، ويكون من وراء هذا التشويش بلبلة بين المسلمين، وربما استمع بعض المسلمين إلى أصحاب النوايا الخبيثة الذين يثنون ويصدرون للمسلمين الحقد والحسد والتكابر عن الحق، ولا يهدأ لهم بال إلا بالكيد والدس، وإثارة الشبهات، وتثييط القلوب والعزيمة¹.

فأعداء الإسلام يثنون وينشرون شبهاتهم ليل نهار، ويحاولون قدر استطاعتهم أن يصدوا الناس عن منهج الإسلام ووسطيته، والعجيب أن بعض المسلمين، يسمعون ويقتنعون لهذه الشبهات، التي تشويه صورة الإسلام، ويدؤون بنشرها، على أنها من الضروريات التي لا بد أن تغير، وربما كانت هذه الأمور من الفرعيات، وهذه كثيرة منتشرة بيننا، والنبي ﷺ تنبه إلى هذا الأمر فقد كان رسول الله ﷺ: «ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»².

فكثرة الأسئلة وتردادها، تسبب ضيقًا وحرًا على المسلمين، لذلك تُهوا الصحابة رضوان الله

¹ ينظر: دروزة محمد عزت، التفسير الحديث 6/ 220.

² أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، 8/ 100، حديث رقم 6473.

عليهم عن سؤال النبي ﷺ بعد رسوخ الإسلام؛ لأن كثرة الأسئلة تجر الإنسان إلى كثرة الأوامر، وبالتالي يكون تشويشا على القلوب والعقول، فيؤدي هذا الأمر إلى الجفاء والبعد عن روح الإسلام وعدله واستقامته.

ولو فهم من يتبع هذه الشبهات من المسلمين، بأن الكفار قديما لو وجدوا أي زلة وخطأ، لم ينهاتهم ذلك عن مغالطة القرآن وتكذيبه؛ لأنهم كانوا أهل الفصاحة واللغة، ولهم يد طولى في تراكيب الكلام وأساليبه "إذا كان هناك أي خطأ في أسلوب القرآن، لكان الكفار أول من يعلن عنه، نظراً لمعارضتهم، لو تمكنوا من العثور على حتى كلمة واحدة تخالف القواعد اللغوية، لكانوا قد أبرزوا هذه المخالفات، عدم تقديم الكفار لهذه الشبهات، التي يثيرها بعض الأعداء، يشير إلى أنهم استوعبوا المعاني الدقيقة والمقاصد الواردة في القرآن الكريم"¹.

ومنذ نزول القرآن الكريم، إلى يومنا هذا، تخرج أفوها تريد النيل من القرآن وتشويش العقول، ويروجون لشبهاتهم حول القرآن، ويأتون بالأدلة على كلامهم، ولكن والله الحمد فقد رد علماء الأمة الصادقين، كل شبههم وتشويشهم، وطريقهم المعوج، وردوا كيدهم إلى نحهم، فالله تعالى حافظ كتابه ومبقيه معجزة ثابتة على مر الدهور والعصور.

2_ نشر الآراء والأفكار المنحرفة: الإسلام دين متين متراكب الجوانب لا يمكن أن يتسلل إليه العبث والزلل، ومع هذا فإن أعداء الإسلام، يحاولون بشتى الطرق، زعزعة نفوس المسلمين وترويج أفكارهم الخبيثة، ويمدون أفكارهم بالأموال الطائلة، التي من خلالها يريدون السيطرة على عقول المسلمين، وخاصة شباب الأمة؛ لأن الشباب هم قلب الأمة النابض، الذين بهم يسود ويمتد الإسلام، فيحاولون نشر تلك الشبهات والآراء المنحرفة، التي يلقونها، وهذا هو طريق الكفار والمنافقين من قبل.

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 8 / 4642.

فالمشركون بتكذيبهم للنبي ﷺ نفضوا الفطرة، وأهل الكتاب نقضوا العهد، فمن أنكر بعثة الرسل،

فهو ناقض لعهد الله تعالى، وهم يفسدون في الأرض بالمعاصي والفتن بين الناس، والصد عن الإيمان¹.

وقد ترد بعض الآيات فيها اشتباه بالمعاني، أنزلها الله تعالى اختباراً للمسلمين، وربما ينتفع بها كل

عصر بما يناسب عقولهم واطلاعهم وثقافتهم، وربما لا يفهم معاني هذا الآيات إلا بالرجوع إلى مخصصها

أو إلى تقييد عمومها، وتبين مجملها، حتى تكتمل صورة الآيات ويفهم المراد منها، ولكن أصحاب

القلوب الضعيفة "وأصحاب القلوب المريضة الزائغة، لسوء قصدهم يتبعون هذه الآيات المتشابهات

وحدها؛ ليشيروا الشبهات عند الناس، كي يضلّوهم، ولتأويلهم لها على مذاهبهم الباطلة"².

ومن يفعل هذا الأفاعيل، ويحاول نشر الشبهات والآراء المنحرفة، من التضليل في العقائد وإثارة

الشبهات، غايتهم هو البقاء على نفوذهم ومراكزهم، وهم في النهاية الخاسرون في الدنيا، بافتضاحهم

وتخبطهم، وفي الآخرة بالعذاب الأليم وغضب الله تعالى، فهؤلاء لا سعادة لهم في دنياهم ولا آخرهم؛

لأنهم استبدلوا الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة، والنار بالجنة، والنقض بالوفاء، والقطع بالوصل،

والفساد بالصلاح، والعقاب بالثواب³.

ولكل زمن فتنته، والفتن تحيط بنا اليوم من كل جانب، والأعداء يمدون أتباعهم بالمال وحتى

السلاح، في سبيل إغواء المسلمين، وبعثرة أفكارهم، ونشر أباطيلهم المنحرفة، فهم لا يثنون أفكارهم

بالثواب من الدين، بل يثنون أفكارهم بالأموار المختلف فيها بين المذاهب المعتمدة لدى المسلمين،

ويتصيدون مواضع الاختلافات البسيطة، فيدخلون من خلالها ويبينون للناس، أن الإسلام منهج

مضطرب، وهذا لم يكن أمراً مشتبهاً عند العلماء، فالعلماء يعرفون مداخل ومخارج الآراء؛ ولكن بعض

1 ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 1/ 112.

2 نخبه من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2009 م) 1/ 50.

3 ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 1/ 113.

المسلمين، وحتى قسم من طلبة العلم الشرعي، تنطلي عليهم هذه الاضطرابات التي يلقيونها، ولن يتوقف أعداء الإسلام عن نشر فكرهم المنحرفة؛ لأنهم يعلمون أن الإسلام دين قوي يجتاح القلوب والعقول، وهو منهج ونظام قوي، إذا سيطر على القلوب والدول، فإن سلطتهم وسطوتهم ستزول وتضمحل.

3_ زعزعة الإيمان في نفوس الناس: عندما تحل الشبهات بين المسلمين، يأتي الامتحان والاختبار الأصعب؛ ليرى الله تعالى صدق المؤمنين، هل ينجون من شر هذه الشبهات التي تثار، أم ينحرف المسلمون خلف هذه الشعارات والأفكار، ولقد افتتن الصحابة والمسلمون الأوائل في مسألة تحويل القبلة، فكان في تحويلها امتحان واختبار قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: 143] ومعنى الآية: "أي: وإن كانت القبلة في تحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة لكبيرة إلا على الذين أودع الله قلوبهم هداية ثابتة مطمئنة لا تزعزعها الرياح، ولا مكان فيها للشبهات التي يثيرها من لا يؤمنون"¹.

كان وقعها في القلوب كبير، حتى يعلم الله تعالى من يثبت ممن لا يثبت، وهو اختبار وامتحان قال الله تعالى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: 143] فكان هذا من أشد ما افتتن به المسلمون الأوائل.

لذلك فإن الله تعالى العليم الخبير، الذي أحاط بكل شيء علما يبين أن هذا الاختبار كبير لا يثبت فيه من تزلزل إيمانه الشبهات، وتطيح به الشكوك، وقد عبر الله تعالى عن الذي لم يحسنوا البلاء وكشفهم الاختبار فارتدوا وأعلنوا كفرهم، وما كانوا مؤمنين بقوله تعالى: ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: 143] والعقب هو مؤخرة القدم، والمرتد على عقبيه هو الذي خرج عن الإسلام².

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 1/ 442.

² ينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 1/ 443.

ومن لم يجعل الله نورا وهداية فإنه إن أتت عليه الشبهات والفتن والشكوك، تزلزله وتذهب إيمانه فإن "إن الشخص الذي يدعي الإيمان بكتاب أنزل من عند ربه يسعى من خلال هذا الإيمان إلى إشعال نور يهديه في مواجهة الشبهات، ويضيء له في ظلمات الشكوك والمشكلات، كما يرغب في أن يتيح له هذا النور رؤية ما قد يتعرض له من هجمات الأهواء والشهوات، وعندما يبدأ هذا النور في إضاءة ما حوله بما يحتويه من هداية ورشاد، ويقربه من الصواب والسداد، تصيبه بعد ذلك ظلمة التقليد الضار التي تضعف من رؤيته وتمنعه من الاستفادة الكاملة من النور الذي أضاء له"¹.

والذي يعصم من الوقوع في الشبهات والشكوك، هو رسوخ الإيمان في القلوب؛ وما أكثر ما يختبر به الإيمان في عصرنا؛ لكثرة الشبهات حولنا، وكثرة إثارة الريب في القلوب، فتحتاج إلى علم وفهم صحيح للإسلام، حتى يستطيع أن ينجو من براثن هذه الشبهات.

رابعا: فتنة الاختلاف والتفرق: ومن آثار هذه الفتن ما يلي:

1_ التعصب والتطرف: من الآثار الكبيرة التي تلقي بظلالها فتنة الاختلاف والتفرق، هي التعصب والتطرف، وهاتان الخصلتان توجداهما الظروف المحيطة لانتشار الفتن، والتعصب والتطرف لها مسببات ولها آثار، وحيث وجد التفرق بين المسلمين وجد التعصب ووجد التطرف؛ ولم تكن تسلم الأمم الماضية من هذه الآفة المدمرة، فقد تفرقوا واختلفوا فنتج عن هذا التعصب والتشدد، التفرق والاختلاف، مما جعلت قوتهم تذهب أدراج الرياح، وكذلك تعرضت أمتنا مثل الذي طاهم من شرر هذه الفتنة وإن "آفة المسلمين في التعصب الأعمى الذي يُنزل الأمور الاجتهادية التي ترك الله لعباده فيه حرية واختياراً منزلة الأصول والعقائد التي لا اجتهادَ فيها، فيتسرَّعون في الحكم على الناس واتهامهم بالكفر لمجرد الاختلاف في

¹ محمد رشيد رضا، تفسير المنار 1/ 141.

وجهات النظر الاجتهادية"¹.

وهنا لابد من التنبيه إلى أمر خطير فقد "يكون السواد العظم في أمواج الفتن من العامة والدهماء، الذين لا يرصد لهم عمل، ولا يحسب لهم حساب، ولا يلتفت إليهم ناظر، لكن الرؤوس المدبرة للفتنة، المحركة للجموع الغفيرة منهم، لابد أن تظهر بينهم بمظاهر التقوى والورع، وأن تخرج عليهم بلباس الزهد والتنسك، والحرص الزائد على الطاعة والالتزام؛ ليمثل ذلك قوة دافعة وحالا داعما للتأثير على التباع، فيجد الاستجابة منهم عند الأمر والنهي، و يرى هذا واضحا فهؤلاء الناس الذين يمثلون أبواق الفتن في شتى بقاع الأرض، قديما وحديثا"².

فروؤوس الفتن هم الذين يوقدون شرار ونار الفتن إما بنشر الخلافات، وإما بنشر الشبهات التي تجعل المجتمع مضطربا، وتجعل المسلمين في حيرة من أمرهم، فهذه من الطوام الكبيرة التي تواجه المسلمين، ويجر الاختلاف والتفرق إلى حد التكفير بين المسلمين، وإلى القتال كما حدث في العراق وسوريا وغيرها، وفي هذا الصدد يبين لنا الرسول ﷺ خطر هؤلاء الذين يزينون للناس دينهم بلباس الوهم والتطرف فيقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»³.

ومن كان هذا فعله وسلوكه سيقع في الشبهات والفتنة؛ " لأنه إيمان قائم على التعصب والهوى، لا على الحق والهدى ... ولو كان إيمانا صحيحا لا استقام على كل طريق يقوم على الإيمان"⁴.

"وكثيرا ما يؤدي التعصب الى طمس الحقائق وضياع الفوائد إذ يصبح الفرد كالبيغاء ينقاد للآخرين على

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 16 / 10026.

² أشرف شعبان محمّد، الفتن وطرق علاجها في الاسلام ص371.

³ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم 32/1 حديث رقم 100.

⁴ عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن 3 / 1010.

حد قول شوقي: يا له من ببغاء عقله في أذنيه"¹.

فهذا التعصب والتشدد هو من آثار الاختلاف والتفرق، الذي طال العقول والقلوب، وبسبب ضيق الأفق وضيق المنهج المتزن، يبدأ الإنسان بالغلو والتشدد، وقد يصل بالإنسان مرحلة من التعصب والغلو إلى الطغيان قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ أي: "ولا تنحرفوا عما حد لكم بإفراط، وتفريط، فإن كلا طريقي قصد الأمور ذميم ... والطغيان مجاوزة الحد، ولما أمر الله سبحانه بالاستقامة المذكورة بين أن الغلو في العبادة، والإفراط في الطاعة، على وجه تخرج به عن الحد الذي حده، والمقدار الذي قدره ممنوع منه منهي عنه"².

وقد أمر الله تعالى المسلمين بعدم التفرق والاختلاف في آيات كثيرة؛ ليحمي المجتمع المسلم من الغلو والتطرف، ويكون لُحمة واحدة ضد مخططات الأعداء، الذين يتربصون بالإمة ليل نهار.

2_ التفرق والتحزب والانقسام: نهى الله تعالى عن الاختلاف والتفرق الذي يسري في الامة؛ لأن الأمة ستصبح متفرقة ومنقسمة إلى أشلاء وجماعات، لذلك جاءت الآيات محذرة من هذا الأمر الذي يهوي بالامة إلى مستنقع الوهن والخراب، ولقد تفرقت الأمم الماضية كذلك فتشتت وضاعت وانقسمت إلى فرق وطوائف قال الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ [الروم: 32].

فاليهود كانت أمة واحدة مجتمعة على كتاب واحد، فزين لهم الشيطان فترفقوا وجعلوا لهم مذاهب وشيعا، وحرفوا الكتاب، وأضافوا عليه مما ليس فيه، فسلط الله عليهم الأعداء فمزقوهم، وهذا فعل أغلب أهل الملل؛ لأنهم زادوا على منهجهم وأنقصوا منه، فصعب عليهم تطبيق ما فيه فضيعوه، فذهب الله بوحدتهم واجتماعهم، ولم تنفعهم كثرتهم؛ لأن الأعداء قد تسلطوا عليهم³.

¹ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه (حصص: دار الإرشاد للشئون الجامعية، 1415 هـ) 8 / 111.

² محمد الأمين المرعي الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 13 / 259.

³ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2 / 115.

لم تغن عن اليهود ولا الأمم الماضية، قوتهم وكثرتهم؛ لأنهم تفرقوا واختلفوا، ولولا اختلافهم وتفرقهم لم تذهب قوتهم، ولبقيت قوتهم ومنعتهم مستمدة من قوة تماسكهم، وشدة تآلف قلوبهم؛ لكن الذي ضيعهم وفتت مجتمعهم هو آفة الاختلاف والتفرق وتحريفهم لكتبهم، وكذلك — وللأسف — اتجهت أمتنا نحو اتجاههم وسلوكوا مسلكهم في التفرق فأصبحنا نتجه نحو الانحدار والارتكاس، الذي أودى بنا إلى تشقق الصفوف وضياع الاعتدال فالمسلمون اليوم "قد خالفوا هذا تفرقوا وتنازعوا وشاق بعضهم بعضا، واتخذوا مذاهب متفرقة، كل فريق يتعصب لمذهب ويعادى سائر إخوانه المسلمين، زعما منه أنه ينصر الدين، وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين، فهذا سني يقاتل شيعيا، وهذا شافعي يغري التتار بالحنفية، وهؤلاء مقلدة الخلف يحادون من اتبع طريق السلف ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 168] أي: ولا تتبعوا سبله في التفرق في الدين أو في الخلاف"¹.

إن الذين يفرقون أهل الإسلام ويجعلونهم مذاهب متناحرة هو تغلب الجهل عليهم، وعدم معرفتهم وتفريقهم بالاختلاف المذموم من الاختلاف المحمود، ووجهوا كل الاختلافات إلى نفرة وعداوة، وهذا ما لم يرشد إليه الله عز وجل في كتابه العزيز، ولم يكن هذا هو توجيه النبي ﷺ، لأصحابه وأمته، فديننا واضح ومنهجه مستقيم "وإن الدين في أصله واحد، وقواعده بسيطة واضحة، لا تدعو إلى التفرق والاختلاف في ذاتها وطبيعتها البسيطة اليسيرة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ.....﴾ [البينة: 5]"².

وأما إذا دب الاختلاف والتفرق في جسد الأمة، فإنه سيسود التحزب والتفرق، والانقسام بين صفوف المسلمين، وستصبح الأمة فرقا وجماعات وأحزابا، وكل حزب وفرقة وجماعة تدافع عن منهجها

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2/ 114.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 6/ 3948.

وطريقها، بل ويصل الأمر إلى التناحر والتقاتل، والواقع المعاصر اليوم، شهد مثل هذه الانقسامات، التي شتت الأمة ومزقت شملها، مما أدى إلى ظهور الجماعات المسلحة التي تدافع عن رأيها وتنصر منهجها، والله تعالى يدعونا إلى الالتفاف والتعاقد والاعتصام إذ يقول: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: 103] فهلا انصاعت واصغت قلوبنا لهذا النداء؟

المطلب الثاني: آثار الفتن الدنيوية عند المفسرين القدامى والمحدثين

كانت نظرة المفسرين القدامى والمحدثين متقاربة بالنسبة لآثار الفتن الدنيوية؛ لأنها من الأمور التي تلازم حياة الفرد والمجتمع، فكان أثرها متقارب على مر العصور، وربما يختلف تأثيرها من عصر لآخر؛ بسبب ضعف النفوس، والابتعاد عن مراد الله تعالى، وهذه الفتن هي:

أولاً: فتنه الأولاد ثانياً: فتنه المال

المال والأولاد أمران متلازمان في أغلب الأحيان فعندما يُذكر المال في القرآن الكريم فغالبا يُذكر معه مباشرة الأولاد، لذا فهما قد يشتركان في نفس الآثار، وقد يكون لكل منهما آثاره الخاصة، على الإنسان، فمن أثرهما ما يلي:

1_ أن الأولاد سبب في فساد والديه: وهذا الأثر خاص بالأولاد، وقد يشترك بهذا الأثر المال في بعض الأحيان، وإن آثار الأولاد هو الفساد، يفسد على صاحبه حياته، ويحولها إلى حياة مضطربة بسبب الأولاد، لذلك بين الله تعالى للإنسان أن لا يتعلق ولا يلهه أولاده عن ذكر الله تعالى؛ فإنهم يسببون له المتاعب والخراب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: 14].

فإن من الأولاد من يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والضنك والأذى فاحذروا منهم؛ لأن المال والأولاد لا يخلون من أن يكونوا عدو لصاحبه، فكونوا على حذر، ولا تأمنوا شرهم ومكرهم،

إذا قررتم الصفح عن أولادكم بعد أن اكتشفتهم عداوتهم، ولم تبادلوهم بالمثل، فإن الله سبحانه وتعالى يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عن سيئاتكم¹.

فالأولاد مع أنهم نعمة من الله تعالى على عبده ومنة وفضل؛ لكنهم قد يتحولون إلى ألد الأعداء على صاحبه، لما لهم من الخطر على حياة الإنسان، حتى أنهم ليلهون ويصرفون الإنسان عن الطاعة، "فعن بعض السلف: العيال سوس الطاعات"².

أي: أنهم يخربون على الإنسان طاعته ويشغلونهم عن ذكر الله وفعل الطاعات، وهذا فيه مفسدة للإنسان؛ لأنهم سيبعدونه عن ما يرضي الله تعالى، حتى قال الإمام مجاهد: "كان حب الرجل ولده وزوجته يحمله على قطيعة رحمه ومعصية ربه"³. فلم يصل الأمر إلى هو الإنسان عن طاعة الله، بل قد يحمله على عصيان الله تعالى، من قطيعة الرحم، والكف عن كثير من القربات.

ومن الأكدار التي تأتي من الأولاد هو امتناع الأولاد من بر آبائهم، فهذا سيؤدي إلى خراب العلم؛ لأن الآباء إذا علموا بعدم برهم، قلت رغبتهم في تربية الأولاد، فهذا الأمر يلزم خراب الغلام، فيتبين أن عمارة الأرض إنما تحصل إذا حصل البر من الآباء والأولاد من الجانبين⁴.

فالأبناء إذا تنكروا لوالديهم، ولم يقوموا بواجبهم تجاههم من البر والطاعة، فإن ذلك يسبب الفساد والخسران؛ فيصبح أقرب الناس عدواً، وهذا فيه خراب الحياة التي يعيشها الإنسان لذلك كان من دعاء زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38]؛ لأن الذرية الطيبة لها أثرها الحسنة على صاحبه في الدنيا، وكذلك إذا كان الأولاد غير صالحين فإن

¹ ينظر: أبو القاسم محمود الزمخشري، تفسير الزمخشري 4 / 550.

² أبو القاسم محمود الزمخشري، تفسير الزمخشري 4 / 550.

³ جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير 4 / 294.

⁴ ينظر: الرازي، تفسير الرازي 20 / 330.

ذلك سيؤثر على صاحبه من الفساد والتعب والنصب.

2_ تحمل المصائب والآلام: قد يجبر على الإنسان أولاده الوليات والحسرات والمصائب، والسبب في

ذلك حتى لا يركن الإنسان إلى أولاده ويجعلهم حاجزاً عن مراد الله تعالى فبين الله تعالى أنهم أعداء

للإنسان، وبين الله تعالى أنهم فتنة قال الله تعالى: ﴿أَمَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] أي:

"ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة، يعني بلاء عليكم في الدنيا"¹.

فقد يمتحن الإنسان بأولاده وأمواله، وقد يكون الولد سبباً في حزن والديه، جالب للجنبين لهما

فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الولد مبخله مجبنة»². "فهذه مصادر الحزن والبخل والجبن أي يحمل

حب الأولاد والأموال على ذلك، فمن صبر على السراء وهي العوافي والغنى والأولاد وغير ذلك وأخذ

الأشياء من حقها ووضعها في حقها فهو من الصابرين الشاكرين لا يزيد عليه أهل البلاء والفقر إلا

بحقيقة الرضا والشكر"³.

فالإنسان يتجرع الآلام والمصائب، ويكابد الهموم، جراء ما يفعله أبنائه حتى قال بعض

الحكماء: "أولادنا فتنة إن عاشوا فتنونا، وإن ماتوا أحزنونا"⁴.

إن الأموال والأبناء قد يصبحان مصدراً للمعاناة سواء في الحياة الدنيا أو في الآخرة، فبالنسبة

للأموال، يمكن أن تكون عذاباً للمنافقين؛ حيث تتطلب عملية كسبها جهداً وعناءً كبيرين، بينما تتطلب

¹ الطبري، تفسير الطبري 23 / 426.

² أخرجه ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الأدب، باب بر الوالد، والإحسان إلى البنات (بيروت، دار الفكر، د.ت) 2 / 1209 رقم الحديث 3666، قال الإمام الهيثمي: (ورجالها ثقات) أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي (القاهرة: مكتبة القدسي، 1994 م) 10 / 54.

³ محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة الخبواب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005 م) 1 / 331_332.

⁴ ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1 / 199.

المحافظة عليها درجات عالية من الحيلة والحذر، كما يصاحب ذلك شعور دائم بالقلق والهم، إلى جانب الخوف من فقدانها أو تعرضها للخسارة، بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تسهم هذه الضغوط في قسوة القلب وتزايد الطغيان، كما قال الله تعالى: ﴿كَأَلَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا غَافِلٌ﴾ [العلق: 6، 7] فانفاقها يكون كرها لا طوعية، فيعذبون بما ينفقون، وأما الأولاد فقد يموتون بالجهاد في سبيل الله فيعقب ويؤول موتهم إلى الحزن والغم والندم، وقد يؤمنون فيحترق آباءهم عليهم غيظا، وكذلك إذا اكتسبوا في الآخرة فإنهم يعذبون إذا اكتسبوا الأموال من الحرام، أما إذا آمن الأولاد فإنهم ينجون من العذاب¹. ولشدة وقعهم في القلوب، فقد بين النبي ﷺ أنهم أخطر فتن على الإنسان، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره»².

3_التحاسد والتدابير والتباغض: إذا أعطى الله الأولاد للإنسان، فسيظهر له أهل الحسد، سواء كانوا من الأقرباء، أم ليسوا كذلك، وإذا دخل الحسد إلى القلب فإنه يجعله مظلما، حقودا على من يمتلك النعم، الحسد يحو الخير، ويحط مكانه الشر، والحسد هو من المضلات التي تصيب الإنسان، وكذلك التدابير والتباغض، فهذه من الأمراض التي تصيب الإنسان، فتجعله رهين الأفكار المظلمة، والتي تحرك الإنسان نحو الشر ونحو الفساد، كما حدث لإخوة سيدنا يوسف عليه السلام، حيث دب الحسد والبغض في قلوب اخوته، حتى في أبسط الأمور، وعندما رأى تلك الرؤية الصالحة قال له سيدنا يعقوب كما في كتاب الله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا.....﴾ [يوسف: 5] يقول جل ذكره على لسان يعقوب لابنه يوسف: "يا بني لا تقصص رؤياك، هذه على إخوانك، فيحسدوك فيكيدوا لك كيذا، يقول: فيغوك الغوائل، ويناصبك العداوة،

¹ ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 10/ 252، وينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي 3/ 1694.

² أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة 1/ 111، حديث رقم 525.

ويطيعوا فيك الشيطان ... إن الشيطان لآدم وبنيه عدو، قد أبان لهم عداوته وأظهرها ... فاحذر الشيطان أن يغري إخوتك بك بالحسد منهم لك، إن أنت قصصت عليهم رؤياك، وإنما قال يعقوب ذلك، لأنه قد كان تبين له من أخوته قبل ذلك حسداً¹.

قال يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام: "إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة أنّ أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدن له فقصّها على أبيه فقال له: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: 5] فيبغوا لك الغوائل ويحتالوا في إهلاكك؛ لأنهم يعلمون تأويلها فيحسدونك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾"².

فالحسد إذا خالج الأنفس فإنها تعمى عن الحكمة وعن الطريق الصحيح، فيصبح متخبطا في قراره وفي تصرفه.

أما بالنسبة للتباغض في حق المال فهو عدم إيفاء اليتيم حقه من الميراث، فمن آثاره على النفوس هو التباغض والتحاسد فيما بين الأسرة الواحدة، ومن آثار فتنة المال كذلك منع اليتيم من المال؛ لأن الإنسان يطمع دائما في جمع الكثير المال، وقد عبر الله عن هذا النهم والجمع (بجما) في قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20] ثم ليعلم أن "ترك إكرام اليتيم على وجوه أحدها: ترك بره، وإليه الإشارة بقوله: ولا تحاضون على طعام المسكين والثاني: دفعه عن حقه الثابت له في الميراث وأكل ماله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: وتأكلون التراث أكلا لما والثالث: أخذ ماله منه وإليه الإشارة بقوله: وتحبون المال حبا جما أي تأخذون أموال اليتامى وتضمونها إلى أموالكم"³.

4_ الغرور والتكبر والطغيان: من أهم آثار فتنة المال التي تهوي بالإنسان إلى مسترذل العواقب هو

¹ الطبري، تفسير الطبري 1 / 5.

² أبو إسحاق الثعلبي، تفسير الثعلبي 5 / 198.

³ أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 31 / 157.

التكبر والغرور والطغيان؛ لأن التكبر من الآفات المدمرة للإنسان، وإذا ما تسلط التكبر والغرور على الإنسان، لأن ذلك يجعله يطغى وينسى نعم الله عليه.

ولقد نبه الله تعالى المؤمنين على عدم الاعتزاز بما يملكون من مال، ولا يكونوا مثل المنافقين؛ لأن الأموال تصد عن طاعة الله، وتجعلهم يعرضون ويتكبرون عن الإيمان الكامل، ويعرضون عن أداء الفروض، فنهاهم الله تعالى أن يكونوا مثل المنافقين، بل عليهم أن يلهجوا بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، ويؤدوا ما فرض عليهم من العبادات¹.

ويضرب لنا القرآن الكريم مثلاً من الذين غرهم الحياة، وجعلتهم رهينة لشهواتها وملذاتها الفانية، ومهما اكتسب الإنسان من علم ومكانة، ومهما كانت لديه من الأموال الأولاد الوفيرة، فإذا لم يستعملها في طاعة الله تعالى ورضوانه؛ سيكون من الضالين الخاسرين الذين يُعدهم الله تعالى عن طريق الهدى، ويهوي بهم في مكان بعيد سحيق كما فعل بقارون قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: 76] أي: "بالكبر والتجبر والبذخ وكثرة المال ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ جمع المفتاح وهو ما يُفتح به ﴿لَتَنْوُوا بِالْعُصْبَةِ﴾ [القصص: 76] تُثقل الجماعة ﴿أُولِي الْقُوَّة﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ بِكَثْرِ الْمَاءِ وَلَا تَأْسُرْ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: 76] الأشرين البطرين ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: اطلبها بإتفاق مالك في رضا الله تعالى ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ لا تترك أن تعمل في دنياك لآخرتك ﴿وَأَحْسِنْ﴾ إلى الناس ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: 77] العمل بالمعاصي².

فبعد أن أعطاه الله تعالى من الأموال والأولاد الكثير، ذكروه قومه بأن لا تفرح ولا تتكبر ولا

¹ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 28/ 115.

² أبو الحسن الواحدي النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص 825.

تطغى، إن الله لا يحب الفرحين بمعصيته، وليكن لك نصيب من مالك لآخرتك، تنزود بها هناك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89]، ولا تنسى متاعك ونصيبك من الدنيا، وأحسن إلى الناس بعطائك، يحسن الله إليك في دنياك وآخرتك؛ لكنه رفض كل تلك الموعظة وتلك النصائح، التي وُجّهت إليه وطغى واستكبر واستعلا فقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: 78] على فضل علمٍ عندي وكنت بذلك العلم مستحقاً لفضل المال وكان أقرأ بني إسرائيل للتّوراة قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: 78] للمال منه ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 78] لأنهم يدخلون النار بغير حساب¹.

فكان جزاؤه قاسياً موجعاً؛ بسبب تكبره وعناده وسوء فعله وقبيح عمله، بعد أن كانوا ينصحونه وينبهونه على طمعه وعلى جبروته، قال الله تعالى في حقه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: 81] وهذا جزاء كل من تسول له نفسه أن يتكبر ويطغى على نعم الله تعالى، وقصة قارون، تتكرر دائماً في حياتنا اليومية، فكم من الناس، أعطاه الله المال؛ لكنه لم يستخدمه بما يرضي الله تعالى، فبدت أمواله تبور أمام عينيه وتتهالك؛ لأنه استعمل أمواله بما يُسخط الله عليه ويغضبه، وقصة قارون وقصة أصحاب الجنتين التي سبقت، هي ليكون المسلم على دراية كاملة بعاقبة الذي يتجرؤون على نعم الله بالطغيان والتكبر.

5_ الوقوع في الصفات الذميمة: التعلق الزائد عن حده في حب الأولاد يوقع الإنسان في الصفات الذميمة التي تبعده عما أراده الله تعالى من إقامة الأسرة وفق الضوابط الشرعية، والأولاد هم سبب في

¹ ينظر: المصدر السابق.

الحزن وسبب في البخل والجهل كما يقول النبي ﷺ: «إن الولد مبخله مجبنة»¹.

فقسم من فالأولاد من يفعل بكم ما يفعله الأعداء، من تعويقكم عن الذكر والطاعات، والولد مجبنة مبخله، وأي جرم أشد من الجبن، وأي إثم أخط من البخل، فالاحتياط من الانشغال عن الطاعات بالملذات، والحذر من الانشغال بحب الأولاد عن حب الله، والحرص على العبادات، فلا يجب على المسلم أن ينشغل عن الخالق².

والله تعالى يبين دائما، أن الأموال والأولاد فتنة والفتنة هي المحنة، والبلاء التي توقعكم في الإثم من حيث لا يشعر الإنسان³.

والتعلق بالأولاد يجر الإنسان إلى منعطفات خطيرة ويتعد عن لوازم الدين وضرورياته؛ لأن الأولاد يشغلوه عن كثير من الواجبات "وحب الولد قد يحمل الوالدين على اقتراف الذنوب والآثام في سبيل تربيته، والإنفاق عليهم، وتأهيل الثروة لهم، وكل ذلك قد يؤدي إلى الجبن عند الحاجة إلى الدفاع عن الحق، أو الأمة، أو الدين، وإلى البخل بالزكاة"⁴.

وكذلك هناك صفات يتخذها الوالدان، إذا أصاب ولدهم بمكروه أو موت. فيحملهم على الحزن الشديد، وكذلك التسخط على الله تعالى والاعتراض على قدر الله تعالى، وانجرارهم إلى المعاصي، كنوح بعض الأمهات وتمزيق الثياب، ولطم وجوههن، وعلى الجملة فالأولاد فتنهم أكثر من فتنة المال، فالرجل يكسب المال الحرام ويأكل أموال الناس بالباطل لأجل الأولاد⁵.

وما هذه الصفات والأفعال البعيدة عن منهج الإسلام، إلا لشدة تعلق الوالدان بأولادهم،

¹ سبق تحريجه.

² ينظر: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، أوضح التفاسير (د.م: المطبعة المصرية ومكتبتها، 1964 م) 1/ 692.

³ ينظر: محمد الخطيب، أوضح التفاسير 1/ 693.

⁴ محمد الأمين الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 10/ 389.

⁵ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 9/ 194_195.

وتمسكهم بهم، والغشاوة التي تسيطر على قلوبهم، لفرط حبهم وشغفهم بالأولاد، وهذا مخالف لما أراد الله تعالى.

6_ من آثار المال أكل الربا: إذا أعطى الله المال للإنسان فإنه يبحث عن طريقة لزيادته ونموه، وقد يحمله على فعل المحرم لكي ينمو ويزداد ماله، وهذا محرم في ديننا، فلقد أحل الله البيع ورحم الربا كما ربنا في كتابه: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275] ومن آثاره السيئة التي تصيب الإنسان بأكله للربا هو محق البركة، كما قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 276] أي: "يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا يَنْقُصُهُ وَيَذْهَبُ بَرَكَتُهُ"¹.

فمن آثار أكل الربا هو ذهاب البركة ومحق منفعته، فيرى الإنسان أنه يجمع الأموال الكثيرة؛ لكنه لا ينتفع منها في شيء، وتذهب يمنا ويسرة دون ذكر فائدة من أمواله. فمن يتجرأ على الربا فالله تعالى حذرهم، بأنهم يقعون في أكلها ويعبدون عن الصدقة، والربا يحق المال فلا تبقى في زيادة أو بركة، والواقع الذي نشاهده اليوم هو أننا نرى المرابي مبعوضا من الله تعالى والناس أجمعين، فلا أحد يعاونه ولا إنسان يعطف عليه، بل الكل يتربص به وشامت به وينتظرون سقوطه في الهاوية، وهذا كله بسبب الربا؛ فإنها تساعد في ضياع ونقصان المال².

ولم تقتصر الربا في آثارها على الفرد فحسب، بل لها آثارا وخيمة على المجتمع، من تضخم الأموال، والبطالة، والافتكالك على الغير، ويصبح في المجتمع غنى فاحش، ويقابله فقر مدقع، وهذا يسبب عدم موازنة للمجتمع.

ثالثا: فتنة الشهوات: ومن آثار هذه الفتنة ما يلي:

¹ الزحيلي، التفسير المنير 3/ 84.

² ينظر: محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 191.

1_ الفساد والابتعاد عن الله تعالى: إذا غطت الشهوات القلوب؛ فإنها تبعدنا عن الله تعالى، وتجعلها

مرتعا للفساد؛ لأن الشهوات تؤثر سلبا على قلوب وأفعال المسلم، ومع التزيين الذي يحصل للشهوات فقد

ذمها الله تعالى، حتى قيل "مَنْ رَزَيْنَهَا، مَا أَحَدٌ أَشَدَّ لَهَا ذِمًّا مِنْ خَالِقِهَا"¹.

والشهوات إذا تسلطت على القلوب، جعلتها مغلفة لا تفهم ولا تعي أوامر الله تعالى؛ لأن

الشهوات لها تملكها الخاص على القلوب، وتحكمها سلبا في حياة المسلم.

وإن الشهوات لغلبة سيطرتها تحوّل الأمور عن مسارها، لذلك قال الله تعالى: ﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾

[المائدة: 71] فهذا تشبيه حالهم في غلف قلوبهم واستيلاء وسطوة الشهوات عليهم، وعدم إدراكهم الحق

المبين بأنفسهم، وكذلك استماعهم للداعية بحال الأعمى الذي لا يبصر، ولا يسمع إلى من يدعو له ليسيّر

على الطريق الصحيح².

ولشدة فساد الشهوات في القلوب، فإن أعداء الإسلام يحاولون أن يميلوكم عن الطريق الحق،

وعن اتباع الطرق السليمة ويحاولون أن ييثوا المغريات بينكم لتقعوا في شباك الشهوات، التي تؤدي بالمسلم

إلى الضلال، فقد قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ....﴾

[النساء: 27] أي: أن الله تعالى يريد أن يرجع بكم إلى طاعته ويتجاوز عن آثامكم وذنوبكم، مما

استحللتم في الحرام بالجاهلية، وإتيانكم المعاصي، ولكن هؤلاء القوم لا يدعوكم عما يريد الله من مغفرة

الذنوب فهم يريد كما قال الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:

27] بمعنى يريد الذين يطلبون لذات الدنيا وشهواتها وهوى أنفسهم أن تميلوا عن ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى،

فتجوروا عنه بفعلكم لما حرم الله تعالى، وانغماسكم بالمعاصي فعبّر الله عنها فقال ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ ميل فيه

¹ الطبري، تفسير الطبري 6/ 243.

² ينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 5/ 2301.

جور وعدول شديد عما أراده الله تعالى¹.

فالأعداء يعلمون أن الشهوات إذا فشت بين المسلمين، فسيصبح مجتمعهم هشا لنا تحتطفه الأهواء والشهوات والشبهات من كل جانب، وهؤلاء الأعداء ومنهم اليهود والنصارى يريدون من المسلمين أن يفعلوا مثل أفعالهم.

حتى الزناة يريدون من أهل الإسلام أن يزنا ويميلوا عن الحق وعن قصد السبيل؛ فغايتهم هو أن يطمس نور الإسلام من القلوب².

ولا بد للشهوات من ضابط يضبطها كما أراد الله تعالى، فاطلاق الشهوات من كل قيد، وتحري اللذة وحدها في تصرفات الإنسان، تجعل الإنسان يهوي إلى نهايات سقيمة، ويحسب من يتبع الشهوات، أن هذا أمر مريح وسهل ومتعة، ولكنها في الحقيقة مشقة وجهد وثقل، وعواقبها في المجتمع، بل على كل فرد عواقب وخيمة مدمرة³.

فعلى حسب ظنهم أنهم يريدون أن يتمتعوا ويتلذذوا في الشهوات، ولم يعلموا أنها إذا استخدمت في نطاق واسع وتحرر كامل؛ فإن ذلك يؤدي إلى تفكك المجتمع واضمحلال النفوس وهزيمة الإنسان من الداخل " إن التمتع في واقع المجتمعات التي تخلصت من قيود الدين والأخلاق والحياء في العلاقات الإنسانية يكفي ليزرع الخوف في النفوس"⁴.

ولقد تحطمت الحضارات القديمة بمعول الشهوات، فقد تحطمت الحضارة الإغريقية، وتحطمت الحضارة الرومانية والحضارة الفارسية، وهذه الفوضى نفسها التي أخذت تحطم الحضارة الغربية اليوم، فقد

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 8/ 213.

² ينظر: أبو الحسن الواحدي، التفسير الوسيط 2/ 37.

³ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن 2/ 632.

⁴ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن 2/ 632.

ظهرت آثار التحطيم شبه الكاملة في انهيارات بعض الدول¹.

والأمة التي تسير خلف الشهوات ستصبح ضعيفة متهاكة؛ لأن الشهوات من المال والذهب والأولاد والحرث والمتاع والنساء، وغيرها إذا تعلق بها الإنسان تعلقا شديدا، سيخرج عن الطريق الصواب، وتعمى بصيرته عن أوامر الله تعالى، وواقعا اليوم يشهد بموج الشهوات التي تزيت لنا؛ بفعل الانفتاح الذي حصل، خاصة في الآونة الأخيرة، حتى طغت الشهوات على العقول والقلوب، وبات المسلم يتعد عن دينه رويدا رويدا، إلا من رده الله إليه مردا جميلا؛ بسبب الكم الهائل والحشد المتراكم من طرق الشهوات، والتي استخدمها أناس همهم الوحيد، هو انزلاق المسلمين في هاوية الرذيلة، وما نشاهده اليوم من انفتاح الإعلام وترويج الأفكار الدخيلة على الإسلام، يوضح قدر تغلل الشهوات في حياة المسلمين اليوم.

2_تبع الشهوات يوقع في العذاب: من اتبع طريق الحق وطريق الهدى نجى، من تبعات الإثم، ونجى من الهلاك والعذاب؛ لأن من لم يرتدع عن اتباع الشهوات والضلال فسيؤول تصرفه إلى الوقوع بالإثم جراء ما اقترفته يده، قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ...﴾ [البقرة: 81] أي: كل من أحاطت به خطاياه، وأخذت بجواب إحساسه ووجدانه واسترسل في شهواته، أصبح سجين آثامه، فسيكون جزاؤه النار، لما اقترفت يده بانغماسه في الشهوات، التي استوجبت العقاب².

والذين يتبعون الشهوات سيكونون من الذين يضيّعون أوامر الله تعالى، ويضيعون أهم ركن من أركان الدين ألا وهي الصلاة، فيترتب على ذلك العقاب من الله تعالى؛ لأنهم آثروا الملذات الفانية على

¹ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن 2/ 632.

² ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 1/ 153_154.

اللذات الباقية يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: 59] أي: فحدث من بعد الأنبياء الذين أنعمت عليهم، ووصفتهم في هذه السورة خلف سوء في الأرض أضاعوا الصلاة، ويتراكبون تراكب الأنعام الحمر في الطرقات، لا يخافون الله تعالى، ولا يستحيون من الناس، ولا يؤدّون لله فريضة وهم فاسقون قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى، فكان جزاء ما ارتكبوا من الذين أنعم الله عليهم من بعد الأنبياء سيدخلون واديا يسمى (غيا) قال الله تعالى: ﴿فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ وهو اسم من أودية جهنم، أو اسم بئر من آبارها¹.

إن من يضيع الصلاة فقد ضيع الدين؛ لأن الصلاة هي عماد الدين لذلك وصف الله تعالى إضاعتهم للصلاة، كناية ودلالة على إضاعتهم لأوامر الله تعالى كلها، وقد انغمسوا في الشهوات، ولم يردعهم رادع، فكان مآلهم العذاب والعقاب، فهؤلاء "الأشخاص الذين انحرفوا عن مسارهم الصحيح وأهملوا حقوق الشريعة، وتجاوزوا واجب الأمر بالمعروف، ومالوا عن سبيل الرشد، وأخلوا بأداب الدين، وانغمسوا في متابعة الشهوات، سيتعرضون قريباً لنتائج أفعالهم وسيتم معاملتهم وفقاً لما يستحقونه"².

فكل من حاد عن الطريق المستقيم، وطريق الهدى، فسيتبع طريق الذين فسدت أعمالهم بارتكابهم للشهوات، ويتبعون طريق الذين فسدت قواهم النظرية، حتى ضلوا عن الحقيقة، حتى استوجبوا غضب الله تعالى عليهم³.

ولقد أُنذر الله تعالى الناس بأن يتبعوا ما أنزل الله تعالى، ولا يكفروا ولا يحدوا بآيات الله تعالى، فقسم من الناس يوم القيامة يقرّوا بأن الرسل قد بلغوهم وأنذروا لقاء الله، وهذا اليوم كائن لا محالة، وقسم

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 18/ 215_217.

² عبد الكريم بن هوازن القشيري، تفسير القشيري 2/ 435.

³ ينظر: الرازي، تفسير الرازي 1/ 164.

من الناس من جحد وكذب قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ [الملك: 9]،

وخدعتهم الحياة الدنيا بزينة وزخرفها وملذاتها وشهواتها من الأموال والأولاد، وحب السلطة، ورفع

الجاه، ففرطوا في حياتهم ومعاشهم، وهلكوا بتكذيبهم الرسل، وانطار المعجزات، تكبرا وعنادا¹.

فكانت آثار الشهوات على الإنسان في الحياة الدنيا، هو الابتعاد عن منهج الله، والفساد في

الأرض، واتباع الرذائل، والبغي، وكذلك الظلم، ظلم الإنسان لنفسه، وظلمه للآخرين؛ لأن من يتبع

الشهوات؛ ستسيطر على عقله وقلبه وتجعله كالبهيمة السائبة، لا يأتمر بأمر ولا ينتهي بنهي قال الله

تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]. أي: أولئك الذين

تجاوزوا سنن الفطرة، وحدود الحاجة الطبيعية، في الأكل والشرب وجميع الحاجات، وصاروا عبيد

للشهوات، يسرفون على أنفسهم في كل ذلك إسرافا عظيما، وبسببها تتولد الأمراض، وهم يجاهدون هذه

الشهوات جهادا يفرطون فيه بحقوق البدن، ويقصرون في واجباتهم، الدينية والدنيوية، حتى أصبحوا

مفرطين بملذاتهم الفانية، ولو سلكوا مسلك القرآن لاستفادوا السعادة في معاشهم والاستعداد لمعادهم،

وأولئك هم الغافلون عما فيه صلاحهم في الحياتين².

فالشهوات كانت لهم حجابا يمنعهم من الاعتدال في شؤونهم كلها، في حياتهم وبعد انتقالهم من

هذه الحياة، وهذا يدعو الإنسان إلى استخدام الشهوات التي أعطاها الله للإنسان، بأن يستعملها في

حاجتها وعلى قدرها، ومن يستخدمها استخداما مفرطا ومجحفا؛ فسيخرجه عن الصواب وعن الطريق

القويم، الذي يجعل حياته كدرا وتعاسة وينقلب سوءا.

¹ ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 8/ 47.

² ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 9/ 115.

المطلب الثالث: مقارنة بين أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في آثار الفتن

الفرع الأول: الفتن الدينية: في هذا المطلب مقارنة بين رؤية المفسرين القدامى والمحدثين لآثار الفتن التي

ذُكرت آنفاً، فيبدأ الباحث بالفتن الدينية ومقارنتها بين القدامى والمحدثين وعلى النحو الآتي:

أولاً: فتنة الثبات على الحق: اختلفت آراء المفسرين القدامى والمحدثين في الآثار المترتبة من وقوع هذه

الفتنة على ما يلي:

1. رأي المفسرين القدامى في آثار هذه الفتنة:

أ. افتتان المؤمنين: وقد افتتن كثير من المؤمنين وممن اتبع الحق وثبت عليه، على مر

العصور والدهور، وهنا يضرب لنا القرآن الكريم مثالا لما حصل مع أصحاب الأخدود،

من فتنهم وعذابهم ليرتدوا عن الدين الصحيح فقد نالوا من العذاب والأذى والظلم ما

تشيب له الولدان؛ بسبب ثباتهم وقوة جأشهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: 10] أي: "حرقوهم بالنار وعذبوهم ثم لم

يتوبوا، فلهم عذاب جهنم في الآخرة، ولهم عذاب الحريق في الدنيا"¹.

ب. الخوف والاستضعاف: من آثار وضريبة الثبات على الحق، أن الذي يثبت على الحق،

فإنه معرضٌ للقهر والقمع من قبل أعداء المنهج الحق؛ وذلك لأن أهل الباطل لا يريدون

أحدا يترك ملتهم ومنهجهم العقيم؛ كما حدث لقوم موسى عليه السلام، فقد قال الله

تعالى حكاية عن قوم سيدنا موسى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى

¹ أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي، الهداية الى بلوغ النهاية 8183 / 12.

خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ.....»

[يونس: 83] أي: "يشير النص إلى أن أحد الأساليب التي يستخدمها فرعون لتشتيت المؤمنين وصرفهم عن دينهم هو تسليط أنواع من البلاء عليهم، ويُظهر النص أن فرعون يُعتبر طاعياً في الأرض، حيث يتمتع بسلطة وغلبة على من حوله، ويمارس القتل والتعذيب بشكل متكرر ضد من يعارضه، هذه الظروف هي التي تفسر حالة الخوف التي يعيشها المؤمنون في تلك الأوقات، كما يُفسر سبب إسراف فرعون بأنه كان من أذلّ العبيد، ومع ذلك ادعى الألوهية"¹.

ت. تحريف الحق إلى الباطل: من آثار فتنة الثبات على الحق أن اناسا عندما يسمعون الحق ويرون أن له اتباعا، يحاولون أن يحرقوا هذا الحق، ويصدوا من يتبع الحق ويشوهونه بشتى الطرق، وإذا ذكر التحريف ذكروا أعداء الله تعالى اليهود؛ فإنهم يحرفون كلام الله تعالى في كل العصور قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ.....» [البقرة: 75] أي: يمارس هؤلاء تحريفاً في "التوراة" التي أنزلت عليهم، حيث يغيرون معانيها، فيعتبرون الحلال فيها حراماً، والحرام حلالاً، والحق باطلاً، والباطل حقاً عندما يأتي إليهم من يطلب الحق، يخرجون له الكتاب مقابل رشوة، وإذا جاءهم من يسعى وراء الباطل، يقدمون له الكتاب أيضاً، حيث يجد فيه ما يوافقه، ولكن، إذا جاء شخص يسألهم عن أمر لا يتضمن حقاً أو رشوة، فإنهم يأمرونه بالحق"².

¹ الرازي، تفسير الرازي 17 / 289.

² الطبري، تفسير الطبري 2 / 246.

2. رأي المفسرين المحدثين في آثار هذه الفتنة:

أ. التمييز بين الصادقين والكاذبين: يختبر الله تعالى المؤمنين في صدق إيمانهم، فبعد أن

يرى أن الإيمان قد أخذ موقعه من القلوب، تأتي الفتن إليه ليرى الله تعالى صدقه من

كذبه، ويرى ثباته من زعزعته، وذلك ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال:

37]، وحادثة تحويل القبلة خير شاهد على هذا الأمر، حيث قال الله تعالى في كتابه

العزیز: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾

[البقرة: 143] أي: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فيما مضى، ثم أمرناك بالتحويل

عنها إلى الكعبة، إلا لتمييز الثابت على مبدأه وعلى إيمانه، من الذي لا يثبت، فهو

عرضة لرياح الفتن والشبهات، تترنح به كيف شاءت، وهذا الأمر هو اختبار من الله

تعالى للمؤمنين ليظهر صدق الصادقين، وريب المرتابين المتزعزعين، فيثبت من عرف

وفقه الدين وعرف حكمه تعالى، من الذين أخذتهم الشبهات تتخطفهم يمناً ويسرة،

ويتكلمون بغير فهم ولا روية، ومن خلال هذه المواقف يختبر الله تعالى ما في القلوب

بإلقاء الفتن عليهم لتمييز الصادقين من الكاذبين¹.

ب. صلابة المسلم على دينه: إن إظهار قوة المؤمن لإيمانه وصلابته مطلب قرآني، ليتأسى

به من كان ضعيفاً، وليرى أعداء الإسلام قوة ورباطة جأش المؤمنين أمام المصائب،

والتأريخ له مثل كثيرة على هذا الأمر، من ثبات أهل الإيمان في وجه الأعداء، وأمام

أقسى التحديات " لقد استمر هؤلاء في التمسك بدينهم رغم ما واجهوه من بلاء

وشدة حتى جاءهم نصر الله لذا، ينبغي عليكم - أيها المؤمنون - أن تكونوا على هذا

¹ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 7/ 2.

النحو، وأن تتحملوا الأذى والمشقة في سبيل الحق، لأن نصر الله قريب، فاستمروا في الصبر كما صبر أولئك لتنالوا النصر"¹.

ت. تحقيق الإيمان: كل شيء له ثمن وثمن الثبات على الحق، من أهم آثاره هو تحقيق الإيمان ورسوخه في القلوب، ويتبين لك عندما تحتاج المسلم الفتن، ليختبره الله تعالى في إيمانه وقوته وثباته. فإن صبر على الابتلاءات والمحن فهو صادق الإيمان، ويؤكد هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ﴾ [الحج: 11] وعندما يعرض للمسلم خوارق العادات، التي تخالف نوااميس الكون، فهنا سيظهر من هو صادق الإيمان، ومن هو مضطرب متحير في التصديق، وهل يؤمن بصدق النبي ﷺ؟ أم يراها غير معقولة؟².

3. مناقشة الآراء التفسيرية

بعد الاطلاع على أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في آثار وقوع فتنة الثبات على الحق، يرى الباحث أن كلا الآثار التي بينها المفسرون متقاربة متلائمة لآثار هذه الفتنة، ولكن يرى الباحث أن أقوال المفسرين القدامى أقرب إلى احتواء آثار هذه الفتنة، وبيان طرقها وتأثيرها على الفرد والمجتمع؛ لأن الثبات على الحق قد يضعف صاحبة ويفتن به، وبالتالي عندما لا يثبت على الحق يبدأ بتحريف الأقوال وفقاً لهواه.

ولقد ذكر المفسرون المحدثون لآثار هذه الفتنة آثاراً تبين النظرة الإيجابية لهذه الفتنة، دون التعرّيج على الآثار السلبية، والواقع أن هذه الفتنة يجتمع فيها آثاراً إيجابية وآثاراً سلبية،

¹ محمد الأمين المرعي الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 3/ 261.

² ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي 18/ 1106.

فالموازنة في بيان آثار هذه الفتنة أمر ضروري لكل طالب حق، فيميل الباحث إلى رأي المفسرين

القدامى في رؤيتهم لآثار هذه الفتنة.

ثانياً: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في

آثار وقوع هذه الفتنة كما يلي:

1. رأي المفسرين القدامى في آثار هذه الفتنة:

أ. **نفسي الجهل:** إن الجهل إذا فشا في المجتمع، يجعله هشاً تتخطفه الأفكار الزائفة وتبعده

عن دعوة الأنبياء، فبسبب الجهل تحبّط أقوالهم وأفعالهم تجاه الأنبياء. قال الله تعالى:

﴿إِنكُم لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: 8] فمرة يقولوا عن النبي ﷺ بأنه ساحر ومرة

مجنون، والعجيب أن الساحر عادة يكون في غاية المعرفة، والمجنون هو الغائب عقله عن

الإدراك، فتحيروا، وهذا التحير هو لجهلهم مكانة النبي ﷺ وتكذيبهم لدعوته¹.

ب. **التمحيص:** وهو من الآثار العظيمة لفتنة اتباع الأنبياء؛ ليرى الله تعالى أهل الصدق من

عدمه، ولتظهر معادن الناس، وتقبلهم لدعوة الأنبياء عليهم السلام، وهذه سنة الله

تعالى في خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل

عمران: 141] يعني: "المنافقين وليمحص الله الذين آمنوا بالبلاء ليرى صبرهم ويمحق

الكافرين يعني ويذهب دعوة الكافرين الشرك يعني المنافقين فيبين نفاقهم وكفرهم"².

ت. **الظلم والفساد:** الظلم والفساد من الآثار السلبية على المجتمع، بسبب صد الناس

لدعوة الأنبياء، فهم قد رفضوا المنهج الصحيح الذي يضمن لهم العدل والإنصاف في

¹ ينظر، أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3/ 342.

² مقاتل بن سليمان البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 304.

حياتهم، وإن إطاعة المجتمع للأنبياء فيها إصلاح للناس ولنفسهم ومعايشهم، وإذا تنكروا لدعوة الأنبياء عليهم السلام، فسيعم الجهل والخراب قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56] أي: "إن بعثة الأنبياء تعكس أثرًا عميقًا على الأرض وسكانها؛ فعندما يُطاع النبي، تتحقق صلاحية الأرض ورفاهية أهلها بينما تؤدي المعصية إلى الفساد في كل من الأرض وسكانها ولذلك، يُذكر التحذير من الفساد بعد الإصلاح، مما يعني أنه ينبغي تجنب الظلم الذي قد يسبب خراب الأرض، إذ إن استقامة الأرض تعتمد على العدل"¹.

2. رأي المفسرين المحدثين في آثار هذه الفتنة:

أ. وعد الله تعالى بالهلاك والدمار لمن صد عن دعوة الأنبياء: حيث ركز القرآن الكريم بالكف على عنادهم وحسدتهم، وقبولهم سريعاً دعوة القرآن، وبين لهم ألوان التعنيف والتوبيخ من الله وبلطف من الله وكذلك بلين القول ولكنهم يعاندون الحق، وقد كفروا وصدوا عن سبيل الله، وأرادوا مكراً وكيداً لأهل الإيمان، فاستحقوا بذلك التهديد والوعيد، وسيجازيهم الله تعالى على صنيعهم².

ب. الضلال والابتعاد عن الحق: ولقد أرسل الله تعالى الرسل ليبينوا للناس منهج الله تعالى، فكان الناس أمة واحدة، إلى أن تحركت فيهم الأهواء، ومع ذلك رحمهم الله تعالى، واستمرت الرسالات السماوية إليهم، وكلما ابتعدوا عن الحق وعن الفساد، أرسل الله

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 522.

² ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 4/ 24.

إليهم رسولا لينبه خلقه ويوقظهم من الغفلة، إلى أن جاء خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وصارت أمة النبي محمد ﷺ حارسة للقيم، التي تصون حركة الحياة؛ لأنه الله تعالى جعلها أمينة لكل الأمم، ومن يتولى عن دعوة الرسل قال الله: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 82] أي: أن الوعيد هو أن يحاسبه الله تعالى حساب الفاسقين، الذين خرجوا عن الطاعة، وهم بفسقهم يريدون منهج غير منهج الله تعالى ليحكمهم وهذا هو الضلال بعينه¹.

ت. التمييز بين المؤمنين والكافرين: إن من آثار فتنة اتباع الأنبياء وصددهم الناس، هو التمييز بين المؤمنين والكافرين، حيث تعرض عليهم دعوة الأنبياء، فقسم من الناس من يتبع الأنبياء، وقسم منهم من يحدد ويكفر بدعوتهم، وقد انقسم الناس أمام الدين والحق ودعوة الأنبياء إلى حزبين: الأول: حزب الله، الذين يمثلون لأوامر الله تعالى ويقفون عند نواهيه، ومنهجهم واضح وسليم، وعقيدة ثابتة فهؤلاء قال الله فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22]، والحزب الثاني: حزب الشيطان، ويشمل كل جماعة أو فرقة لا يتبع منهج الله تعالى، قال الله تعالى عنهم: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19] وهؤلاء أتباعه فرق كثيرة من أهل الباطل، من المنافقين والكافرين والملاحدة، كلهم من حزب الشيطان².

3. مناقشة الآراء التفسيرية

من خلال الاطلاع على أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في هذه الفتنة، يجد الباحث،

¹ ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي 2/ 949.

² ينظر: محمد رفعت زنجير، الأنبياء والرسل عليهم السلام ضحايا الظلم والعدوان ص2.

أن آثار هذه الفتنة بين القدامى والمحدثين هي آثار تكاملية، فقد بين القدامى آثارا من زاوية وبين المحدثون آثارا من زاوية أخرى، فأصبحت الرؤية واضحة ومتطابقة ومتلائمة مع هذه الفتنة، فلا يمكن أن نغفل أو نترك الآثار التي بينها القدامى، بالمقابل لا يمكن أن نتجاوز الآثار التي وضحتها المحدثون.

فهذا النوع من الفتن قد لاقت تعددا في الآراء، واختلاف وجهات النظر عبر القرون، فكل يرى آثارها من زاوية معينة، فيرى الباحث أن كلا أثرهما مقبول وصائب ويصعب الترجيح بينهما.

ثالثا: فتنة الشبهات: اختلفت أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في آثار وقوع هذه الفتنة كما يلي:

1. رأي المفسرين القدامى في آثار هذه الفتنة:

أ. ابتغاء الفتنة بين الناس: من آفات وآثار فتنة الشبهات أنها تبث الفتنة بين الناس، وتجعلهم في حيرة من أمرهم، وربما وجههم إلى هذه الشبهات من يريد النيل من منهج الإسلام فهؤلاء "يعاني بعض الأشخاص من انحراف في قلوبهم عن الحق، مما يدفعهم إلى اتباع الآيات المتشابهة في الكتاب هؤلاء يختارون الألفاظ التي تحتل تفسيرات متعددة، ويستخدمون هذا الاختلاف كوسيلة لإرباك أنفسهم وغيرهم، فيسعون إلى الاستناد إلى هذه التأويلات كذريعة للتمسك بأفكارهم الباطلة، متجاهلين الحق الذي أوضحه الله بوضوح في الآيات المحكمات من كتابه"¹.

ب. إرادة اللبس على نفسه وعلى الآخرين: من يتتبع الشبهات فإنه لا يضر نفسه فقط، بل يتعدى على غيره بسبب فهمه السقيم، وبسبب نتائج فكره المعوج فإنه لا يريد اتباع الحق بهذه المعاني بل يريد كما قال الله تعالى عنهم، ﴿ابتغاء الفتنة﴾ أي: "طلب الشرك ... وقال

¹ الطبري، تفسير الطبري 6/ 197.

مجاهد: ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم الزيف عن الحق"¹. ومن يتبع الشبهات فإنه يوقع نفسه في متاهات الآراء، بحيث يخالف بعضه بعضا، وذلك يؤدي إلى التقاتل والهرج والمرج، وهذه من الفتنة، ومن ثم بعضهم يتمسك بهذه الفتنة من البدعة والضلال فيصير مفتونا بذلك الباطل عاكفا عليه ولا ينقطع عنه، وهذه طريقة الزائغين عن الحق وذم الله تعالى طريقته ومنهجهم"².

ت. الضلال: تتبع الشبهات وإثارتها تبعد العبد عن المنهج الصحيح، وتؤدي إلى الضلال والفساد، وتوقع صاحبها في سقم الفهم، ودرك المعاني، قال الله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي: "فيتبعون ما تشابهت ألفاظه وتنوعت معانيه، بوجوه التأويلات، ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيف عن محجة الحق، وذلك تلبيسا منهم على من ضعفت معرفته بوجود تأويل ذلك وتصريفات معانيه"³.

2. رأي المفسرين المحدثين في آثار هذه الفتنة:

أ. تشويه صورة الاسلام: إن بعض الناس اليوم يشوهون ويثيرون المواضيع التي لا فائدة منها، ويكون من وراء هذا التشويش بلبلة بين المسلمين، وربما استمع بعض المسلمين إلى أصحاب النوايا الخبيثة الذين يثنون ويصدرون للمسلمين الحقد والحسد والتكابر عن الحق، ولا يهدأ لهم بال إلا بالكيد والدس، وإثارة الشبهات، وتثبيط القلوب والعزيمة"⁴.

¹ البغوي، تفسير البغوي 2/ 10.

² ينظر: الرازي، تفسير الرازي 7/ 145.

³ الطبري، تفسير الطبري 6/ 185.

⁴ ينظر: دروزة محمد عزت، التفسير الحديث 6/ 220.

ب. نشر الآراء والأفكار المنحرفة: قد ترد بعض الآيات فيها اشتباه بالمعاني، أنزلها الله

تعالى اختباراً للمسلمين، وربما ينتفع بها كل عصر بما يناسب عقولهم واطلاعهم

وثقافتهم، وربما لا يُفهم معاني هذا الآيات إلا بالرجوع إلى مخصصها أو إلى تقييد

عمومها، وتبين مجملها، حتى تكتمل صورة الآيات ويفهم المراد منها، ولكن أصحاب

القلوب الضعيفة "وأصحاب القلوب المريضة الزائغة، لسوء قصدهم يتبعون هذه الآيات

المتشابهات وحدها؛ ليشيروا الشبهات عند الناس، كي يضلّوهم، ولتأويلهم لها على

مذاهبهم الباطلة"¹.

ت. زعزعة الإيمان في نفوس الناس: ولقد افتتن الصحابة والمسلمون الأوائل في مسألة

تحويل القبلة، فكان في تحويلها امتحان واختبار قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا

عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: 143] ومعنى الآية: "أي: إن تحويل القبلة من بيت

المقدس إلى الكعبة يعدُّ أمرًا عظيمًا، ولكن هذا التغيير لا يؤثر على أولئك الذين أودع

الله في قلوبهم هداية راسخة ومطمئنة، لا تتزعزع بفعل الريب أو الشبهات التي يثيرها

المشككون"².

3. مناقشة الآراء التفسيرية

من خلال الاطلاع على آثار الفتن عند المفسرين القدامى والمحدثين، يجد الباحث أن

أقوال المفسرين المحدثين، هي أقرب للواقع اليوم؛ لأن الشبهات قد كثرت وبدأت تُشوّه

صورة الإسلام، وهناك جهات كثيرة لنشر شبهاتهم وأباطيلهم ضد الإسلام.

1 نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر 1/ 50.

2 محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 1/ 442.

وقسم من الناس من يتزعزع إيمانه وثوابته لتلك الشبهات؛ لأنه لم يتحصن جيدا بالعلم والمعرفة، فإذا أتت عليه هذه الشبهات، تحولت إلى قناعات، وهذا أمر خطير، وبناءً على ذلك، يمكن استنتاج أن اختيار المفسرين المحدثين لهذه الآثار يمكن أن يساهم في بناء مجتمع قوي ومتماسك يستطيع مواجهة التحديات الحديثة، والشبهات المثارة. فيرى الباحث أن الراجح في هذه الآثار هو آراء المفسرين المحدثين، لدلالة صور الواقع عليه، وتناسب الآيات في مضمونها على ما نمر به اليوم.

رابعاً: فتنة الاختلاف والتفرق:

1. رأي المفسرين القدامى في آثار هذه الفتنة:

أ. الفشل وذهاب الريح والقوة: من آثار فتنة الاختلاف والتفرق هو الفشل وذهاب القوة وهذه من الأمور التي تخص المجتمع بصورة عامة، إذ بإطاعة الله تعالى ورسوله، والتمسك بما جاء به الشرع الحنيف تكمن القوة والمنعة للمسلمين، أما إذا تنافر المسلمون وتفرقوا واختلفوا فستذهب هذه القوة وهذه الوحدة قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا.....﴾ [الأنفال: 46] أي: يقول الله تعالى للمؤمنين، أطيعوا ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عن، ولا تخالفوهم في أي شيء، حتى لا تنازعوا فتفشلوا، ولا تختلفوا فتتفرقوا وتختلف قلوبكم وتضعفوا وتجنبوا وتذهب قوتكم ويريحكم وبأسكم ويدخلكم الوهن والضعف والخلل¹.

ب. الاختلاف والتنازع سبب هلاك الأمم وذهاب الدول: التفرقة داء ينخر في جسد أي أمة، ولقد جاءت الآيات القرآنية تحث على عدم التنازع؛ حتى تبقى شوكة الاسلام

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 13/ 575.

قوية متينة، مبنية على أسس قوية وذلك لمنع اهتزازها وتضعضع الأواصر المتينة بين المسلمين، لذلك فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن عباس هذا الأمر فقال في تفسير قوله الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: 105] قال: "أمر الله عز وجل بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلكم بالمرء والخصومات في دين الله عز وجل"¹.

ت. التفرق والاختلاف سبب للذم ولحوق الوعيد: من يتجرأ على بث الفرقة والنزاع بين المسلمين فإن مصيره العذاب والخسران والبوار، ولقد نهى الله تعالى عن التفرقة حتى لا يقع أصحابها في العذاب الأليم فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105] قال: "افتترقت اليهود فرقاً والنصارى فرقاً، فنهى الله المؤمنين عن ذلك، ثم خوفهم فقال: وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يعني دائم لا يرفع عنهم أبداً، يعني الذين اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات، أي العلامات في أمر محمد ﷺ، وبيان الطريق، ثم بيّن منازل الذين تفرقوا، والذين لم يتفرقوا فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم"².

2. رأي المفسرين المحدثين في آثار هذه الفتنة:

أ. التعصب والتطرف: من الآثار الكبيرة التي تلقي بظلالها فتنة الاختلاف والتفرق، هي التعصب والتطرف، وهاتان الخصلتان توجداهما الظروف المحيطة لانتشار الفتن،

¹ عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 3/ 728.

² أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 236.

والتعصب والتطرف لها مسببات ولها آثار، وحيث وجد التفرق بين المسلمين وجد التعصب ووجد التطرف؛ ولم تكن تسلم الأمم الماضية من هذه الآفة المدمرة، فقد تفرقوا واختلفوا فنتج عن هذا التعصب والتشدد، التفرق والاختلاف، مما جعلت قوتهم تذهب أدراج الرياح، وكذلك تعرضت أمتنا مثل الذي طاهم من شرر هذه الفتنة وإن "تعتبر آفة المسلمين الأساسية هي التعصب الأعمى، الذي يؤدي إلى اعتبار الأمور الاجتهادية—التي منح الله لعباده حرية الاختيار فيها—من الأصول والعقائد الثابتة التي لا تحتمل الاجتهاد، هذا النوع من التعصب يدفعهم إلى التسرع في إصدار الأحكام على الآخرين واتهامهم بالكفر لمجرد اختلافهم في وجهات النظر الاجتهادية"¹.

ب. **التفرق والتحزب والانقسام:** نهى الله تعالى عن الاختلاف والتفرق الذي يسري في الأمة؛ لأن الأمة ستصبح متفرقة ومنقسمة إلى أشلاء وجماعات، لذلك جاءت الآيات محذرة من هذا الأمر الذي يهوي بالأمة إلى مستنقع الوهن والخراب، ولقد تفرقت الأمم الماضية كذلك فتشتت وضاعت وانقسمت إلى فرق وطوائف قال الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا﴾ [الروم: 32]. فاليهود كانت أمة واحدة مجتمعة على كتاب واحد، فزين لهم الشيطان فترفقوا وجعلوا لهم مذاهب وشيعة، وحرفوا الكتاب، وأضافوا عليه مما ليس فيه، فسلط الله عليهم الأعداء فمزقوهم، وهذا فعل أغلب أهل الملل؛ لأنهم زادوا على منهجهم وأنقصوا منه، فصعب عليهم تطبيق ما

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 16/ 10026.

فيه فضيعوه، فذهب الله بوحدهم واجتماعهم، ولم تنفعهم كثرتهم؛ لأن الأعداء قد تسلطوا عليهم¹.

3. مناقشة الآراء التفسيرية:

من خلال رؤية الآثار التي بينها القدامى والمحدثون، يرى الباحث أن كلا الآثار صائبة في آثار هذه الفتنة، فالمفسرون القدامى بينوا أثر هذه الفتنة على المستوى الاجتماعي، والمفسرون المحدثون بينوا آثارها على المستوى الاجتماعي والفردى، ويرى الباحث أن آراء المفسرين المحدثين أقرب لقضايا ونوازل العصر؛ لأن الاختلاف والتفرق، أدى إلى لحوق التعصب والتشدد، وأدى إلى وجود انقسامات وتحيزات بين المسلمين، لم تكن من ذي قبل، فمطابقة آثار هذه الفتنة لما يجري اليوم أقرب في تطبيقه على أقوال المفسرين المحدثين.

الفرع الثاني: الفتن الدنيوية: من خلال البحث عن آثار الفتن الدنيوية عند المفسرين القدامى والمحدثين، وجد الباحث أن هذه الآثار التي ذكرها المفسرون، فيها تقارب إلى حد كبير، وفيها تطابق لآثار هذه الفتن؛ لأن هذه الفتن من القضايا التي وجدت مع الإنسان، ولم يختلف آثارها بتغير الزمان، إلا الشيء القليل، فمن هذا المنطلق، لا حاجة لعمل مقارنة بين آراء المفسرين القدامى والمحدثين في آثار الفتن الدنيوية؛ لصعوبة التمييز بينهما.

¹ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2/ 115.

الفصل الرابع: أقوال المفسرين في طرق الوقاية وعلاجها من الوقوع في الفتنة

تمهيد

تتخطف الناس الفتن دوماً، فكان لابد من وقاية وعلاج لهذه الفتن، التي تحتاج المسلمين في كل وقت، وربما يحتاج المسلم إلى معرفة أسباب وقوع الفتن، ويمكن أن يرى أثرها على واقع الحياة، لكن لا بد له من معرفة كيفية وقاية نفسه ومجتمعه وأمته من مآهات هذه الفتن، التي تعصف بحياة الناس، إذ لو لم يهيا الله سبحانه وتعالى الوقاية والعلاج من هذه الفتن؛ لضل الناس وسلكوا طرقاً ملتوية، فتتجاذبهم الأهواء والأفكار والنزاعات والمنحدرات؛ فتجعل حياتهم جحيماً مرا غير مستساغة.

وقد يصل الأمر إلى انعدام الحياة في بعض منعطفات الفتن، التي تنتشر بين أوساط الناس؛ لأن الفتن إذا لم تتوقف وتعالج؛ فستطال الأفراد والمجتمعات، وتأثر سلبي على نفوس المسلمين وشخصيتهم، فتكون حياتهم عبثاً لا نفع فيها ولا جدوى؛ لكن من خلال الاطلاع على الفتن الموجودة، خاصة التي ذكرها القرآن الكريم، نجد أن الله تعالى أوجد للفتن وقاية ومخارج ونتائج وعلاجات، والتي من شأنها أن تحجم وتغلق أبواب هذه الفتن.

وعلى المسلم أن يشمر عن ساعده؛ ليعرف مخارج وعلاج هذه الفتن، التي تدخل حياته، وتكون سبباً في بعده ربه، وترديه في مسالك مهلكة، وتنوعت طرق الوقاية والعلاج عند المفسرين القدامى والمحدثين، في سبيل تحجيم الفتن، أو معالجتها علاجاً كاملاً، وقد بين المفسرون القدامى والمحدثون هذه الطرق؛ كي يسير المسلمون بطريق مستقيم تصلح فيه حياتهم وتسعد فيه نفوسهم.

المبحث الأول: أقوال المفسرين القدامى في طرق الوقاية وعلاجها من الوقوع في الفتن

الفتن إذا أطلت برأسها على المسلمين كان لازماً عليهم أن يبحثوا عن مخارج تنجيهم من هذه الفتن، حتى

يستطيعوا أن يسيروا في حياتهم بشكل متزن مستقيماً، ولقد بين الله تعالى في القرآن الكريم المخارج والوقاية والعلاج من الفتن التي تصيب المسلمين في حياتهم، فكان لكل فتنة علاج أو أكثر من علاج إذا اتبعها المسلمون؛ فإنهم ينجون من تبعات هذه الفتن ويكونوا في بر الأمان وتقل آثارها على الفرد والمجتمع، ولقد تنوعت أساليب المفسرين القدامى في طرح الوقاية والعلاج من الفتن، بين الترهيب والترغيب، وبين الشدة واللين؛ حتى يكون لكل فتنة العلاج المناسب لها، ويمكن تدارك هذه الفتن، بالسير وفق الخطوات التي وضعها المفسرون.

المطلب الأول: طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدينية

تتنوع طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن بشكل عام، ومن الوقوع في الفتن الدينية بشكل خاص، فكل فتنة لها وقايتها وعلاجها، وللمفسرين القدامى نظرات ولمحات من أجل الوصول إلى الوقاية والعلاج الناجح لكل فتنة، وهذه الفتن _ كما بينها الباحث سابقاً _ ما يلي:

أولاً: فتنة الثبات على الحق: وطرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة أمور عدة أهمها:

1_ الاستعانة بالله تعالى: إذا حطت الفتن رحالها على المسلمين، وخاصة في قضية الثبات على الحق كان أول أمر عليهم هو الاستعانة بالله تعالى من شر هذه الفتنة، التي تصيب المسلمين ولقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] فهنا بين الله تعالى أن يستعين العبد على طاعته، وقوله اهدنا هو أن يثبت الله تعالى على الهدى، فهو طلب من الله تعالى من العباد أن يثبتهم على ما ارتضاه لهم ووفقوا له ومن الذين انعمت عليهم من قول وعمل¹.

؛ لأن الاستعانة بالله أمر ضروري للمسلم؛ حتى يتجنب الولوج في الطرق المتعرجة، فطلب الاستعانة بالله تعصم المسلم في عدم الوقوع بالسبل الملتوية.

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 1/ 169 _ 171.

وإن الصراط المستقيم هو الذي ينتهي بصاحبه إلى الأمر المحمود؛ لذلك فإن العبد يسأل ربه أن يرشده إلى الثبات على الحق والذي ينتهي به إلى المقصود¹.

ومن لم يسأل الله تعالى الثبات على الحق يوشك أن يتزلزل ولا يثبت، فلاستعانة بالله تعالى هي المفتاح الأول للثبات على الحق في هذه الحياة، وهي بمثابة الدافع الأول لكي يثبت المسلم على مبدئه ودينه.

2_ معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به: الذي يريد أن يثبت على الحق عليه أن لا يغتر بما عند أهل

الباطل من مال وجاه ومنصب، فإن الثبات على الحق، والسير في طريق الله تعالى، وطريق القرآن نهايته عظيمة، ويكون في رعاية الله، ومسدد من عند الله تعالى؛ لذلك قال الله تعالى للنبي محمد ﷺ: ﴿لَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:

شَعْبَانَ مَتَّعَان] أي: "يحظر على النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يتطلع إلى ما أنعمنا به على فئات من الكفار، حيث يُحذر من التمني لما لديهم، وينبغي أن يتعد عن الانشغال بالدنيا ومنافسة أولئك الذين يتمتعون بها، كما يُوجه له بأن لا يحزن على ما فاته من مشاركة هؤلاء في متاع الحياة الدنيا"².

فالدنيا دار ممر لا مقر، فجاءت الآية بتصغير الدنيا في عين النبي ﷺ، حتى يتعد عن ملذاتها؛ لأن التمسك بالدنيا وزينتها تجعل الإنسان ينحرف عن الحق.

وكذلك قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا.....﴾ [آل عمران:

196] فلقد نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن الاغترار بضربهم في البلاد والسفر وإمهال الله تعالى لهم مع شركهم بالله تعالى وهذا الخطاب للنبي ﷺ ولأصحابه الكرام، حتى يكونوا بالحق صادعين وداعين له³.

¹ ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 18 / 1.

² البغوي، تفسير البغوي 3 / 65.

³ ينظر: الطبري، تفسير الطبري / 493.

فأهل الباطل يرتعون بالمال والملذات؛ لكنهم يحددون عن الحق والتمسك به، فكان الخطاب من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ولصحابته وأمته، أن لا ينغز أحد بما عند أهل الباطل، ومعرفة حقيقة باطلهم وجورهم؛ لأن من يملك الحق والثبات عليه، يهون عليه كل شيء في الحياة ويصغر كل شيء بعينه؛ لأن الحق ثمنه غالي.

ومن كان الحق معه كان قويا، مهما عصف به رياح الفتن ولن يتزلزل، ولقد قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94] أي: ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة، لا تكونن من الذي كذبوا بآيات الله فاثبت ودم على ما أنت عليه، من نفي الشكر والريية، ولا يصدنك عن آيات الله، بعد إذ أنزلت إليك، وذلك لزيادة الثبوت والعصمة¹.

فكان التثبت من عند الله بمثابة العلاج الناجع من أجل الثبات على الحق، وكذلك لمن ابتلي وأوذي في الله، عليه أن يستحضر الآيات التي تثبت الله بها نبيه محمدا ﷺ والأنبياء عليهم السلام؛ ليثبت ويستقيم على الطريق الحق وهو طريق القرآن وطريق الإسلام.

3_ الدعاء: من أهم وسائل الثبات على الحق، هو الدعاء من الله تعالى، وطلب التثبيت على الحق؛ لأن من لم يثبتته الله تعالى على الحق، فلن يثبت أحد عليه، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً.....﴾ [آل عمران: 8] أي: لا تملها عن الحق، وهم يطلبون من الله تعالى أن يصرف عنهم ما ابتلي به الذين زاغت قلوبهم، ويقولون يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك وطريقك المستقيم².

فكان السلاح الذي يدافعون به عن أنفسهم، هو الدعاء؛ لوقاية أنفسهم وعلاجها من عدم

¹ ينظر: أبو القاسم محمود الزمخشري، تفسير الزمخشري 2/ 370.

² ينظر: الطبري، تفسير الطبري 6/ 183_211.

الثبات على الحق، فهم يدعون الله تعالى أن يثبتهم على الطريق الصحيح، وهذا أمر المسلم، عليه أن يدعو الله تعالى في كل وقت، وخاصة وقت الفتن والحن، فالله تعالى سند لمن لا سند له.

ومن أكرمهم الله تعالى بالثبات على الحق ربما يستهويه الشيطان أو أن تميله الدنيا إلى ملذاتها وزخرفها، فجاء الدعاء للثبات على الهدى والحق، وهم يدعون الله تعالى أن لا يحول قلوبهم عن الهداية بعد هدايتها وثبتنا على الهدى إنك المثبت للمؤمنين¹.

فالدعاء هو العلاج الذي يضمن للمسلم، أن يثبت على الطريق الصحيح والطريق الحق، وقد سألت أم سلمة رضي الله عنها، ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت: فقلت: يا رسول الله ما لأكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: «يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ»².

ثانيا: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: وطرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة أمور عدة وهي كما يلي:

1_ الصبر على آذاهم في سبيل تبليغ الناس دعوة الأنبياء: لا بد لكل عمل من صبر يلزمه، حتى يكتمل هذا الأمر؛ لأن الصبر هو طريق الأنبياء، فعلى كل داعية للخير أن يتحلى به، فلولا الصبر لتساوى الناس بالأجور، فكيف إذا كانت هي دعوة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، فقد صبروا صبرا كبيرا، يعجز عنه ضعيفو الهمم؛ لذلك فقد مكنهم الله في أرضه ومن إقامة دينه، مع أن أقوامهم كذبوهم وآذوهم، يقول الله تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ: ﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا

¹ ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 195.

² أخرجه الترمذي، سنن الترمذي 5/ 538، باب ما جاء في عقد التسييح باليد حديث رقم 3522. قال الترمذي: وهذا حديث حسن.

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ» [آل عمران: 184] أي: "فالله تعالى يعزي نبيه ليصبر على تكذيبهم، فقد جاءوا بالبَيِّنَاتِ يعني الرسل جاءوا بالبينات، أي: من قبلك"¹.

فكل من جاء بالبينات وبالرسائل من عند الله تعالى نالهم الأذى من قبل الناس، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: 186] حين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181] ومن الذين أشركوا وكفروا هم مشركو العرب، فقد تعدوا باللسان والفعل على النبي ﷺ، وقيل نزلت في أبي بكر، فقد كان أهل الجاهلية يهددونه ويشتمونه ويقولون إن ما يفعله محمد ﷺ بمشاورته، فأمره الله أن يصبر على أذاهم، فقال ربنا وإن تصبروا وتتقوا هنا المكافأة فإن ذلك من عزم الأمور أي من حقائق الأمور والصبر من خير الأمور².

ولقد دعت آيات كثيرة إلى التحلي بالصبر من قبل الله تعالى لأتباعه ورسله، حتى يبلغوا الرسالة، ولكم عانى وقاسى الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، من أجل تبليغ الرسالة، ومن أجل هداية البشر إلى الخير والرشد، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز للنبي محمد ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: 60] أي: "ينبغي عليك، يا محمد، أن تتحلى بالصبر إزاء ما يأمر بك به ربك، وأن تقوم بتنفيذ الرسالة التي كلفت بها، بلغ قومك وكل من أمرت ببلاغه ما أنزل إليك من الوحي، وثق تمامًا في وعد الله لك بالنصر، سواء لك أو لمن آمن بك وصدق دعوتك، ضد أولئك الذين كذبوا بك وأنكروا ما جئت به من عند ربك، فاعلم أن وعد الله حق ولا يجوز أن يخلف، وهو وعد سيتحقق بلا شك"³.

فكان الصبر مفتاح النصر للأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، حتى يتمكنوا من نشر الدين

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 271.

² ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 271-272.

³ الطبري، تفسير الطبري 21/ 403.

القويم.

2_الحكمة والموعظة الحسنة: لقد دعا الله تعالى الأنبياء من خلال دعوتهم إلى الحكمة والموعظة الحسنة

وحسن الكلام، من أجل أن يقع ذلك في قلوب الناس، ويكون أمراً مقبولاً، ولقد نهي الله تعالى إلى عدم

التلفظ بالكلام البذيء لغير المؤمنين، فقال ربنا: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ [العنكبوت:

46] أي: يقول تعالى للمؤمنين به وبرسوله الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن،

فإذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم، يمكن أن يكونوا صادقين أو كاذبين، ولم تعلموا حالهم في

ذلك فقولوا لهم: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

[العنكبوت: 46]¹.

فهنا بين الله تعالى للمؤمنين بعدم التجاوز في الكلام مهما تجاوز أهل الكتاب عليكم، وهذا يدل

على حسن الخلق والتحلي بالخصال الحميدة، وحتى أعتى البشر غطرسة وقوة أوعز الله تعالى لبيه موسى

عليه السلام، أن يتلطف بالقول مع فرعون فقال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾

[طه: 44] أي: "يقول تعالى لموسى وهارون قولاً لفرعون قولاً لنا هيناً، لعله يتذكر ويراجع ويخشى الله

فيرتد عن غيه"².

وهذا غاية اللطف وغاية الإحسان، وهذا هو منهج الأنبياء عليهم السلام جميعاً مع أقوامهم،

ومهما تجاوز أعداء الأنبياء عليهم السلام، بقي الأنبياء عليهم السلام صامدين متحلين بالصبر وطيب

الكلام، فهذا نوح عليه السلام، يقول له قومه كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[الأعراف: 60] يعني: في خطأ واضح مبين فقال لهم سيدنا نوح بكل ثقة وهدهوء: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ

¹ الطبري، تفسير الطبري 20 / 48.

² الطبري، تفسير الطبري 18 / 313.

بِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الأعراف: 61] ففي الآية بيان وتحلي أدب الخلق وحسن

الجواب والخطاب لقومه؛ لأنه ردّ جهلهم بأحسن الجواب وهذا هو منهج أهل الإحسان¹.

وهذا سيدنا هود عليه السلام يقول له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سُقَاةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

[الأعراف: 66] فهو لم يقابلهم بالسفاهة والتعدي، بل قابلهم بالحلم والإغضاء ولم يزد على قوله: ﴿لَيْسَ

بِي سُفَاهَةً﴾ [الأعراف: 67] وهذا دل على ترك الانتقام².

لذلك فقد أثمرت دعوة الأنبياء عليهم السلام، وبلغوا رسالات ربهم على أكمل وجه وأحسن

حال، لما قدموا من توضيحات وصبر في سبيل دعوتهم، فينبغي على كل داع للخير وكل داعية لله أن

يتخلق بهذا الخلق الرفيع، وأن يترك حظه من نفسه بالتعدي بغلظ الكلام على من يقف في وجهه، من

أجل إيصال الخير لكل الناس.

3_المعجزات: وهي إحدى العلاجات التي تواجه الأنبياء عليهم السلام بعد أن يكذبهم أقوامهم هو

إظهار المعجزات، ففي إظهارها قوة لهم، وإلزام الحجة عليهم حتى يدخلوا في دين الله تعالى، وإن النبي

"يجب أن يكون لدى النبي آية ومعجزة تميزه عن غيره، حيث إنه في غياب هذه المعجزة لن يكون هناك ما

يرر قبول قوله على أنه أكثر مصداقية من أقوال الآخرين"³.

فكل نبي من الأنبياء عليهم السلام له معجزة تختلف عن غيره من الأنبياء عليهم السلام، حتى

تقام الحجة لمن خالفهم، ويثبتوا صدق نبوتهم، والشواهد على ذلك كثيرة.

فهذا سيدنا موسى عليه السلام، قد أوجس في نفسه خيفة منهم فأوحى الله إليه أن ألق عصاك،

فلما ألقاها صارت ثعباناً فاغرة فاها، فجعلت عصي السحرة تلتبس بالحبال، حتى صارت جزراً إلى

¹ ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 524.

² ينظر: أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 14/ 301.

³ أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 14/ 325.

الثعبان تدخل فيه، فلم يبقى من عصيهم شيئا إلا ابتلعت، فلما عرفت السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا كل هذا، لكنه أمر من الله تعالى، فنحن آمنّا به وبما جاء به موسى ونتوب إلى الله مما كنا عليه، فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه، وأظهر الله الحق وبطل ما كانوا يصنعون ﴿فَغَلَبُوا هَٰذَا وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 119] ¹.

فكانت المعجزة علاجا ناجحا في سبيل دخول الناس إلى الدين الحنيف، وفي سبيل إظهار الله تعالى لقوة أنبيائه عليهم السلام، فلو لم تكن لهم معجزات، لما صدّقهم أغلب الناس، فالناس يريدون شيئا ملموسا، حتى يُصدّقوا، فجاءت المعجزات لتكون هي العلاج بدخولهم لدين الله.

ثالثا: فتنة الشبهات: ومن طرق الوقاية والعلاج لهذه الفتنة أمور عدة وهي ما يلي:

1_ **تقوى الله تعالى:** من يتق الله تعالى فإن مغاليق الأمور تفتح أمامه، فكيف إذا كانت من الشبهات التي تعصف بدين المسلم، فالتمسك بتقوى الله تعالى يخرج الإنسان من التيه والضياغ إلى الحقيقة والبرهان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الأنفال: 29] يعني: إن تطيعوا الله ولا تعصوه، ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29] يعني: يجعل لكم مخرجا ونجاة ونصرا وفرجا في الدنيا، ويخرجكم من الشبهات، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويمحوا عنكم ذنوبكم ².

فالذي يتمسك بتقوى الله تعالى، يجعل الله تعالى له نورا وهداية وتفريجا للكربات والشبهات التي تحيط بالمسلم، ويجعل المسلم في حياته يقف على الطريق الصحيح الذي لا عوج فيه ولا خلل.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الأنفال: 29] أي: تقوى الله تعالى بطاعته، وترك معاصيه، واجتناب خيائته، فهذه التقوى وهذا الابتعاد عن المعاصي والآثام يوصل العبد إلى

¹ ينظر: أبو الفداء بن كثير، تفسير ابن كثير 5/ 290.

² ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 17.

المخرج قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي مخرجاً في الدنيا والآخرة، وقال مقاتل بن حيان: مخرجاً لكم في الدين ومن الشبهات¹.

فالشبهات التي تمر على الإنسان لا بد لأول أمر أن يقوم به المسلم هو تقوى الله تعالى؛ لأن التقوى هي نجاة وفوز من كل هم وكرب ومن كل شبه.

2_ التمسك بالقرآن الكريم: القرآن الكريم حبل الله المتين، من تمسك به نجى ومن اعتمد عليه فاز، ومن جعله نصب عينيه لم يخب، فيه دواء الأسقام والشفاء من العلل والأكدار، فالقرآن: "بَيَانٌ مِنَ الضَّلَالَةِ لِلنَّاسِ ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى﴾ [البقرة: 185] وواضحات ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِنَ الشُّبُهَاتِ"².

والقرآن الكريم فيه الشفاء الكافي لمن تمسك به، وفيه الأمر الواضح الذي لا إشكال فيه، فقد جاء بينات لكل ضائع وتائه "وجاءكم بينة أي: ما فيه البيان وقطع الشبهات ... هو النبي، والقرآن، والهدى، والبيان، والنعمة"³.

فهذه الصفات التي يتميز بها القرآن والتي لا حد لها، هي التي تخرج المسلمين من ظلم الشبهات إلى نور الإحكام والثبات، وتزيل عنهم ما تشابه وما أشكل عليهم.

والله تعالى قد أوضح الدلائل وأزال الشبهات في كتابه الكريم⁴. وإذا كان في القرآن شيء فيه تشابه أو متشابه فقد بين الله تعالى أن يردوه إلى الله وإلى رسوله، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: 103]، فقد بين هنا الإمام السمرقندي عن هذه الآية فقال: يعني ما اشتبه عليكم

¹ ينظر: أبو إسحاق الثعلبي، تفسير الثعلبي 76 / 13.

² مجد الدين الفيروزآبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص 25.

³ جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير 95 / 2.

⁴ ينظر: أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 172 / 7.

فردوه وأرجعوه إلى كتاب الله تعالى مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

وَالرُّسُولِ﴾ [النساء: 59] تشبه حياة الإنسان في هذه الدنيا بشخص وقع في بئر تحتوي على أنواع

متعددة من الأذى، حيث لا يمكنه النجاة منها إلا بواسطة جبل متين وقوي، فالدنيا تمثل دار اختبار

وتحمل مختلف أشكال البلاء، ولا يمكن للفرد أن ينجو من هذه المحن سوى بالتمسك بجبل قوي، وهو

كتاب الله تعالى¹.

فالقُرآن حجة الله تعالى على خلقه، فيه علاج لكل الفتن والشبهات، من أمور الدين والدنيا،

وهو يفسر بعضه بعضاً ويبين بعضه بعضاً فما أشكل في مكان، يتضح في مكان آخر؛ ليزيل اللبس وسوء

الفهم عن المسلم الطالب للحق، وفيه سعادة الإنسان، فمن ابتعد عه شقي ووقع في الحرام والشبهات.

3_ الرجوع إلى العلماء: العلماء هم الشعلة التي تنير للناس طريقهم، فهم أعلم الناس بشريعة الله تعالى،

وهم أعلم الناس بالحلّال والحرام، وإليهم يَفْزَعُ المسلمون عند حلول الأزمات والمشكلات والشبهات، فقد

أفنوا حياتهم في سبيل تعلم العلم ونشره، فهم أدرى الناس بطرق الشبهات، التي تصيب الفرد والمجتمع، وقد

مدحهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] وقد وجه الله تعالى

عباده إلى العلماء عندما يطرأ عليهم طارئ، أو يحتاجون إلى تبين الأمور والمشكلات التي تصيبهم فقال

الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43] وأهل الذكر هم العلماء، والعلماء

كل له مجاله وتوجهه فالعلماء بالأحكام اليهم الرجوع في الاستفتاء من قبل العوام، فمن أشكل عليه شيء

من أحكام الشريعة من الأمر والنهي يرجع إلى الفقهاء، ومن اشتبه عليه شيء يرجع إلى العلماء².

فالعلماء مرجع لكل ملمة ولكل معضلة تواجه الناس، وقد خصّهم الله بمعرفة التأويل على رأي

¹ ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 235.

² ينظر: عبد الكريم بن هوازن القشيري، تفسير القشيري 2/ 299.

جماعة من العلماء وأنهم مشمولون بتأويل كلام الله "فقد روي عن ابن عباس أن الراسخين معطوف على اسم الله عز وجل، وأنهم داخلون في علم المتشابه، وأنهم مع علمهم به يقولون آمنا به"¹.

مع أن قسم من العلماء، لا يدخلون العلماء بمعرفة التأويل مع الله، بل يقفون على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7] يقفون على لفظ الجلالة، ويقولون بأن الذي يعلم التأويل هو الله جل جلاله فقط، وبيان الكلام في صدد هذه الآية وإفصاح معناها: فقد "احتج قائلو هذه المقالة أيضا بأن الله سبحانه مدحهم بالرسوخ في العلم، فكيف يمدحهم وهم جهال"².

فقد قرن الله تعالى معرفة التأويل بمعرفة العلماء الراسخين الذين لهم يد السبق في معرفة تفاصيل ودقائق الأمور، ومعرفة دواخل وخوارج الشريعة؛ ولأن "الراسخين في العلم لو كانوا عالمين بتأويله لما كان لتخصيصهم بالإيمان به وجه، فإنهم لما عرفوه بالدلالة، فلا يكون في الإيمان به مزيد مدح"³.

فبعد أن بانَت مكانتهم ووضح علمهم، وارتفع شأنهم، كانوا جديرين بمعرفة الشبهات وحلها وعلاجها وانطفاءها، وذلك لرسوخهم في العلم، ومعرفتهم الواسعة بالشرعية الغراء.

رابعا: فتنة الاختلاف والتفرق: تنوعت طرق الوقاية والعلاج لهذه الفتنة على أمور عدة:

1_ التمسك بدين الله تعالى: إن التمسك بدين الله تعالى يعصم الإنسان من الفتن عموما، ومن فتنة الاختلاف والتفرق على وجه الخصوص؛ لأن فيه النجاة والهداية، وفيه السبيل للتعامل مع هذه الفتنة والتي قد يتطير شررها فيضر بذلك الأفراد والمجتمعات؛ لذلك جاءت الآيات تحث وتنبيه وتدعو لهذا الأمر، وتدعو للتمسك والاعتصام بدين الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964 م) 4/ 17.

² القرطبي، تفسير القرطبي 4/ 17_18.

³ أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 2/ 252.

[103] أي: تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدين وشريعة الله تعالى الذي أمركم به، وتمسكوا بعهده

الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأوامر الله تعالى¹.

فالتمسك بكتاب الله تعالى والاعتصام به، يقي المجتمعات من الانحراف والانجرار وراء الاختلاف

والفرقة، التي قد تؤدي إلى ضياع الدين والمجتمع، وقد أراد الله تعالى من عباده أن يتمسكوا بالقران الكريم.

فقد قال ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ [آل عمران:

[103] أي: حبل الله، وجاء في الخبر القران حبل الله ممدود طرفه بيد الله وطرفه الآخر بأيديكم².

فمن أراد أن ينجو من الاختلاف والتفرق فعليه أن يعتصم بالله تعالى وبالقران الكريم، وقد

جاءت الآيات الكثيرة التي تدعو إلى التثبيت بكتاب الله تعالى، والالتفاف حوله، وتُسمي القران بالاعتصام

"إن الاعتماد على ما أُوحِيَ في الدين يُعدُّ وسيلةً للنجاة من عقوبات الآخرة ومصائب الدنيا، تماماً كما

يُعتبر التمسك بحبلٍ متينٍ سبيلاً للخروج من مخاطر الغرق والحن"³.

فكان الاعتصام بالقرآن وبدين الله هو العلاج من الوقوع في فتنة الاختلاف والتفرق.

2_ نبذ الفرقة والتمسك بالوحدة: من تمسك بالجماعة ولزمها نجى من فتنة الاختلاف والتفرق؛ لأن من

كان وحيداً منفرداً في شؤونه تحتطفه الحيرة، وينساق إلى طرق ملتوية تبعده عن جادة الطريق، وربما يختلف

مع غيره على أبسط الأمور، لذلك فقد حذر الله تعالى عباده من الفرقة ودعاهم إلى التمسك بالجماعة،

فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ "عن دين الله الذي أمر فيه بلزوم الجماعة"⁴.

فالجماعة تضمن عدم الانحراف وراء الأهواء ووراء التشردم والفرقة، وقد نهى الله تعالى عن عدم

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 7 / 70.

² ينظر: أبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني 1 / 345.

³ أبو الله الرازي، تفسير الرازي 2 / 262.

⁴ أبو الحسن علي بن محمد بالماوردي، تفسير الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)

414 / 1.

التنازع والشقاق فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ [الأنفال: 46] "مَعْنَاهُ: وَلَا تَخْتَلَفُوا فَتَضَعُفُوا
﴿وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ﴾ [الأنفال: 46] مَعْنَاهُ: جَدَّكُمْ وَجَهْدَكُمْ"¹.

فمن ترك النزاع والشقاق والخصومات نجى من الفرقة والاختلاف، ومن يتبع الشقاق والنزعات
العرقية والطائفية، فهو يهوي في مكان سحيق، وقد جاء الإسلام ليوحد القلوب ويوافق الآراء وينبذ
الاختلاف، وفي نفس الوقت هو يدعو إلى تماسك الصفوف وإقامة الدين قال الله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا
الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13] فقد "أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف،
وأخبرهم أنه إنما هلك مَنْ كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله"².

لأن المراء والجدال والخصومات تضعف كيان الجماعات، وتضعف كيان الأمة، وتتشعب الآراء،
ويكثر النزاع، وربما يصل الأمر إلى التقاتل، كما حصل في العراق وسوريا وغيرها من البلدان، وما سبب
ذاك، إلا بكثرة الخصومات وبث الفرقة بين المسلمين؛ لذلك فقد دعا الله تعالى عباده على التمسك
بالطريق المستقيم لينجوا من مآفات وعواقب الاختلاف والتفرق "وأمركم بالوفاء به، هو صراطه يعني:
طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يعني: قويمًا لا اعوجاج به عن الحق ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يقول:
فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهجًا تسلكونه، فاتبعوه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يقول: ولا تسلكوا طريقًا
سواه، ولا تركبوا منهجًا غيره، ولا تبغوا دينًا خلافاً"³.

فاتباع السبل كفيل بتفرق الأمة، واتباع الطريق المستقيم هو العلاج والحل لفض النزاعات والخصومات بين
المسلمين.

3_ الإصلاح: إذا حصلت الفرقة والاختلاف بين طرفين، وجب على المؤمنين الإصلاح بينهم؛ لأن

¹ أبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني 2/ 270.

² الطبري، تفسير الطبري 12/ 230.

³ الطبري، تفسير الطبري 12/ 228.

المؤمنين إخوة كما أخبر بذلك الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] ولا خير في كلام كثير إذا لم يصب في مصلحة المسلمين وإحدى هذه المصالح هو الإصلاح قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114] أي: لا خير في كثير من نجوى الناس جميعا إلا من أمر بصدقة أو معروف، والمعروف هو كل ما أمره الله أو ندب إليه عباده من أعمال البر والخير والإصلاح هو بين المتباينين المتخاصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما ويكون الإصلاح بالتراجع إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، على ما أذن الله وأمر به¹.

فكان لزاما على المؤمنين إن حصل بين الفريقين قتال، أن يتدخل أهل الإصلاح لحل النزاع والاختلاف؛ لأننا أمة التوحيد، توحيد الكلمة وتوحيد الصفوف، والإذعان لله وحده، فإذا لم يقم أهل الإصلاح بالصلح، يخشى على كل من اقتتل أن يقضى على المسلمين وتضعف قوتهم وينال الأعداء منهم، ويصبحوا قلة مستزلة، ولكن جاءت الآيات الكريمة تحض على الإصلاح بينهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 9] كانت هذه الآية خاصة فصارت في عامة لجميع المسلمين يعني: إذا اقتتل فريقان من المسلمين، وجب على المؤمنين الإصلاح بين الفريقين، فإن ظهر أحد الفريقين أنه ظالم، فإنه يقاتل ذلك الفريق حتى يرجع إلى حكم الله، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ أي: رجعت إلى الصلح فأصلحوا بينهما بالعدل، يعين بالحق، وأقسطوا، يعني اعدلوا بين الفريقين، ولا تميلوا على أحد، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يعني: العادلين².

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 9/ 201_202.

² ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 3/ 326.

والاصلاح بين الناس إذا اختلفوا له أجر كبير، وعطاء جزيل من الله تعالى، لما فيه من تأليف القلوب وإزالة الشحناء، وصفاء القلوب، ووحدۃ المسلمين.

المطلب الثاني: طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدنيوية

بيّن المفسرون القدماء طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدنيوية، فكان لكل فتنة أكثر من علاج؛ ليتمكن المسلم من تطبيق هذه العلاجات في حياته؛ وللتخلص من هذه الفتن بطرق متنوعة وهذه الفتن هي:

أولاً: فتنة الأولاد **ثانياً: فتنة المال:** الأولاد والمال هما عصب الحياة وفيهما مخاطر للإنسان في حياته، فإذا لم يتدارك نفسه وقع في ما نهى الله عنه بسببهما، لذلك كان لابد للوقاية منهما وطريقة لعلاجهما؛ ليكون المسلم على دراية وعلم بهذه الفتنتان وطرق الوقاية والعلاج تكمن أمور عدة وهي كما يلي:

1_حسن تربية الأولاد: تربية الأولاد تحتاج إلى صبر ومشقة ومواصلة، حتى يخرج الأبناء بتربية صالحة، وهذه التربية تكون فيها مشقة على الوالدان، فبعد أن بين الله تعالى أن المال والأولاد من الفتن في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] أردف قائلاً بعدها وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] حيث يقول تعالى: أي اعلموا أن الله عنده الخير والثواب العظيم، على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم في أموالكم وأولادكم، التي اختبركم بها في الدنيا، وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها، تناولوا الجزيل من الثواب في معادكم¹.

فقد بين الله تعالى أن تربية الأبناء ومداواة الأموال فيهما مشقة وتعب؛ لذلك فإن الله تعالى جعل لمن صبر عليها وأدى الذي عليه فيها أجوراً عظيمة؛ وذلك لما يقاسي الوالدان من تعب التربية والضنك

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 13/ 486.

من أجل التربية الصالحة.

لذلك يذكر الله تعالى تربية الولدة في تعبها ومشقتها وسهرها ليلاً ونهاراً، ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه، كما يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24] ولهذا قال الله تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14] أي: فلاني سأجازيك على ذلك أوفر الجزاء¹.

فيحتاج الأولاد إلى مشقة وإلى تحمل من أجل أن يكون لهم حظاً كبيراً من التربية الصالحة، والوالدان مثل الحارسان على أولادهم، يحرسان الأولاد من كل ما يؤذيهم من شرور الدنيا وكذلك من شرور الآخرة. فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6] أي: يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله ورضاه وينهاهم عن الوقوع في المعاصي، وأن يقوم عليه بأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها².

فالوالدان عليهما عبئ كبير ومواصلة شديدة من أجل أن يكون الأولاد في مأمن من سوء الدنيا والآخرة.

2_عدم الحرص على المال والأولاد والمحبة الشديدة لهما: الحرص الشديد على الأولاد والمال يقع صاحبها في الحذور؛ لأنهما فتنة كما أخبر الله تعالى عنهما، ولذلك فقد بين الله تعالى، أن من يتق هذه الفتن ويبعد شرورهما فإن له فيهما أجراً عظيماً قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: 15] أي: والله عند الثواب العظيم لكم، إذا أنتم خالفتم أولادكم في طاعة الله عز وجل، وأطعتم الله عز وجل، وأديتم حق الله في أموالكم، والأجر العظيم الذي عند الله وهي الجنة³.

فالحرص الشديد على حبهما والتعلق بهما له أضرار جسيمة على الإنسان؛ لأن التعلق بهما يقع

¹ ينظر: أبو الفداء بن كثير، تفسير ابن كثير 6/ 336.

² ينظر: الطبري، تفسير الطبري 23/ 492.

³ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 23/ 426.

الإنسان في عدم تحري الحلال والحرام في حياته، فكان لابد من ضبط التعلق بهم والحب لهم " إذ إن الدافع وراء الانغماس في الخيانة غالبًا ما يكون مرتبطًا بشغف الإنسان بالأموال والأبناء، فقد أشار الله تعالى إلى ضرورة أن يتوخى العاقل الحذر من الأضرار الناجمة عن هذا الشغف، فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] لأنها تشغل القلب بالدنيا، وتصير حجابًا عن خدمة المولى"¹.

فالمال والأولاد من الفتن التي تغري صاحبها في الدنيا، وربما يغفل عنهما فتوقع صاحبها في الحرام، قال ابن عباس رضي الله عنه: "لا تطيعوهم في معصية الله تعالى وفتنة أي بلاء وشغل عن الآخرة، وقيل: أعلم الله تعالى أن الأموال والأولاد من جميع ما يقع بهم في الفتنة وهذا عام يعم جميع الأولاد، فإن الإنسان مفتون بولده لأنه ربما عصى الله تعالى بسببه وباشر الفعل الحرام لأجله، كغصب مال الغير وغيره: الله عنده أجر عظيم"².

فمن خلال النظر في الآيات القرآنية التي تدعو إلى عدم الحرص الشديد على المال والأولاد، يتبين أنهما من الأمور التي ينبغي على المسلم أن يكون حذرًا ومتيقظًا منهما؛ لكي ينجو من شرر فتنتهما ومن الانغماس في غرورهما.

3_ الصبر على أذاهم: الأولاد هم فتنة للإنسان ويكونوا عطاء ورحمة في نفس الوقت، فالحفاظ عليهم ومداراتهم، لابد أن يكون محفوفًا بالصبر والعناية والتحمل؛ لذلك فقد بين الله تعالى أن يكون التعامل مع الوالدان عن طريق الإحسان الذي هو أعلى مراتب التعامل مع الناس، فقال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: 83] فقد أوجب الله تعالى الإحسان معهما، وإنما أثني بهذا التكليف؛ لأن أعظم النعم

¹ أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 15 / 475.

² أبوعبد الله، تفسير الرازي 30 / 556.

على الإنسان نعمة الله ويتلوها نعمة الوالدين؛ لأن المؤثر الحقيقي في وجود الإنسان هو الله تعالى، وفي الظاهر هما الأبوان ونعمتهما على الإنسان عظيمة، وهي نعمة التربية والشفقة والحفظ من المكاره والضياع، والهلاك وقت الصغر¹.

فهذه الأمور كلها تحتاج إلى صبر ومجادة، من أجل بقاء الأولاد على طريق مستقيم، لا تأخذهم متاهات الحياة بعيدا في طريق الضياع، وفي نفس الوقت تركهم وعدم تحملهم له أبعاد مدمرة على الإنسان، ويكونوا أعداء، وينصّ القرآن الكريم أن الأولاد والمال هم أعداء للإنسان فلا بد أن يصبر عليهم ويتحمل آذاهم وهذا "يدل على أن الأموال والأولاد كلها من الأعداء وإن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم يدل على أن بعضهم من الأعداء دون البعض، فنقول: هذا في حيز المنع فإنه لا يلزم أن يكون البعض من المجموع الذي مر ذكره من الأولاد يعني من الأولاد من يمنع ومنهم من لا يمنع، فيكون البعض منهم عدوا دون البعض"².

4_ الانفاق في سبيل الله تعالى: وهذا العلاج خاص بالمال الذي يعطيه الله تعالى للعبد، فعلى الإنسان أن يتخلص من هذه الفتنة، ولا تأخذه إلى نواحي يكون المال في ضرر على صاحبه، وأن ينجو بنفسه من البخل والشح، بالتصدق والإنفاق في سبيل الله تعالى، فالمال سلاح ذو حدين وحب المال "أحيانا يكون الهدف من استخدام المال هو التفاخر والتكبر على من هم أضعف، والتسلط على الفقراء، وهذا يعتبر سلوكا مذموما وفي أوقات أخرى، يُستغل المال في أعمال الخير كالتبرعات وصلة الرحم ودعم الأقارب، وفي الإنفاق على أعمال البر والطاعات، وهذا سلوك محمود ومستحب شرعا"³.

والمال علاج لصاحبه من النار والهلاك، فهو يصد النار بإنفاقه وصدقته عن نفسه، قال الله

¹ ينظر: أبو عبد الله، تفسير الرازي 13/ 178.

² أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 30/ 557.

³ أبو الفداء بن كثير، تفسير ابن كثير 2/ 19.

تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ [التغابن: 16] يقول: "وأنفقوا مالا من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من عذاب الله، والخير في هذا الموضع المال"¹.

ولقد أعطى الله المال للإنسان؛ ليقضي فيه حوائجه، فإذا تمسك بالمال وبخل بإنفاقه، وخاصة الزكاة، كان هذا المال نقمة ووبالا وعذابا لصاحبه، فجاءت الآيات الكثيرة تحث المسلمين بالتصدق في سبيل الله، وهذه من أهم الخطوات التي يخطوها الإنسان من أجل أن يكون في مأمن من الخسران والوبار.

ثالثا: فتنة الشهوات: وعلاج هذه الفتنة تكمن في أمور عدة وما يلي:

1_ **غض البصر عما حرم الله تعالى:** من العلاجات الناجحة في سبيل تهذيب الشهوات والوقاية منها هو عدم اطلاق البصر وغضه عما حرم الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ.....﴾ [النور: 30] أي: يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ قل للمؤمنين بالله وبك أن يغضوا من أبصارهم ليكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه من الحرام، ويحفظوا فروجه من أن يراها من لا يحل له رؤيتها، ذلك أزكى لهم، فإن غض البصر عما لا يحل رؤيته إليه، وحفظ الفرج عن أي يظهر لأبصار الناظرين هو أظهر لهم عند الله وأفضل².

فالنظر إلى ما حرم الله تعالى، يبعد الإنسان عن لذة القرب منه عز وجل، ويفقد المسلم لذة العبادة، وغض البصر هو أول مراحل تخطي الشهوات، فالنظر هو الطريق الأول لتعلق الشهوات بالقلب، فجاء الأمر بغض البصر؛ حتى لا يتمكن القلب من التعلق بهذه الشهوات، وتبعده عن طريق الله تعالى، جاء في تفسير الإمام السمرقندي: "إياكم والنظرة، فإنها تزرع في القلب شهوة"³.

¹ الطبري، تفسير الطبري 23 / 427.

² ينظر: الطبري، تفسير الطبري 19 / 154.

³ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2 / 508.

والشهوات تتزايد كلما أطلق المسلم بصره، فجاءت الآيات محذرة من هذا الأمر المحرم؛ ليتجنب المسلم الانجرار وراء هذه الشهوات، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم من شهواتهم مما يكره الله"¹.

فإن الله تعالى يكره أن يرى عبده يطلق بصره ويتتبع عورات الناس، فهذه الشهوات مميتة للقلب، ومغضبة للرب، واحد أركان علاجها هو تجنب إطلاق البصر.

2_ استذكار الأجور العظيمة عند الله تعالى لمن ضبط نفسه عند الشهوات: من الأمور الناجحة في الصد عن الشهوات والتشبث بها، هو استذكار المسلم الأجور العظيمة مما ادخره الله تعالى لمن ترك الشهوات طاعة لله تعالى، وإن الله تعالى قد زهد من الدنيا، ومن زخرفها ورغب المؤمنين بالآخرة، فقال ربنا جل شأنه في كتابه الحكيم: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: 14] أي: منفعة الحياة الدنيا تذهب وتزول، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، أي حسن المرجع والمآل في الآخرة وهي الجنة، والجنة لا تزول ولا تفتنى، فقال ربنا: ﴿قُلْ أُوْتِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 15] أي: مما رزق للناس في الدنيا، اتقوا الشرك والفواحش والكبائر، فزينة الآخرة خير من زينة الدنيا بكثير².

ومن نهي نفسه عن تتبع الشهوات، فهذا سيكون له الأجور العظيمة في الآخرة، كما وعد الله تعالى، فاستذكر ما عند الله تعالى من العطايا والهبات لمن ترك التعلق بالشهوات، يزجر النفس عن الشهوات، ويبعدها، وينهاها عن غيها، وذلك طمعا فيما عند الله تعالى؛ لأن ملذات الدنيا "فانية منقضية تذهب لذاتها، وتبقى تبعاتها، ثم إنه تعالى حث على الرغبة في الآخرة بقوله: ﴿قُلْ أُوْتِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 15] ثم بين طبيبات الآخرة معدة لمن وازب على العبودية من الصابرين

¹ عبد الرحمن بن محمد بن المنذر، تفسير ابن أبي حاتم 8/ 2570.

² ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 199.

والصادقين إلى آخر الآية"¹.

فملذات الدنيا لن تبقى ولن تدوم فهي من اللذات المؤقتة، والتي تذهب لذتها بانقضاء تلك الشهوة العابرة، وقد تورث هذه الشهوات التعب والنصب والغم في القلب، فكان التحذير منها كثيرا في طيات الآيات القرآنية، وجاءت الآيات الكثيرة، تخبر بهذا الأمر، وتبين كذلك بالترهيد من شأن الدنيا وتحقيرها، وتعظيم الآخرة وأن ثوابها دائم للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ﴾ [آل عمران: 14] أي: "ما يتمتع به فيها ثم يذهب ولا يبقى، وهذا منه ترهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة"².

3_ الصبر عن الشهوات: من علامات المؤمنين هو التحلي بالصبر، فالصبر له مزايا كبيرة في حياة المسلم، والصبر يدخل في أغلب قضايا وعلاجات الفتن؛ لأن بعض الفتن لا يمكن أن يتخطاها الإنسان إلا بالصبر، والشهوات أحد طرق علاجها هو التحلي بالصبر قال الله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ﴾ [آل عمران: 17] : أي: قوم صدقت أفواههم واستقامت قلوبهم وألسنتهم، وصدقوا في السر والعلن، والصابرين، قوم صبروا على طاعة الله، وصبروا عن محارمه، والقانتون هو المطيعون لله تعالى³.

والصبر هو محور الارتكاز في طريق المسلم؛ فلولا الصبر لما استقامت أمور وشؤون كثير من الناس "الصبر يُعَدُّ أساساً مهماً في الإيمان، تماماً كما يُعتبر الرأس جزءاً لا يتجزأ من الجسد، وينقسم الصبر إلى ثلاثة أنواع: الصبر على أداء الفرائض والالتزام بها دون إهمال، الصبر عن ارتكاب المحرمات والابتعاد عنها، والصبر على ما يقدره الله من أحكام وأقدار دون الاعتراض أو التذمر، من يحقق هذه الأنواع الثلاثة من

¹ أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 7/ 159 _ 160.

² القرطبي، تفسير القرطبي 4/ 36.

³ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 6/ 265.

الصبر يكون قد استكمل درجات الصبر، وإن لذات الحياة الدنيا ونعيم الآخرة، بالإضافة إلى النجاح فيهما، لا يمكن الوصول إليها إلا عبر التحلي بالصبر والثبات¹.

فالصبر هو وقاية لزجر النفس عما حرم الله من الشهوات كلها، شهوة المال والنساء والبنين وغيرها من الشهوات، التي تحف المسلم في حياته "وإنما زينة الرجل الصبر على طاعة الله، والتزین بزينة التقوى"².

ولذلك فإن أجور الصبر عظيمة كبيرة، ولهذا حث الله تعالى على الصبر في آيات كثيرة وجعل أجورها وإيفاء حقها هو عطايا بلا حد ولا منتهى قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ.....﴾ [الزمر: 10].

المبحث الثاني: أقوال المفسرين المحدثين في طرق الوقاية وعلاجها من الوقوع في الفتن

تحتاج الفتن إلى فهم دقيق لأسبابها وآثرها، والأمر المهم هو البحث عن طرق للوقاية والعلاج من الفتن التي تحيط بالفرد والمجتمع، وتحدث المفسرون المحدثون عن سبل وطرق وكيفية علاج هذه الفتن، وفق نظرتهم بما يناسب عصرهم ووفق ما يناسب الحوادث التي حصلت في هذا العصر ولم تكن موجودة في عصور متقدمة.

ولقد تتبع المفسرون المحدثون قضايا الفتن ومداخلها ومخارجها؛ ليضعوا المسلمين على طريق مستقيم، ويتجنبوا الخوض في الفتن قدر المستطاع؛ لأن الفتن قل من ينجو منها، ولكن عندما تأتي الفتن، فإنها تضعف المسلمين وتوهن عزائمهم وتشتت شملهم، فهنا أخذ المفسرون المحدثون يبحثون في طرق

¹ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994 م) 4/ 305.

² أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 27/ 624.

للوقاية والعلاج للأفراد والمجتمعات؛ لكي يسلموا من هذه الفتن.

المطلب الأول: طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدينية

يبين الباحث في هذا المطلب، أهم طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدينية عند المفسرين
الحدثين:

أولاً: فتنة الثبات على الحق: ومن طرق الوقاية والعلاج لهذه الفتنة أمور عدة وهي ما يلي:

1_ صلابة المسلم على دينه: المواقف تكشف الناس على حقيقتهم، ومن يتبع الحق ويثبت عليه، فهذا له صلابة في دينه، وصلابة في مواجهة الظروف التي تحيط به، فالمسلمون الأوائل "آمَنُوا وَثَبَتُوا عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَهَاجَرُوا فَارْقُوا أَوْطَانَهُمْ وَأَهْلَهُمْ وَجَاهَدُوا مِنَ الْجَهْدِ: وَهُوَ الْمَشَقَّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ دِينِهِ يَرْجُونَ يَتَوَقَّعُونَ النِّفْعَ بِاتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ"¹.

ومهما عصفت الفتن في حياة المسلمين؛ فإنهم يتذكرون أن الحق والثبات عليه، يتطلب صلابة وقوة في الدين؛ فيثبتوا ويستقيموا، فبعد أن كانت واقعة معركة أحد جاءت الآيات مسلية لهم ولما كان عليه الأنبياء في سبيل عدم ضعفهم "كانوا قادة في الهداية والتعليم، ولم يضعفوا حتى بعد استشهادهم واستشهاد نبيهم، ولم تتراجع عزائمهم عن الجهاد بعد ذلك، ولم يستسلموا لأعدائهم أو يغتروا بزخارف الدنيا وملذاتها، لم ينهزموا أو يولوا الأدبار، بل ظلوا ثابتين وصامدين كما كانوا في حياة نبيهم، الله يحب الصابرين الذين تحملوا المصاعب، وتنافسوا في الثبات والصبر، وارتبطوا بتقوى الله، وهو الذي يوجههم ويرشدهم ويجازيهم بأعظم الجزاء"².

فبعد أن ماجت الفتن فيهم من القتل والتشريد، ثبتوا على دينهم، وكانوا كلما ضاقت عليهم

¹ الزحيلي، التفسير المنير 2/ 258.

² الزحيلي، التفسير المنير 4/ 113.

الشدائد، كلما صلب وقوي دينهم وثباتهم على الحق، فكانت هذه الصلابة والعزيمة بمثابة العلاج والمحرك لهم عما يلاقونه في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، فالله تعالى يفعل بالمؤمنين من الخن وينزل عليهم الشدائد؛ ليرى صلابتهم وتباتهم وصدقهم وفعل هذا "ليمتحن إيمانكم ويتبين أمركم، فيظهر الصادقون من المنافقين، ولقد عفا الله عنكم بذلك الابتلاء الذي محأ أثر الذنب من نفوسكم وتاب عليكم ... وهو ذو الفضل العظيم على المؤمنين وكم نعمة في طيها نعم"¹.

فالعقبات يعقبها العطايا والهبات، وكلما كانت صلابة المؤمن في دينه قوية كلما استطاع أن يثبت على دين الله تعالى، ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: 24] فقد "شبه الله الكلمة الطيبة وهي دليل الإيمان الثابت في قلب المؤمن الذي يرفع به عمله إلى السماء ... ولا عجب فالمؤمن كلما قال كلمة الحق وشهد بكلمة التوحيد صعدت إلى السماء وأخذت حظها من الثواب الجزيل"².

2_ تثبيت الله تعالى للمؤمنين الصادقين: من يسير ويطلب الحق في هذه الحياة، فلن يثبت إلا بتثبيت الله له، فالله تعالى يعين المؤمن الذي يبتغي الحق ويسلك سبيله، فالسابقون لولا تثبيت الله لهم، لما ثبتوا على الحق وتمكنوا بثباتهم بنشر الإسلام في ربوع الدنيا، فكان هذا التثبيت هو العلاج الناجع لسالك طريق الهدى قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَبُضِّلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: 27] أي: ثبت الله الذين آمنوا به بالقول الثابت والكلمة الطيبة التي صفاتها العجيبة، إذا وجد من يفتنهم عن دينهم أو يؤثر عليهم في عقيدتهم، وانظر إذا أردت لبلال بن أبي رباح، وصهيب الرومي وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ قد ثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 295.

² محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 2/ 259.

الدنيا على الحق¹.

فمن أراد الحق ونهج منهج أهل الحق، لابد من أن تأتيه النوازل والشدائد؛ ليرى الله عزمه وثباته، ثم بعد ذلك يثبت الله على الطريق الصحيح، قال الله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 82] "أي يثبت الله الحق ويقويه بحججه وبراهينه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي ولو كره ذلك الفجرة الكافرون"².

ومهما طغى الظلم وأهل الفجور، فإن الله تعالى ينصر ويثبت أهل الحق على الطريق الصحيح وهذا " وعد الله تعالى عباده المؤمنين الصادقين بتشبيتهم على طريق الإيمان، مهما كانت الفتن والحن التي يتعرضون لها، حتى يلاقوا ربهم وهم متمسكون بإيمانهم"³.

وإذا وعد الله فلن يخلف الميعاد، فالله تعالى ينصر أهله ولو بعد حين، وهذه من القوانين التي أرساها الله تعالى في هذه الحياة.

3_ الصبر والثبات: طالب الحق لا ينفك عنه دخوله تحت بوابة والصبر، فلن يستطيع الوصول إلى رضوان الله تعالى، ولا إلى السير على منهج أهل الحق، إلا بالتحلي بالصبر والمواظبة على طريقه، وحمل النفس على التصبر، فقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين في إيمانهم فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15] أي: "إنما المؤمنون الصادقون في دعوى الإيمان، الذين صدّقوا الله ورسوله، فأقروا لله بالوحدانية، ولسوله بالرسالة، عن يقين راسخ وإيمان كامل ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: ثم لم يشكوا ويتزلزوا في

¹ ينظر: محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 2/ 260.

² محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير 1/ 553.

³ جابر بن موسى الجزائري، أيسر التفاسير للجزائري 3/ 56.

إيمانهم بل ثبتوا على التصديق واليقين"¹.

فمن صفات أهل الإيمان هو الصبر على تحمل المشاق، من أجل نصره الحق، والذي لم يكن له صبر وعزم، لن يستطيع أن يسر على طريق الهدى، ويتحمل الصعاب، فالصبر هو دواء ووقاية للمؤمنين "إنّ الصبر يُعَدُّ من الأسس الأساسية التي تُعزِّز قدرة الفرد على الثبات وتحملّ المصاعب، حيث يُساعد على تخفيف عبء المعاناة التي قد يتعرض لها الشخص في سبيل دعم الحق ونشر الفضيلة، ويتجلى تأثير هذا الصبر في قدرة الفرد على التمسك بحقٍّ ما أو العمل على إزالة الباطل، بالإضافة إلى الدعوة إلى مبادئ معينة أو تعزيز القيم النبيلة، ومواجهة التحديات لتحقيق ذلك، وقد تجسّد ذلك في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته، الذين تحلوا بالصبر والمثابرة حتى نالوا جزاء صبرهم، حيث أمدّهم الله بالنصر المؤزر رغم قلة عددهم وضعفهم مقارنة بالأمم المحيطة بهم"².

فالمكابدة والمصابرة، هما سبيلان للثبات على الحق، والوقوف أمام التحديات التي يواجهها الدعاة في سبيل الله، وحاجتنا لهذا الصبر اليوم، أمر ضروري من أجل أن الوصول إلى أعلى مراتب الثبات في زمن طغت فيه الشرور والآثام.

ثانياً: فتنة أعداء الأنبياء وصدّهم الناس عن طريق الله: وطرق الوقاية والعلاج من هذه الفتن أمور عدة وهي ما يلي:

1_ التمسك بالإيمان: إن التمسك بالإيمان هو أحد دعائم النجاة من النار يوم القيامة، وأهم الأسس

التي تقوم عليها دعوة الأنبياء عليهم السلام، وما قامت دعوة الأنبياء، إلا بدعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى، والخض على طاعته، فالإيمان ينفع صاحبه ومعتنقه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى حكاية عن

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 220.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2/ 22.

قوم يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98] أي: " فلماذا لم يؤمن أهل إحدى
القرى من أولئك الذين دعاهم الرسل بعد إقامة الحجة عليهم؟ لقد كان إيمانهم مُنقِذاً لهم من العذاب
الذي أوعدوا به، لكان ذلك نافعاً لهم قبل حلول العقاب"¹.

فالإيمان يدعو إلى ترك المنكرات والتحلي بالخيرات، والإيمان كان السبيل الوحيد لنجاتهم من
الهلاك "في الختام، يتضح أن قوم يونس قد آمنوا قبل أن ينزل بهم العذاب، وقد كانوا على علم بقرب هذا
العذاب نتيجة لخروج نبيهم، وقد أدى إيمانهم هذا إلى صرف عذاب الذل والهوان الذي كان قد اقترب
منهم، حيث منحهم الله متاع الحياة إلى أجل محدد، وهو الوقت الذي يعيش فيه كل فرد وفقاً لسنن الله
المتعلقة باحتياجاته ومعيشته"².

فبسبب إيمانهم ورجوعهم إلى الحق، كشف الله عنهم العذاب والدمار، قال الله تعالى: ﴿كَشَفْنَا
عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: 98] أي: "صرفنا عنهم عذاب الذل والهوان
في الدنيا؛ لأن نبيهم خرج بدون إذن الله تعالى له، فلم تتم عليهم الحجة ولا حقت عليهم كلمة العذاب،
وقد استدلووا بذهابه مغاضبا لهم على قرب وقوع العذاب"³.

بينما نجد أن فرعون ومن معه لم يؤمنوا فلم ينفعهم عنادهم وتكبرهم، فقد أنزل الله عليهم
العذاب، بسبب جحودهم وكفرهم، ومن المفارقات في أمر فرعون أنه لما أطبق عليهم البحر، هنا أعلن
فرعون أنه مؤمن فقال الله تعالى حكاية عنه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي
آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90] فكان الجواب قاسياً، وجاء رادعا له ولمن

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 11 / 157.

² المصدر السابق.

³ محمد رشيد رضا، تفسير المنار 11 / 394.

تسول له نفسه بالتمادي بعدم الإيمان بعد أن تمت دعوتهم، قال الله تعالى: ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: 91، 92] فأهلكه الله تعالى على شؤم صنيعة "وإن هذا المثل يضرب بعد فرعون الذي آمن بعد فوات الأوان، وهو مثل لإدراك قوم يونس بعد أن غشيهم ما جعلهم يتوقعون ما أُنذروا به فسارعوا بالنجاة وأزالوا آثار ما اقترفوا"¹.

فقوم يونس لم يكونوا مثل قوم سيدنا موسى، فهم قد آمنوا من أول إنذار لهم لذلك "الشخص الذي يصل إلى مرحلة العذاب ويُعلن إيمانه أثناء تعرضه لهذه العقوبة لا يُعتبر إيمانه مقبولاً في المقابل، من يشعر ببوارد العذاب ويستشعرها قبل وقوعها ثم يؤمن، فإن الله سبحانه وتعالى يقبل إيمانه"². فمن تمسك بالإيمان وأظهر طواعيته لله تعالى، فسيكون من أتباع الأنبياء عليهم السلام، وهو أحد الدعائم لصعد أعداء الأنبياء وكسر شوكتهم؛ لأنهم يريدون التصدي لدعوة الأنبياء؛ ولكن جاء الإيمان ليظهر ويقضي على كل مخططاتهم البائسة.

2_ الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن: الحوار والمجادلة من الطرق الحكيمة لنشر دين الله؛ ليكون الناس على بينة من دينهم، ولقد سطر القرآن الكريم كثيراً من حوارات الأقوام مع أنبيائهم، فمنهم من استجاب لهذه الحوارات، وكثير منهم صد عن الاستجابة للدين الحنيف، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: 74] "تشير الآية بشكل مختصر إلى إرسال الله للرسول إلى أقوامهم بعد نبي الله نوح عليه السلام، وما واجهوه من تكذيب من قبلهم، تماماً كما فعل الذين سبقوهم، حيث أظهر هؤلاء عدم

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 7/ 3636.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي 10/ 6211.

إيمانهم. وتؤكد نهاية الآية أن المعتدين هم الذين كذبوا في البداية وانتهوا بالكفر، مما يدل على أن انحرافهم وفسادهم هما السببان الرئيسيان لعدم إيمانهم ولذلك، فقد ختم الله على قلوبهم¹.

فهنا لم ينفعهم الحوار ولا الجدال بالتي هي أحسن، فقد كانوا أهل سوء، وما هذه الحوارات والجدال مع أتباع الأنبياء، إلا ليكون الناس على بصيرة من دينهم "فدعوات الأنبياء عليهم الصلوات و السلام جاءت على حين فترة، حين اندثرت تطبيقات الشرائع على الأرض وزاغ الناس عن الصراط و ابتعدوا عن التوجه الصحيح للخالق وحده، فانصرفوا إلى عباد غيره و التقرب منه، إما جهلاً، و إما تقليداً؛ لذلك كان الأنبياء عليهم السلام يعتمدون التدرج منهجاً في مخاطبتهم ومناقشتهم وحواراتهم مع أقوامهم حتى يخرجونهم من الظلمات والكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد"².

ولقد بين لنا القرآن الكريم، عن تفاصيل دقيقة من المجادلة والحوار مع أقوامهم، في سبيل وقايتهم من الهلاك والعذاب، قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: 63] فهذا النداء هو تعبير موحد عن حال الرسل الكرام مع ربهم، وتصور حقيقة ما يجدونه في أنفسهم لحقيقة الألوهية ومن صدق نفوسهم من اتصلهم برهم، ولإثبات أن شأن النبي ﷺ مع ربه ومع الوحي، مما يبطل دعاوى المشركين، وهذا النداء هو لتثبيت القلة المؤمنة على الحق فهو الحق الذي جاء به جميع الأنبياء، والذي أسلم عليه المسلمون من أتباع الرسل³.

فغاية الجدال والمحاورة هو لتثبيت الإيمان في النفوس، وللنجاة من التخبط والتيه الذي يحصل

¹ دروزة محمد عزت، التفسير الحديث 3/ 488.

² حميد بن محمد لحموي، منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم من خلال القرآن الكريم دراسة مقارنة، وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة المدينة العالمية في ماليزيا، كلية العلوم الإسلامية، 2014 م، ص 63.

³ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن 4/ 1864.

بعدم اتباع الأنبياء عليهم السلام "فالا اعتماد على الأدلة أو الاستدلال هو من الأساليب المنهجية المشتركة في حوارات الأنبياء مع أقوامهم و يستعمل كمنهج لإثبات أو نفي أمرٍ ما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]. وتتنوع هذه الأدلة بين ما هو عقلي و نقلي أو حسي أو تاريخي¹.

ومن كانت نفوسهم مريضة غير آبهة لأحد، فلن ينفع معهم النصح، ولن ينفع معهم التشاور ولا عرض الأدلة، وقد بين الله تعالى عن قوم هود عليه السلام إذ قال له قومه: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 66، 67] وهود عليه السلام قد "ناداهم مدنيا مقربا لهم، بقوله يا قوم وقد اختاره الله على أنه أخ لهم، إذ قال: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ ليس بي سفاهة فما خالفتمكم، ودعوتكم إلى عبادة الله تعالى وحده لحقق أو سفه، وإنما لأني أرسلت بذلك؛ ولذا قال: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 61] أرسلني إليكم، داعيا إلى عبادته وحده"².

فدعوة الأنبياء قائمة على النصح والتذكير وإلى بذلك المعروف، من أجل إيصال الدين لكل الناس، ولا يخلو هذا الأمر من الجهد والمشقة الكبيرة، التي تواجه الأنبياء، وكذلك تواجه العلماء والدعاة، الذين يبلغون رسائل الله للناس، فهم يقتدون بالأنبياء عليهم السلام، وينبغي لمن حمل راية الإصلاح ونشر الخير والمعروف والتبصير بدين الله، أن يجيد الحوار والنقاش، وفق أسلوب لين هين، مدعوم بالأدلة والبراهين الواضحة، من أجل أن يكسب قلوب العباد وتبين حقيقة الدين في أجمل وأكمل صورة.

3_ تدبر قصص الأنبياء للتأسي والعمل والعبرة والاتعاظ: أرسل الله تعالى الرسل لينشروا العدل والخير

¹ حميد بن محمد لحموي، منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم من خلال القرآن الكريم دراسة مقارنة، ص70.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 6/ 2884.

بين الناس، وقصص الأنبياء مع أقوامهم تأتي للتأسي والعمل والاجتهاد في تحقيق المصالح فقد "كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" فيها أحسن الدروس، وأقوى الأمثال التي تضرب لتحمل الدعاة المرشدين¹.

وأنت قصص الأنبياء كذلك مع أقوامهم، التي بينها القرآن الكريم؛ للعبرة والاتعاظ قال الله تعالى حكاية عن قوم سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَعْرَفْنَاهُمْ﴾ [الفرقان: 37] أي: بعد أن أنزلنا العقاب عليهم بالإغراق نتيجة لكفرهم وعنادهم، أصبحت قصتهم عبرة ودروساً للناس الذين يعتبرون ويتعظون ويتجنبون السير في نفس الطريق، وقد كانت عاقبتهم مؤلمة وشديدة بسبب ما ارتكبته أيديهم من آثام².

وكذلك جاءت الآيات التي تبين حال قوم سيدنا موسى مع قومه، وبين الله تعالى لهم أن ذلك فيه عبرة فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ [النازعات: 26] أي: "إن فيما ذكر من قصة فرعون وطغيانه، وما حلَّ به من العذاب والنكال، لعظة واعتباراً لمن يخاف الله عزَّ وجلَّ ويخشى عقابه"³.

فمن آمن من أتباع الأنبياء فقد نجى وأبعد عن نفسه العذاب، ومن تكبر وطغى وتجبر؛ فإن مصيره الهلاك والعذاب؛ ليكون عبرة لغيره، وقد بين الله تعالى لكل الأقوام أن تنبهوا وخذوا حذرکم، فقد أهلكتم أئماً قبلکم، قال الله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: 58] فهو نداء من الله تعالى لجميع الناس بضرورة الإيمان الكامل لدين الله تعالى "ثم ففى على ذلك بذكر قصص الأنبياء السابقين، وكيف لاقوا من أمهم العنت والتكذيب، وكيف آل أمر هذه الأمم، وفي هذا عبرة وعظة لأمة

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 2/ 115.

² ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 10/ 196.

³ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 490.

محمد ﷺ وتسليية للنبي الكريم ﷺ: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]¹.

والغاية من قصص الأنبياء وذكرها في القرآن الكريم هو لتسليية النبي محمد ﷺ، وتبيين حقائق الأمم الماضية، وكذلك لغايات عظيمة، ومزايا جلييلة، وكذلك القصد منها ومن أهمها في إيرادها هو للعةظة والتثبيت والذكرى كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111]².

ثالثا: فتنة الشبهات: ولهذه الفتنة طرق وعلاج تكمن في أمور عدة وهي كما يلي:

1_ الاعتصام بكتاب الله تعالى: كتاب الله تعالى هو العلاج والدواء لكل الملمات التي تحيط بالمسلم في حياته، فهو بلسم لمن أؤذي بالجراح، ويقين لمن التبست واختلطت عليه الأمور، وخاصة ما يتعلق بأمور الشبهات، وما أكثرها اليوم، والتي قد تطاير شررها، فأصبحت منتشرة بين المسلمين من كل جانب، والذي يُنجي من هذه الآفات والمنكرات والشبهات، هو القرآن الكريم الهادي إلى طريق مستقيم، وهو العلاج الناجح الذي يجلو الشبهات ويزيل العتمة عن العيون "هو القرآن الهادي لكم إلى سواء السبيل إذا تراكمت ظلمات الشبهات، والمنقذ لكم من الضلالة إذا أحاطت بكم الخطيئات، سُمي نورا لأنه بإعجازه بين بنفسه أنه حق نازل من عند الله تعالى، مبين لغيره ومظهر للحلال والحرام، كما أن النور كذلك، والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية"³.

فالشبهات تلقي في النفوس ظلمات وعتمات، ولا يزيلها إلا التمسك بالقرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: 122] أي:

¹ محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 1/ 726.

² ينظر: الزحيلي، التفسير المنير 6/ 35.

³ محمد الأمين المروري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 29/ 368.

أنتم أيها المؤمنون كأولئك الشياطين الذين يجادلونكم بما أوحوه إليهم من زخرف القول الذي غرّوهم به،
أفمن كان ميتاً بالكفر والجهل والعمى فأحييناه بالإيمان وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس وهذا النور هو
القرآن الكريم المؤيد بالحجة والبرهان، الذي يهدي الحائرين، وينقذ الخائفين، والمتخبطين بالجهل والظلمات
والتقليد الأعمى إلى نور وبرهان ويقين¹.

والإنسان عندما يمرض يبدأ بالبحث عن علاج ودواء وشفاء، جراء ما أصابه من مرض، ومن
أصابه مرض الشهوات والشبهات ولم يأوي إلى القرآن في أول الأمر فقد جانب الصواب، فالقرآن الكريم
هو الشفاء من جميع العلل، قال الله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: 57] وهذا الشفاء
والدواء "هو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض
الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما
يوجب للعبد الرغبة والرغبة²".

فمن تمسك به اهتدى، ومن اعتمد عليه نجى، ومن تركه هوى، والتمسك به يعني التمسك بما
جاء من معاني على وفق التفسير الصحيح، الذي يوافق ما أراده الله تعالى لا على وفق تفسيرات شاذة
ووفق تأويلات باطلة، فهذه من الأمور التي تبعد عن القرآن صاحبها ويزيده ظلمة إلى ظلمة.

2_ اللجوء والاعتصام بالله تعالى: التوكل على الله تعالى في جميع شؤون الإنسان، يخرج من التيه والخيبة
والضياع، ومن اعتصم بالله نجى من الفتن والشبهات فهي "عدة النور الهادي الذي يكشف منحنيات
الطريق ودروبه على مد البصر فلا تغبشه الشبهات التي تحجب الرؤية الكاملة الصحيحة ... ثم هو زاد

¹ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 8/ 19.

² عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي (د.م):
مؤسسة الرسالة، 2000 م) ص: 367.

المغفرة للخطايا، الزاد المطمئن الذي يسكب الهدوء والقرار"¹.

والثبات في المواقف هو مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ تعالى على المصائب والفتن التي تحيط بالمسلم، فمن التجأ إلى الله تعالى عند انتشار الشبهات، يُنْقِذَهُ اللهُ تعالى من المهالك والأهواء، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: 27] ففي هذه الآية "يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادتها"².

فالاكتصام بالله تعالى ينجي العبد من كل المخاطر، وتحيط به عناية الله تعالى من كل جانب، ومن اعتمد على نفسه وعلى الناس، ضلَّ وهلك، ومن كان مع الله أنقذه من الفتن والشبهات والمغريات.

3_ يجب على المسلم الابتعاد عن مواطن الفتن والشبهات: من العلاجات المهمة التي ينبغي للمسلم أن يضعها نصب عينيه، ويقف عندها، هي الابتعاد عن المواطن التي تنتشر فيها الضلالات والشبهات؛ فإن ذلك أسلم لنفسه ولدينه، فهو يصارع الشر والظلمات "كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب وبمحقه الحق ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81] وقال هنا: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17] ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال"³.

ووجب على المسلم أن يكون حذرا في مواطن الشبهات، ويكون يقظا من آثارها على دينه،

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن 3/ 1499.

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 425.

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 416.

ويبدأ أول الأمر بتقوى الله تعالى "عندما يتقي العبد ربه، وذلك من خلال الالتزام بأوامره والابتعاد عن نواهيه، ويتعد عن الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات، ويملاً قلبه بالنية الصادقة، وينشط جوارحه بالأعمال الصالحة، ويتجنب الشوائب المرتبطة بالشرك، سواء الظاهرة أو الخفية، مع مراعاة عدم الانجراف نحو الدنيا أو التعلق بالمال، فإنه يُمنح قدرة على التمييز بين الحق والباطل"¹.

والذي يتبع الطرق الملتوية ولا يتحرز لدينه يوشك أن يقع في الشبهات، والتي تجر صاحبها إلى الابتعاد عن منهج الله، وعن الحق.

فالبعد عن الطريق المستقيم، يجعل صاحبه يضل ضاللاً بعيداً، ويتبع الشبهات، قال الله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 167] أي: يعمنون ويجوبون في الغي والفساد وإنكار الحقائق، وكذلك إثارة الشبهات فيكون كالذي يسير في صحراء، وقد ضل الطريق وسار على غير هدى، على انحراف في الطريق، فيكون سيره ضاللاً بعيداً عن الذين لا يهتدون، إذا لا يجد أحداً أن يهيده إلى الطريق والصراط المستقيم².

فهذا حال من تتبع الشبهات ويسير خلف تشبعتها، فيكون العلاج الناجع هو في الابتعاد عن هذه المواطن، حتى يسلم المسلم لدينه، ويكون واعياً لما يدور حوله، وكم نرى اليوم من يتيه في مثل هذه الطرقات، ويبدأ في الغور في مستنقع الجهالة والشبهات، حتى يأخذه إلى طريق مسدود، فعلى المسلم أن يراعي هذا الجانب الخطير، والذي قد يصل به ومجتمعه إلى مناحي صادمة مع الشريعة ومع منهج الله في أرضه، فحتم على المسلم الابتعاد عما يشوه الدين ويضر نفسه ومجتمعه.

رابعا: فتنة الاختلاف والتفرق: وطرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة أمور عدة وهي ما يلي:

¹ الزحيلي، التفسير المنير 9/ 302.

² ينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 4/ 1971.

1_ **الاعتصام بحبل الله جميعاً:** من أهم العلاجات التي ينبغي الرجوع إليها عند حلول الاختلاف والتفرق، هو الاعتصام بالله تعالى والاعتصام بحبله، فهو السبيل الذي يحل الخلافات ويطرد النزاعات ويسكن الشقاق بين المسلمين، ويكون ذلك سبباً في قوة المسلمين "ووالله، لو عُذْنَا إلى حبل الله الواحد فتمسكنا به، ولم تلعب بنا الأهواء لَعُدْنَا إلى الأمة الواحدة التي سادت الدنيا كلها"¹.

والتفرق والاختلاف يُضعف الأمة الإسلامية ويهز كيافها، فلقد تفرق الذين من قبلنا من الأمم فكان عليهم وبالا وخسرانا، فقلوه تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: "يجب ألا تتباينوا عن الحق نتيجة الاختلافات التي قد تنشأ بينكم، كما حدث مع اليهود والنصارى، أو كما كنتم منقسمين في الجاهلية، تتبادلون العداء وتتنازعون وعليكم تجنب التحدث عن الأمور التي قد تؤدي إلى الفرقة وتفقدكم الوحدة والألفة التي تجمعكم، وهي الالتزام بالحق والتمسك بالإسلام"².

فمن تمسك بحبل الله تعالى نجى من الخلاف والتفرقة؛ لأنه "حبل الله المتين الذي يجمعنا فلا نتفرق"³.

والتمسك بحبل الله تعالى يقتضي الأخذ بكتاب الله تعالى والالتزام بأوامره ونواهيه "ولا تخرجوا عن شيء من شرائعه، بل خذوا الإسلام بجملته وتفهموا المراد منه ... وبهذا يرتفع الشقاق والتنازع ويعتصم المسلمون بحبل الوحدة الإسلامية التي أمرنا الله باتباعها في قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]"⁴.

فحبل الله تعالى ودينه، كفيل بأن يفض كل النزاعات والاختلافات التي تصيب المجتمع المسلم،

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 16/ 9642.

² محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي 2/ 371.

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي 19/ 11709.

⁴ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2/ 114.

وتُبعد الضغائن والتقاتل والتناحر، ونكون كالجسد الواحد الذي يُحسب له ألف حساب.

2_ لزوم جماعة المسلمين ونبد الفرقة: لقد أمر الله تعالى المسلمين أن يكونوا يد واحدة وجماعة واحدة،

لا تفرق بينهم الأعراق ولا الأنساب ولا الآراء؛ لأن هذا الدين هو دين التوحيد الخالص، فكان لزاما على

أتباعه أن يقفوا عند أوامره ونواهيه، وديننا يدعو للوحدة وينهى عن الفرقة "وبالاعتصام بحبل الوحدة،

وشد أواخي الإخاء، ولا يرتفع الشيء إلا برفع أسبابه، ولا يستقر إلا بتحقيق وسائله، وهو بمعنى قوله عز

وجل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: 103]¹.

وقد بين الله تعالى منهج أهل الإسلام في لمّ الشمل ودعا الله عباده. في الحفاظ على وحدة

الإسلام وجمع كلمة المسلمين، فقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران:

103] وقد حذر الله تعالى من التنازع والاختلاف²؛ لأن التنازع والاختلاف، يذهب القوة ويوهن العزيمة

وتباد الأمة، فقد قال جل شأنه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46] أي: "ولا

يكن منكم تنازع واختلاف، فإن ذلك مدعاة للفشل والخيبة وذهاب القوة، فيتغلب عليكم العدو"³.

فلزوم الجماعة والتمسك بها، هو العلاج والخروج من فتنة الاختلاف والتفرق، التي نهشت جسد

الأمة اليوم، وساد التنازع على أبسط الأمور، وخاصة في الأمور الدينية، وفي الأمور المختلف فيها، وإن

أصل الاختلاف محمود؛ حتى تترجح الآراء ويستفاد من الأقوال؛ لكن إذا وصل الأمر إلى بث الضغينة

والشقاق بين المسلمين؛ بسبب اختلافات فرعية في الدين فهنا يكمن الخطر، وعلى المؤسسات الشريعة

والمجامع العلمية والفقهية وعلماء الأمة، أن يوضحوا هذا الأمر، ولا يدعوا مجالا للمتصيدين ببث التنازع

¹ محمد رشيد رضا، تفسير المنار 2/ 206.

² ينظر: الزحيلي التفسير المنير 2/ 235.

³ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 10/ 10.

والفرقة بين أوساط المسلمين "فالمسلمون أمة واحدة والولاية والتناصر بينهم واجب"¹.

3_ الرجوع عند التنازع والاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: إن الأمة الإسلامية معرضة

للاختلاف والتفرق، فإذا وقع هذا الاختلاف والنزاع فقد بين الله تعالى بأن يردوه إلى الله تعالى وإلى رسوله

وإلى أولي الأمر فوجب "تحكيم القرآن والسنة فيما قد يقع فيه المسلمون من نزاع أو اختلاف في الرأي،

كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 10] ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:

59]².

فردّ الأمور والقضايا المتنازع عليها لله تعالى ولرسوله؛ لتسلم جماعة المسلمين من التفرق، فقلوه

تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59] أي "إن اختلفتم في حكم

شيء: لم يرد فيه نص صريح في كتاب الله - تعالى - ولا في سنة رسوله ﷺ، فأرجعوه إلى هذين الأصلين،

وليكن حكمكم فيه بالقياس إلى حكم كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، فيما يشتهبه من الأمور فإن

ذلك خير ما يصار إليه: لفض التنازع وإزالة الخلاف بين المؤمنين بالله واليوم الآخر، وبذلك، فتح القرآن

الكريم للمسلمين، باب الفهم والبحث والاجتهاد في دين الله، حيث أمرهم أن يردوا ما اختلفوا فيه، إلى

الكتاب والسنة"³.

فبهذه الكيفية وبهذه المنهجية يمكن التعامل مع الاختلافات، وبهذا الرقي في الأخذ والرد، يكمن

توحيد الجماعات ونبد الصراعات والنزاعات بين المسلمين؛ لأن الله تعالى لم يدع لمسالك الشيطان ولا

لهوى البشر أن تتحكم في شؤون العباد، مع أننا نعيش في زمن كثرت فيه الخلافات والخصومات على

¹ الزحيلي، التفسير المنير 9/ 239.

² الزحيلي، التفسير المنير 4/ 29.

³ مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (مصر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1993 م) 2/ 838.

أمور اجتهادية، وصرنا نرى التحالفات والتجمعات، وتريد كل جماعة منها أن تثبت للناس أن جماعتهم على الحق فقط، وهذا الأمر يؤدي إلى الشتات والضياع، فالعودة إلى كتاب الله وسنة النبي ﷺ وإلى فهم العلماء في القضايا الخلافية أمر واجب؛ لأن "الحق سبحانه وتعالى حين يطلب منا ذلك، يريد أن ينهي مسألة التنازع، لأن التنازع يجعل حركات الحياة متضاربة، هذا يقول بكذا وذلك يقول بكذا، فلا بد أن نرده إلى مردّ أعلى، والحق يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83] إذن فقد يكون المراد بأولي الأمر العلماء"¹.

المطلب الثاني: طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدنيوية

أولاً: فتنه الأولاد **ثانياً: فتنه المال:** من أساسيات مقومات الحياة هما الأولاد والمال، فإذا استخدمها المسلم في محلها وعرف كيف يدير شؤونها صارت عليه نعمة، أما إذا تخبط في التعامل مع الأولاد والمال، فهنا لا بد له من وقاية وعلاج؛ لكي يعيد توازن حياته، وتكمن طرق الوقاية والعلاج منهما في أمور عدة وهي ما يلي:

1_ **اختيار الزوجة الصالحة:** هي أولى مقومات الحياة، واللبننة الأولى لبناء الأولاد وبناء الأسرة وبناء المجتمع يبدأ باختيار الزوجة الصالحة؛ لأننا أقدر على تحمل المسؤولية وتدبير لوازم المعيشة والسكن، والله تعالى جعلها سكناً في قوله: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: 21] فمن أراد أن ينعم بأولاد صالحين، يبدأ باختيار الزوجة الصالحة "وأن الشريعة طلبت التزوج ورغبت عن الرهبانية، فليس لمسلم أن يترك الزواج على نية العبادة والتقرب إلى الله تعالى، لأنه سبحانه قد امتنّ علينا بالزواج بقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا.....﴾ [الروم: 21] ، وطلب إلينا أن ندعوه بالتوفيق بالسرور بالزوجة الصالحة والولد البار فقال: رَبَّنَا هَبْ لَنَا ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: 74]، وقال: ﴿رَبَّنَا

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 4 / 2360.

آتَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴿البقرة: 201﴾ وهي الزوجة الصالحة¹.

فالعزج إذآ لم يشعر بالسكن في حياه، لن يستطيع حل مشآكل أولآده؛ لأنه لم يحل مشكلته هو من بداية الأمر، فكان اختيار الزوجة الصالحة بمثابة وقاية وعلاج لتربية أولآده حتى يكون قآدرآ على مواجهه الحياه مع أولآد صآلحين يبروه ويطيعوه "ثم إن الأمر لا يقتصر على السكّن إنما ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21] المودة هي الحب المتبادل في (مشوار) الحياه وشراكتها، لأن الله يقول ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى﴾ [الليل: 4] هذا في إطار من الحب والحنان المتبادل"².

فكانت مقدمات الزواج ومراحله الأولى؛ ليستعد الزوج على مواجهه الحياه مع زوجه تُعينه على تربية الأولآد، وتؤدي الوجبات التي أنيطت بها، فلو لم تكن الزوجة صآلحه، لما استقامت شؤون الأسرة، ولتفككت أوآصرها، وصارت عرضة للهوان وللأفكار الهدامة.

2_ عدم الانشغال بالمال والأولآد والحرص الشديد لهما: من آفات استخدام المال والأولآد بشكل خاطئ، هو التعلق والانشغال بهما عن واجباته، تجاه نفسه ودينه، ويكمن الخطر في الحرص الشديد عليهما "إن الانغماس في الغرور الناتج عن المال والأبناء يعد أمراً مضللاً، إذ يمكن للإنسان أن يعيش حياه كامله دون الحاجة إلى المال أو الأولآد، ومن يظن أن المال والأبناء سيمنحانه قيمة أكبر، سيجد نفسه يوم القيامة في حالة من الحسرة والندم، ذلك لأن كل ذكرى تتعلق بكون المال والأبناء قد أبعدوه عن ما يؤهله لهذا الموقف، ستزيد من معاناته وتجعل آلامه أكثر حدة"³.

فالأولآد والمال إذا لم يعرف المسلم كيف يتصرف معهما، تكون عليه خسارآ وحسرة في الدنيا والآخرة، فكانت الوقاية والعلاج من هذه الفتنتين، هو توخي الحذر وعد الانسياق وراء ملذآتهما

¹ الزحيلي، التفسير المنير 2/ 304.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي 18/ 11360.

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي 3/ 1694.

"والافتتان بالأموال والأولاد مدعاة للفساد: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28]

1.

فهما يفسدان على المرء حياته ودينه، إذا كان حرصه عليهما شديداً، فعلى المسلم أن يكون واعياً لهذه الفتنة "ويجب محاربة المتعة حتى لا تشتط بالإنسان بطلب متعة أبقى، ولذا علمنا الله تعالى الإيمان بأن عند الله أجرًا عظيماً، إذا قاومنا فتنة المال ... والمقاومة بالحذر، وألا نتعدى حدود الله تعالى ... ولذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] وذلك أجر مقاومة الفتنة، والوقوف بالحجة للمال والولد، عند الحد الذي لا تكون معه خيانة، ولا تجانف لإثم².

وليتذكر المسلم أن عند الله أجراً كبيراً عظيماً، لمن استطاع أن يوازن في حياته بين حب المال والأولاد، واستطاع أن ينجو بنفسه من هذه الفتنة.

3_ **التربية الحسنة للأولاد:** من الأمور المتفق عليها بين المفسرين أن التربية الحسنة للأولاد هي بمثابة الدواء الناجع؛ لتجنب الأولاد عدم الانحراف والشذوذ، فالمسلم دائماً يدعو ربه بالذرية الصالحة ويدعو بصلاح الأبناء "وهب لنا من ذرياتنا أولاداً ملتزمين بمنهج الله، لا يحيدون عنه، ولا يُكَلِّفُونَا فوق ما نطيق في قول أو فعل؛ لأن الولد إن جاء على خلاف هذه الصورة كان مصيبة كبرى لوالديه، بدليل أن الرجل قد يسرف على نفسه بأنواع المعاصي، وقد يُقَصِّر في حق الله، لكن يحزن إن فعل ولده مثل فعله³.

والتربية الحسنة للأولاد هي نجاة للأبوين في الدنيا والآخرة، كذلك هي من الأجور العظيمة التي تُدخِر لهما يوم القيامة، ويفوز بالجنات لمن أحسن تربية أولاده، وكذلك حسن تدبير أمواله، ويعرف كيف يتصرف بها من النفقة والزكاة والإطعام فيكون له فيها أجوراً عظيمة "فالواجب على المؤمن اتقاء خطر

¹ الزحيلي، التفسير المنير 9/ 238.

² محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير 6/ 3108.

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي 17/ 10522.

الفتنة الأولى يكسب المال من وجوهه الحلال، وإنفاقه في وجوهه المشروعة ... واتقاء خطر الفتنة الثانية باتباع ما أوجبه الله على الآباء من حسن تربية الأولاد على الدين والفضائل، وتجنبهم أسباب المعاصي والردائل¹.

والتربية ليست أمرا هينا يخضوها الوالدان، بل التربية فيها مشقة ونصب، لذلك فقد "أمر الله- والأمر للوجوب- بأن يقي المؤمنون أنفسهم النار بأفعالهم، وأهلهم بالنصح والوعظ والإرشاد. وهذا يتطلب الالتزام التام بأحكام الشرع أمرا ونهيا، وترك المعاصي وفعل الطاعات، ومتابعة القيام بالأعمال الصالحة، وحث الزوجة والأولاد على أداء الفرائض واجتناب النواهي، ومراقبتهم المستمرة في ذلك"².
فالتربية عملية تكاملية بين الرجل المرأة، وعليهما أن يعرف كل منهما دوره بالتربية؛ لينشئ الأولاد نشأة طيبة حسنة، يرى أثرها في قابل الأيام، أما إن يترك أولاده هملا بدون رقيب ولا تربية، فسيكون أولاده من أشد الأعداء كما أخبر الله تعالى.

4_ الصبر على أذاهم: من أهم العلاجات التي على المسلم أن يتسم بها هو الصبر، فالصبر له مزايا كبيرة وهبات عظيمة، كما أخبر الله بذلك، والصبر على تربية الأولاد والصبر على أذاهم، من أهم الخطوات في التربية الحسنة للأولاد فلولا الصبر والتحمل من أجل الأولاد، فلن تكون هناك تربية حسنة؛ لأن المشقة مقرونة بالصبر، والصبر هو وقاية لهم من الانزلاق في الردائل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6]

أي: "أيها الذين صدّقوا الله ورسوله: ليعلم بعضكم بعضا ما تتقون به النار وتدفعونها عنكم، إنه طاعة الله تعالى وامتنال أوامره، ولتعلموا أهليكم من العمل بطاعته ما يقون به أنفسهم منها، واحملوهم على ذلك

¹ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 6/ 82، وينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار 9/ 537.

² الزحيلي، التفسير المنير 28/ 320.

بالنصح والتأديب"¹.

وصلاح الأولاد يبدأ بصلاح الزوجين، بأن يعرف كل منهما، كيف يربيان أولادهما وكيف يتعامل معهم. فالواجب على المسلم أن يصلح نفسه وبقي شر النار، ثم يتجه إلى تكوين أسرته على مبادئ الدين، ويغرس في نفوس أولاده آداب القران والفضائل العليا، فبهذا يكون قد وقى أهله من النار، فلست مطالبا بنفسك فقط، بل عليك نفسك ثم أهلك وأسرتك².

والصبر على أذى الأولاد يتطلب المران والممارسة وتحمل النفس، وكذلك بالدعاء وسؤال الله المعونة على حسن تأديبهما، فالدعاء للأولاد هو أحد أبواب التربية الحسنة.

5_ **عدم التمسك بالمال وبذله لمن يستحقه:** من علامات التخلص من حب المال والتعلق به والحرص عليه هو بذله لمن يستحق، بالصدقة والزكاة والنفقات وغيرها، وذلك لكي يكون ماله في نماء وزيادة ويتخلص من الطغيان، ويكون في المال "دفع الحاجة وسد الخلة، وذلك مقصد راجح على مراعاة جانب المالك الذي اكتسب المال وتعلق قلبه به، لكنه فضل عنده فائض زائد على قدر حاجته، فأبقينا له الكثير، وأخذنا منه اليسير"³.

فإعطاء المال للفقراء هو أحد أوصاف المؤمنين، الذين ينفقون في السراء والضراء، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: 134] فهم ثابتون على البذل، ماضون على النهج، لا تغيرهم السراء ولا تغيرهم الضراء، والسراء لا تبطريهم فتلهيهم، والضراء لا تضجرهم فتنسيهم، إنما هو الشعور بالواجب في كل حال والتحرر من الشح والحرص ومراقبة الله وتقواه، وما يدفع النفس الشحيحة بطبعها، المحبة للمال بفطرتها، ما يدفع النفس إلى الإنفاق في كل حال، إلا دافع أقوى من

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 162 / 28.

² ينظر: محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 3 / 705.

³ الزحيلي، التفسير المنير 10 / 280.

شهوة المال، وريقة الحرص، وثقلة الشح، دافع التقوى. ذلك الشعور اللطيف العميق، الذي تشف به الروح وتخلص، وتنطلق من القيود والأغلال"¹.

فمن يدفع المال للنفقات والصدقات، فهذا قد تخلص من فتنة المال، وهذه الفتنة قد تعمي كثيرا من الناس وتمنعهم عن أداء حقها، فكان العلاج هو عدم الحرص الشديد على هذه الأموال، وعدم البخل بها على مستحقيها "وأن أهل الحق هم الذين يتحملون البأساء والضراء في أموالهم وأنفسهم ابتغاء مرضاة الله، ناسب أن يذكر هنا ما يرغب الإنسان في الإنفاق في ذلك السبيل، ومن المعلوم أن بذل المال كبذل النفس، كلاهما من آيات الإيمان، فالسامع لما تقدم تتوجه نفسه إلى البذل فيسأل عن طريقه"².

ثالثا: فتنة الشهوات: وطرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة تكمن في أمور عدة وهي كما يلي:

1_ الصبر عن الشهوات: ملذات الحياة كثيرة وشهواتها تحيط بالإنسان من كل جانب، فإذا لم يمسك الإنسان نفسه عن تلك الشهوات؛ سيخسر دينه وحياته ويؤثر ذلك سلبا في سيره في هذه الحياة، لذلك كان الصبر عن الشهوات هو أحد العلاجات المهمة للمسلم في حياته؛ لكي ينجو بنفسه من متاهات وضيق الحياة، ومن سوء المنقلب والعذاب يوم القيامة، والدخول إلى هذا الباب يحتاج إلى مجاهدة "وطريق العلاج لهذا المرض أن تؤمنوا حقا، وتستعينوا على أنفسكم الأمانة بالسوء، على مرضاة الله بالصبر الحقيقي وهو إنما يكون بتذكر وعد الله بحسن الجزاء لمن صبر عن الشهوات المحرمة، وتستعينوا بالصلاة لترويض النفس على التزام جادة الاستقامة"³.

فكبح النفس عن التطلع إلى الشهوات، أمر ضروري لكل من يسير في حياته؛ لنيل السعادة والرضا والتوفيق، ولقد دلّ على الصبر آيات كثيرة، تدعو لضبط النفس وتحملها ولجامها؛ كي تستقيم

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن 1/ 475.

² أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 2/ 129.

³ الزحيلي، التفسير المنير 1/ 155.

على الطريق المستقيم؛ ولكي تحيد عن طريق الملذات والشهوات الفانية، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45] "فالصبر الحقيقي إنما يكون بتذكر وعد الله بحسن الجزاء لمن صبر عن الشهوات المحرمة التي تميل إليها النفس، وعمل أنواع الطاعات التي تشقّ عليها، والتفكر في أن المصائب بقضاء الله وقدره، فيجب الخضوع له والتسليم لأمره، والاستعانة به تكون باتباع الأوامر واجتناب النواهي بقمع النفس عن شهواتها وحرمانها لذاتها"¹.

والصبر عن الشهوات والمحرمات، لا يعد من باب التضييق على المسلمين، بل يُعد من باب ترويض النفس، لعدم التطلع لما في أيدي الآخرين، وزجرها عما حرم الله، ومن حكمة الله تعالى أن جعل لكل شهوة من الشهوات طريقاً نظيفاً يستطيع المسلم من خلالها، أن يأخذ نصيبه من هذه الشهوات التي جعلها الله في هذه الحياة، بالموازنة وبتحري الحلال والبعد عن الحرام.

2_ ترك الشهوات من أجل ما عند الله من الأجور العظيمة: من الأساليب التي تمنع النفس عن الشهوات، والخوض في ملذاتها، والانغماس في متاعها، وتكون وقاية للنفس من اجتراحها، هو التذكر بالنعيم وبالأجور الكبيرة بما عند الله تعالى، وبما ادخره الله عز وجل يوم القيامة، لمن ترك المحرمات والشهوات؛ لأجل الله تعالى، وقد نبه الله تعالى عباده على زوال متع الدنيا وفنائها في آيات كثيرة، وبين كثيراً في كتابه العزيز أن هذه الشهوات وهذه المغريات هي من متع الدنيا وأن الله عنده الخير والفضل، فقال جل شأنه: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ﴾ [آل عمران: 14] أي: هذه الدنيا متاع، والمآب إذا رجع، فهذا الأمر يجعلونه وسيلة في معاشهم، وسبباً في قضاء شهواتهم، والله عنده أحسن من هذه الشهوات في الحياة الآخرة، فلا نبغي أن يجعلوا كل همهم في متع الحياة، فعلى المؤمن ألا يفتن بهذه الشهوات، ويجعلها أكبر همه، وشغله الشاغل عن آخرته، فإذا فعل ذلك ووقف عند حدود الله

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 1/ 106.

وفق لسعادة الدارين¹.

والله تعالى دائما ينفر عباده من الدنيا، ويرغبهم في الآخرة؛ لأن الدنيا صائرة إلى زوال، ولا ينبغي للمسلم أن يركن إليها، ولا أن يعول عليها ولا يجعلها همه وشغله الشاغل؛ كي لا يغتر بها وتنسيه طاعة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾ فهذا حص من الله لعباده بالزهد في الدنيا، وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الآخرة، وجعلها مقصودة العبد ومطلوبه، ويخبرهم الله تعالى أن جميع ما في أيديهم هي من الملذات الفانية، وهي متاع الدنيا وزينتها، يتمتع بها وقتا قصيرا، ولا تخلوا هذه المتع من المنغصات والأكدار، ثم هو يزول سريعا ولم يستفد منها صاحبها إلا الحسرة والندامة، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من النعيم المقيم، والعيش السليم ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ في وصفه وكميته وهو دائم أبدا، ومستمر أبدا².

فتذكر الآخرة والأجور العظيمة، تمنع النفس الهوى من التمسك بالشهوات ويصبح للإنسان حاجزا بينه وبين ما يشتهي، ولا بد للإنسان من أن يذكر نفسه بخلع الدنيا من قلبه، وتذكر نعيم الآخرة؛ كي تستقيم حياته ودينه، ويكون طريقه وفق الطريق المستقيم.

3_ غض البصر عن ما حرم الله: الشهوات في حياة المسلم كثيرة، فإذا لم يضع لنفسه حواجز ومصدات، يوشك أن تكون حياته بلا قيمة ولا نفع، فهو يرتع في الشهوات والمعاصي، ويتدحرج في ظلمات الملذات، وأحد طرق الوقاية والعلاج من هذه الشهوات، وخاصة شهوة النساء هو غض البصر، التي أكد الله تعالى عليها في كتابه الكريم، تحذيرا للمؤمنين من هذه الآفة الكبيرة والتي من خلالها يستدرج الشيطان الإنسان إلى الهاوية، ثم إلى الزنا والعياذ بالله قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ

¹ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 3/ 112.

² ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 621.

وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30] ففي هذه الآية "الخطاب موجّه إلى المؤمنين، الذين هم بحكم إيمانهم بالله، ومراقبتهم له، أهل لأن يمتثلوا أمر الله ويستجيبوا له، وغضّ البصر، هو كسره، وعدم ملء العين من النظر إلى المحرمات من النساء، مخالسة، أو معالنة.. فإن النظر هو رسول الشيطان إلى تحريك الشهوة، والدعوة إلى الفاحشة"¹.

فغض البصر هو قطع طريق النفس والشيطان من الاستيلاء على الإنسان وعلى قلبه، والإسلام يريد دائما أن يكون قلب المسلم نظيفا، لا تخالطه الشوائب ولا الشهوات ولا المحرمات "وإن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين. فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي ... وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين، سليما، وبقوته الطبيعية، دون استثارة مصطنعة، وتصريفه في موضعه المأمون النظيف"².

وبعد أن بين الله تعالى من أن يحفظ المؤمنون أبصارهم، ويغضوها عن المحرمات، ويحفظوا فروجهم، بين لهم أن ذلك أزكى لهم وأطهر لقلوبهم وحياتهم؛ ولكي تكون حياتهم بعيدة عن المنغصات فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30] أي: "﴿ذَلِكَ﴾ الحفظ للأبصار والفروج ﴿أَزْكَى لَهُمْ﴾ أطهر وأطيب، وأتمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، ومن غض بصره عن المحرم، أثار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ"³.

¹ عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن 9/ 1263.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 4/ 2511.

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 566.

وغض البصر فيه طهارة للنفس من التلوث الذي يصيبها، جراء انفلات البصر للشهوات

والمحرمات، فالتحرز عن هذه الشهوات فيه نماء وركاة النفس قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾

"فهو أظهر لمشاعرهم وأضمن لعدم تلوثها بالانفعالات الشهوية في غير موضعها المشروع التنظيف، وعدم

ارتكاسها إلى الدرك الحيواني الهابط. وهو أظهر للجماعة وأصون لحرماتها وأعراضها، وجوها الذي تتنفس

فيه، والله هو الذي يأخذهم بهذه الوقاية وهو العليم بتركيبهم النفسي وتكوينهم الفطري، الخبير بحركات

نفوسهم وحركات جوارحهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30] ¹.

المطلب الثالث: مقارنة بين أقوال المفسرين القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الفتن

الفرع الأول: الفتن الدينية: في هذا المطلب مقارنة بين رؤية المفسرين القدامى والمحدثين لطرق الوقاية

والعلاج من الفتن التي ذكرت آنفاً، فيبدأ الباحث بالفتن الدينية ومقارنتها بين القدامى والمحدثين وعلى

النحو الآتي:

أولاً: فتنه الثبات على الحق: اختلفت آراء المفسرين القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من

الوقوع في هذه الفتنة على ما يلي:

1. رأي المفسرين القدامى في طرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة:

أ. الاستعانة بالله تعالى: إذا حطت الفتن رحالها على المسلمين، وخاصة في قضية الثبات على الحق

كان أول أمر عليهم هو الاستعانة بالله تعالى من شر هذه الفتنة، التي تصيب المسلمين ولقد قال الله

تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] فهنا بين الله تعالى أن يستعين العبد

على طاعته، وقوله اهدنا هو أن يثبت الله تعالى على الهدى، فهو طلب من الله تعالى من العباد أن يثبتهم

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن 4 / 2512.

على ما ارتضاه لهم ووقفوا له ومن الذين انعمت عليهم من قول وعمل¹.

ب. **معرفة حقيقة الباطل وعدم الاعتراض به:** الذي يريد أن يثبت على الحق عليه أن لا

يغتر بما عند أهل الباطل من مال وجاه ومنصب، فإن الثبات على الحق، والسير في طريق الله تعالى،

وطريق القرآن نهايته عظيمة، ويكون في رعاية الله، ومسدد من عند الله تعالى، قال الله تعالى لنبيه ﷺ:

﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: 196] فلقد نهي الله تعالى نبيه ﷺ عن

الاعتراض بضربهم في البلاد والسفر وإمهال الله تعالى لهم مع شركهم بالله تعالى وهذا الخطاب للنبي ﷺ

ولأصحابه الكرام، حتى يكونوا بالحق صادعين وداعين له².

ت. **الدعاء:** من أهم وسائل الثبات على الحق، هو الدعاء من الله تعالى، وطلب التثبيت

على الحق؛ لأن من لم يثبت الله تعالى على الحق، فلن يثبت أحد عليه، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ

قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8] أي: لا تملها

عن الحق، وهم يطلبون من الله تعالى أن يصرف عنهم ما ابتلي به الذين زاغت قلوبهم، ويقولون يا ربنا لا

تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك وطريقك المستقيم³.

2. رأي المفسرين المحدثين في طرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة:

أ. **صلاة المسلم على دينه:** المواقف تكشف الناس على حقيقتهم، ومن يتبع الحق ويثبت عليه،

فهذا له صلاة في دينه، وصلاة في مواجهة الظروف التي تحيط به، فالمسلمون الأوائل "آمَنُوا وثَبَتُوا على

إِيمَانِهِمْ وَهَاجَرُوا فَارَقُوا أَوطَانَهُمْ وَأَهْلَهُمْ وَجَاهَدُوا من الجهد: وهو المشقة في سَبِيلِ اللَّهِ لإِعْلَاءِ دينه يَرْجُونَ

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 1/ 169_171.

² ينظر: الطبري، تفسير الطبري / 493.

³ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 6/ 183_211.

يتوقعون النفع باتخاذ الأسباب "1.

ب. تثبيت الله تعالى للمؤمنين الصادقين: من يسير ويطلب الحق في هذه الحياة، فلن

يثبت إلا بتثبيت الله له، فالله تعالى يعين المؤمن الذي يتبع الحق ويسلك سبيله، فالسابقون لولا تثبيت الله لهم، لما ثبتوا على الحق وتمكنوا بثباتهم بنشر الإسلام في ربوع الدنيا، فكان هذا التثبيت هو العلاج الناجع لسالك طريق الهدى قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27] أي: ثبت الله الذين آمنوا به بالقول الثابت والكلمة الطيبة التي صفاتها العجيبة، إذا وجد من يفتنهم عن دينهم أو يؤثر عليهم في عقيدتهم، وانظر إذا أردت لبلال بن أبي رباح، وصهيب الرومي وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ قد ثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا على الحق².

ت. الصبر والثبات: طالب الحق لا ينفك عنه دخوله تحت بوابة الصبر، فلن يستطيع

الوصول إلى رضوان الله تعالى، ولا إلى السير على منهج أهل الحق، إلا بالتحلي بالصبر والمواظبة على طريقه، وحمل النفس على الصبر، فقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين في إيمانهم فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15] أي: "إنما المؤمنون الصادقون في دعوى الإيمان، الذين صدّقوا الله ورسوله، فأقروا لله بالوحدانية، ولسوله بالرسالة، عن يقين راسخ وإيمان كامل ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: ثم لم يشكوا ويتزلزوا في إيمانهم بل ثبتوا على التصديق واليقين"³.

3. مناقشة الآراء التفسيرية:

¹ الزحيلي، التفسير المنير 2/ 258.

² ينظر: محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح 2/ 260.

³ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 220.

تقاربت آراء المفسرين القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة، فكلما الفرقين أخذ طرقا وعلاجا لحالة المسلم التي يمر بها، ويرى الباحث أن الرأي الصائب والأرجح هو ما ذهب إليه المفسرون المحدثون، في علاجهم لهذه الفتنة؛ لأن صلابة المسلم أمر ضروري لمن خاض معركة الحق والثبات عليه.

ولولا تنبئ الله تعالى للصادقين المؤمنين فلن يثبت أحد، وكذلك يجر هذا الأمر إلى الصبر والتحمل، من أجل مقاومة الإنسان الظروف التي يعيشها في سبيل ثباته على الحق، فطرق وعلاج المفسرين المحدثين هو أقرب لتحقيق المراد.

ثانيا: فتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله: اختلفت آراء المفسرين القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في هذه الفتنة على ما يلي:

1. رأي المفسرين القدامى في طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في هذه الفتنة:

أ. الصبر على آذاهم في سبيل تبليغ الناس دعوة الأنبياء: لا بد لكل عمل من صبر يلزمه، حتى يكتمل هذا الأمر؛ لأن الصبر هو طريق الأنبياء، فعلى كل داعية للخير أن يتحلى به، فلولا الصبر لتساوى الناس بالأجور، فكيف إذا كانت هي دعوة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، فقد صبروا صبرا كبيرا، يعجز عنه ضعيفو الهمم؛ لذلك فقد مكنتهم الله في أرضه ومن إقامة دينه، مع أن أقوامهم كذبوهم وآذوهم، يقول الله تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: 184] أي: "فالله تعالى يعزي نبيه ليصبر على تكذيبهم، فقد جاءوا بالبينات يعني الرسل جاءوا بالبينات، أي: من قبلك"¹.

ب. الحكمة والموعظة الحسنة: لقد دعا الله تعالى الأنبياء من خلال دعوتهم إلى الحكمة

¹ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 1/ 271.

والموعظة الحسنة وحسن الكلام، من أجل أن يقع ذلك في قلوب الناس، ويكون أمراً مقبولاً، ولقد نهي الله تعالى إلى عدم التلفظ بالكلام البذيء لغير المؤمنين، فقال ربنا: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46] أي: يقول تعالى للمؤمنين به وبرسوله الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، فإذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم، يمكن أن يكونوا صادقين أو كاذبين، ولم تعلموا حالهم في ذلك فقولوا لهم: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّا وَإِهْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46]¹.

ت. المعجزات: وهي إحدى العلاجات التي تواجه الأنبياء عليهم السلام بعد أن يكذبهم أقوامهم هو إظهار المعجزات، ففي إظهارها قوة لهم، وإلزام الحجة عليهم حتى يدخلوا في دين الله تعالى، وإن النبي "لا بد له من آية ومعجزة بما يمتاز عن غيره، إذ لو لم يكن مختصاً بهذه الآية لم يكن قبول قول أولى من قبول قول غيره"².

2. رأي المفسرين المحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في هذه الفتنة:

أ. التمسك بالإيمان: إن التمسك بالإيمان هو أحد دعائم النجاة من النار يوم القيامة، وأهم الأسس التي تقوم عليها دعوة الأنبياء عليهم السلام، وما قامت دعوة الأنبياء، إلا بدعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى، والحض على طاعته، فالإيمان ينفع صاحبه ومعتنقه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى حكاية عن قوم يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: 98] أي: "فهلا كان أهل قرية من قرى أقوام أولئك الرسل آمنوا بعد دعوتهم وإقامة الحجة عليهم، فنفعهم إيمانهم قبل وقوع العذاب

¹ الطبري، تفسير الطبري 20 / 48.

² أبو عبد الله الرازي، تفسير الرازي 14 / 325.

الذي أُنذروا به"¹.

ب. **الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن:** الحوار والمجادلة من الطرق الحكيمة لنشر دين الله؛ ليكون الناس على بينة من دينهم، ولقد سطر القرآن الكريم كثيرا من حوارات الأقوام مع أنبيائهم، فمنهم من استجاب لهذه الحوارات، وكثير منهم صد عن الاستجابة للدين الحنيف، ولقد بين لنا القرآن الكريم، عن تفاصيل دقيقة من المجادلة والحوار مع أقوامهم، في سبيل وقايتهم من الهلاك والعذاب، قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: 63] فهذا النداء هو تعبير موحد عن حال الرسل الكرام مع ربهم، وتصور حقيقة ما يجدونه في أنفسهم لحقيقة الألوهية ومن صدق نفوسهم من اتصالهم بربهم، ولإثبات أن شأن النبي ﷺ مع ربه ومع الوحي، مما يبطل دعاوى المشركين، وهذا النداء هو لتثبيت القلة المؤمنة على الحق فهو الحق الذي جاء به جميع الأنبياء، والذي أسلم عليه المسلمون من أتباع الرسل².

ت. **تدبر قصص الأنبياء للناسي والعمل والعبرة والاتعاظ:** أتت قصص الأنبياء كذلك مع أقوامهم، التي بينها القرآن الكريم؛ للعبرة والاتعاظ قال الله تعالى حكاية عن قوم سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: 37] أي: بعد أن أغرقناهم بسبب كفرهم وعنادهم، جعلنا إغراقهم أو قصتهم عبرة وعظة للناس الذين يعتبرون ويتعظون وينزعجون، فكان مصيرهم أليم شديد بسبب ما اقترفتهم أيديهم³.

3. مناقشة الآراء التفسيرية:

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي 11 / 157.

² ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن 4 / 1864.

³ ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي 10 / 196.

هذه من الفتن القديمة التي وجدت مع الأنبياء عليهم السلام، ولها تأثير في واقعنا لمن لم يدخل الإسلام بعد، ولمن يحارب الإسلام، فمحاربة الإسلام هو محاربة أنبياء الله تعالى الذين جاؤوا بالدين الحنيف من عند الله تعالى، ويجد الباحث أن كلا الفريقين متقاربين في بيان طرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة، والناظر في طرح الفريقين يجد أن لا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر؛ لأن كلاهما قد أتى بعلاج ناجع، ولا يمكن تفضيل أحد الفريقين على الآخر، لما تحمله هذه العلاجات من ضرورة وحاجة لهذه الفتنة، فكان علاجهما علاجا متوازنا، ولا يمكن الاستغناء أحدهما عن الآخر.

ثالثا: فتنة الشبهات: اختلفت آراء المفسرين القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في هذه الفتنة على ما يلي:

1. رأي المفسرين القدامى في طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في هذه الفتنة:

أ. **تقوى الله تعالى:** من يتق الله تعالى فإن مغاليق الأمور تفتح أمامه، فكيف إذا كانت من الشبهات التي تعصف بدين المسلم، فالتمسك بتقوى الله تعالى يخرج الإنسان من التيه والضياغ إلى الحقيقة والبرهان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الأنفال: 29] يعني: إن تطيعوا الله ولا تعصوه، ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29] يعني: يجعل لكم مخرجا ونجاة ونصرا وفرجا في الدنيا، ويخرجكم من الشبهات، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويمحو عنكم ذنوبكم¹.

ب. **التمسك بالقرآن الكريم:** القرآن الكريم حبل الله المتين، من تمسك به نجي ومن اعتمد عليه فاز، ومن جعله نصب عينيه لم يخب، فيه دواء الأسقام والشفاء من العلل والأكدار، فالقرآن: "بَيَان من الضَّلَالَةِ لِلنَّاسِ ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ [البقرة: 185] واضحات من أمر الدين ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ الْحَلَال

¹ ينظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي 2/ 17.

وَالْحَرَامَ وَالْأَحْكَامَ وَالْحُدُودَ وَالْخُرُوجَ مِنَ الشُّبُهَاتِ¹.

ت. الرجوع إلى العلماء: العلماء هم الشعلة التي تنير للناس طريقهم، فهم أعلم الناس بشريعة الله تعالى، وهم أعلم الناس بالحلل والحرام، وإليهم يفرغ المسلمون عند حلول الأزمات والمشكلات والشبهات، فقد أفنوا حياتهم في سبيل تعلم العلم ونشره، فهم أدرى الناس بطرق الشبهات، التي تصيب الفرد والمجتمع، وقد مدحهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] وقد وجه الله تعالى عباده إلى العلماء عندما يطرأ عليهم طارئ، أو يحتاجون إلى تبيين الأمور والمشكلات التي تصيبهم فقال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43] وأهل الذكر هم العلماء، والعلماء كل له مجاله وتوجهه فالعلماء بالأحكام اليهم الرجوع في الاستفتاء من قبل العوام، فمن أشكل عليه شيء من أحكام الشريعة من الأمر والنهي يرجع إلى الفقهاء، ومن اشتبه عليه شيء رجع إلى العلماء².

2. رأي المفسرين المحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في هذه الفتنة:

أ. الاعتصام بكتاب الله تعالى: كتاب الله تعالى هو العلاج والدواء لكل الملمات التي تحيط بالمسلم في حياته، فهو بلسم لمن أودى بالجراح، ويقين لمن التبست واختلطت عليه الأمور، وخاصة ما يتعلق بأمور الشبهات، وما أكثرها اليوم، والتي قد تطاير شررها، فأصبحت منتشرة بين المسلمين من كل جانب، والذي يُنجي من هذه الآفات والمنكرات والشبهات، هو القرآن الكريم الهادي إلى طريق مستقيم، وهو العلاج الناجح الذي يجلو الشبهات ويزيل العتمة عن العيون "هو القرآن الهادي لكم إلى سواء السبيل إذا تراكمت ظلمات الشبهات، والمنقذ لكم من الضلالة إذا أحاطت بكم الخطيئات، سُمي نورا

¹ مجد الدين الفيروزآبادي، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص 25.

² ينظر: عبد الكريم بن هوازن القشيري، تفسير القشيري 2/ 299.

لأنه بإعجازه بين بنفسه أنه حق نازل من عند الله تعالى، مبين لغيره ومظهر للحلال والحرام، كما أن النور كذلك، والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية"¹.

ب. **اللجوء والاعتصام بالله تعالى:** التوكل على الله تعالى في جميع شؤون الإنسان، يخرج من التيه والحيرة والضيق، ومن اعتصم بالله نجى من الفتن والشبهات فهي "عدة النور الهادي الذي يكشف منحنيات الطريق ودروبه على مد البصر فلا تغبشه الشبهات التي تحجب الرؤية الكاملة الصحيحة ... ثم هو زاد المغفرة للخطايا، الزاد المطمئن الذي يسكب الهدوء والقرار"². والثبات في المواقف هو من ثبته الله تعالى على المصائب والفتن التي تحيط بالمسلم، فمن التجأ إلى الله تعالى عند انتشار الشبهات، يُنقذه الله تعالى من المهالك والأهواء، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27] ففي هذه الآية "يُخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها"³.

ت. **يجب على المسلم الابتعاد عن مواطن الفتن والشبهات:** من العلاجات المهمة التي ينبغي للمسلم أن يضعها نصب عينيه، ويقف عندها، هي الابتعاد عن المواطن التي تنتشر فيها الضلالات والشبهات؛ فإن ذلك أسلم لنفسه ولدينه، فهو يصارع الشر والظلمات "كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه،

¹ محمد الأمين المرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن 368 / 29.

² سيد قطب، في ظلال القرآن 3 / 1499.

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 425.

فالباطل يذهب ويمحقه الحق ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81] وقال هنا: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17] ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال¹.

3. مناقشة الآراء التفسيرية:

من ينظر في طرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة عند المفسرين القدامى والمحدثين، يجد أن علاجهما متقاربين متوازيين، فقد ركزوا على نقاط مشتركة فيما بينهم، وهم يرون صدق التوكل على الله، والاعتصام بالله وبكتابه، هي من أهم طرق ومن أهم العلاجات للنجاة من الشبهات.

وهم يرون كذلك أن يتبع الناس العلماء في كل النوازل، حتى ولو لم يصرح المفسرون المحدثون بذلك، لكنهم متفقون على أن العلماء هم منارةً وضياءً لمن تاهت به السبل، وهم أعمدة في فهم الدين الصحيح الذي ليس فيه غلو ولا تفريط، فيرى الباحث أن علاجهما علاج واضح ومراميهم واحدة، ويُشكل على الناظر الأخذ بأحدهما وترك علاج الآخر، والله موفق.

رابعاً: فتنة الاختلاف والتفرق: اختلفت آراء المفسرين القدامى والمحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في هذه الفتنة على ما يلي:

1. رأي المفسرين القدامى في طرق الوقاية والعلاج من هذه الفتنة:

أ. التمسك بدين الله تعالى: إن التمسك بدين الله تعالى يعصم الإنسان من الفتن عموماً، ومن فتنة الاختلاف والتفرق على وجه الخصوص؛ لأن فيه النجاة والهداية، وفيه السبيل للتعامل مع هذه الفتنة والتي قد يتطير شررها فيضر بذلك الأفراد والمجتمعات؛ لذلك جاءت الآيات تحث وتنبه وتدعو لهذا الأمر، وتدعو للتمسك والاعتصام بدين الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: 103] أي: تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدين وشريعة الله تعالى الذي أمركم به، وتمسكوا

¹ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 416.

بعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأوامر الله تعالى¹.

ب. نبذ الفرقة والتمسك بالوحدة: فقد حذر الله تعالى عباده من الفرقة ودعاهم إلى التمسك بالجماعة، فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ "عن دين الله الذي أمر فيه بلزوم الجماعة"². فالجماعة تضمن عدم الانحراف وراء الأهواء ووراء التشردم والفرقة، وقد نهي الله تعالى عن عدم التنازع والشقاق فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ [الأنفال: 46] "مَعْنَاهُ: وَلَا تَخْتَلَفُوا فَتَضَعُفُوا" ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46] مَعْنَاهُ: جِدْكُمْ وَجْهَكُمْ"³.

ت. الإصلاح: إذا حصلت الفرقة والاختلاف بين طرفين، وجب على المؤمنين الإصلاح بينهم؛ لأن المؤمنين إخوة كما أخبر بذلك الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] ولا خير في كلام كثير إذا لم يصب في مصلحة المسلمين وإحدى هذه المصالح هو الإصلاح قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114] أي: لا خير في كثير من نجوى الناس جميعا إلا من أمر بصدقة أو معروف، والمعروف هو كل ما أمره الله أو ندب إليه عباده من أعمال البر والخير، أو إصلاح بين الناس والإصلاح هو بين المتباينين المتخاصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما ويكون الإصلاح بالتراجع إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، على ما أذن الله وأمر به⁴.

2. رأي المفسرين المحدثين في طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في هذه الفتنة:

¹ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 7/ 70.

² أبو الحسن علي بن محمد بالماوردي، تفسير الماوردي 1/ 414.

³ أبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني 2/ 270.

⁴ ينظر: الطبري، تفسير الطبري 9/ 201_202.

أ. الاعتصام بحبل الله جميعاً: من أهم العلاجات التي ينبغي الرجوع إليها عند حلول الاختلاف والتفرق، هو الاعتصام بالله تعالى والاعتصام بحبله، فهو السبيل الذي يحل الخلافات ويطرد النزاعات ويسكن الشقاق بين المسلمين، ويكون ذلك سبباً في قوة المسلمين "ووالله، لو عُذْنَا إلى حبل الله الواحد فتمسَّكنا به، ولم تلعب بنا الأهواء لَعُدْنَا إلى الأمة الواحدة التي سادت الدنيا كلها"¹.

ب. لزوم جماعة المسلمين ونبذ الفرقة: لقد أمر الله تعالى المسلمين أن يكونوا يد واحدة وجماعة واحدة، لا تفرق بينهم الأعراق ولا الأنساب ولا الآراء؛ لأن هذا الدين هو دين التوحيد الخالص، فكان لزاماً على أتباعه أن يقفوا عند أوامره ونواهيه، وديننا يدعو للوحدة وينهى عن الفرقة "وبالاعتصام بحبل الوحدة، وشد أواخي الإخاء، ولا يرتفع الشيء إلا برفع أسبابه، ولا يستقر إلا بتحقيق وسائله، وهو بمعنى قوله عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]"².

ت. الرجوع عند التنازع والاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: إن الأمة الإسلامية معرضة للاختلاف والتفرق، فإذا وقع هذا الاختلاف والنزاع فقد بين الله تعالى بأن يردوه إلى الله تعالى وإلى رسوله وإلى أولي الأمر فوجب "تحكيم القرآن والسنة فيما قد يقع فيه المسلمون من نزاع أو اختلاف في

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي 16/ 9642.

² محمد رشيد رضا، تفسير المنار 2/ 206.

الرأي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾

[الشورى: 10] ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]¹.

3. مناقشة الآراء التفسيرية:

تناسبت وتوافقت آراء المفسرين القدماء والمحدثين في طرح الوقاية والعلاج من هذه الفتنة؛

لأنها من الفتن التي وجدت منذ زمن بعيد، فقد وجدت منذ عهد النبي محمد ﷺ، لكنها لم

تتخذ شكلاً كبيراً في الاختلاف والتفرق، فقد كان النبي محمد ﷺ، يوقف أي نزاعات أو

اختلاف بين الصحابة، لكن كثرت الاختلافات والنزاعات بعد ذلك، وإلى يومنا هذا نجد

هناك تبيان واختلاف بين الأمة إلا ما رحم ربي، فقد كثرت الجماعات والتحزبات.

فكان العلاج واحداً؛ وذلك لحاجة الأمة لهذا الأمر، وحاجتهم لنفس القيم التي بينها الله

تعالى في كتابه الحكيم، وبينها النبي محمد ﷺ، فيصعب ترجيح أحد القولين على الآخر،

ويمكن أن نأخذ جميع الأقوال في الوقاية والعلاج من فتنة الاختلاف والتفرق.

الفرع الثاني: الفتن الدنيوية: من خلال البحث عن طرق الوقاية والعلاج من الفتن الدنيوية، عند

المفسرين القدماء والمحدثين، وجد الباحث أن ما ذكره القدماء نفس العلاج الذي ذكره المحدثون، ماعدا

اختيار الزوجة الصالحة، فلم أجدها عند المفسرين القدماء، وقد بينها المفسرون المحدثون في طرق العلاج

من فتنة الأولاد، ووجد الباحث تقارب كبير في أقوالهم، فلا داعي لعقد مقارنة بين أقوالهم.

¹ الزحيلي، التفسير المنير 4/ 29.

الخاتمة

بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، فقد أتم الباحث هذا الجهد المقل، وانطلاقاً من أهمية البحث وتحقيقاً لغاياته، فقد من الله تعالى على الباحث إتمام الدراسة، والتي تجوّل فيها بين الفتن تفسيراً وتديقاً وفهماً، فقد تمخضت هذه الدراسة على أمور عدة:

أولاً: النتائج

1. تأخذ الفتنة معاني متعددة في حالات معينة؛ لأن الفتنة يُعبر عنها بألفاظ مختلفة، تدل من خلال هذه الألفاظ على الفتنة، مثل الامتحان والاختبار والتمحيص.
2. الفتنة أعم من الابتلاء حيث تأتي الفتنة على معان كثيرة، والابتلاء واحد من هذه المعاني، رغم أن عدداً من الآيات القرآنية جاءت فيها الفتنة بمعنى الابتلاء إلا أن هناك فرقا بينهما من حيث الاستعمال اللغوي، وذلك في كون الفتنة أشد من الابتلاء.
3. دون المفسرون أقوالهم وآرائهم عن الفتن قديماً وحديثاً، وتحدثوا عنها وفق ما يناسب عصرهم ووقتهم، وتختلف الفتن من زمن إلى زمن، وفق تغير الزمان والمكان، ووفق توصيف المفسرين للفتن.

4. من خلال الاطلاع على أقوال المفسرين في الفتن، يمكن أن تقسيمها إلى فتن دينية وفتن دنيوية، وكيف تناولها المفسرون القدامى والمحدثون، وبيان وجهات نظرهم في رؤية الفتن من زمن إلى آخر.
5. تعود أغلب الفتن الدينية إلى فتن رئيسة، منها تنطلق وتتفرع باقي الفتن، وهذه الفتن هي التي اختارها الباحث؛ لتمحور أكثر الفتن عليها وهي: فتنة الثبات على الحق، وفتنة أعداء الأنبياء وصددهم الناس عن طريق الله، وفتنة الشبهات، وفتنة الاختلاف والفرق.
6. تركز أغلب الفتن الدنيوية على ثلاثة فتن، والتي بينها الباحث في هذه الدراسة، ومنها تتفرع باقي الفتن، وهي: فتنة الأولاد، وفتنة المال، وفتنة الشهوات.
7. تحتاج الفتن حياة المسلم من كل جهة، ويخوض الإنسان معركة ضد التصدي لها، وعدم الانقياد لتبعاتها، ويحاول الإنسان قدر استطاعته، ألا يلج في ظلماتها ولا في تشعباتها؛ ولكن لا فرار للإنسان من أن يقع في شباكه وفي مكائدها، فلهذا السبب كان على الإنسان أن يبحث عن أسباب وقوعها؟ ومن أين نشأت؟ والمسلم عندما يتتبع هذه الأسباب، فهو بذلك يجعل لنفسه حصنا منيعا، في الصدد عن الولوج إلى تلك الفتن، وكيفية حماية ليس نفسه فقط؛ بل يتعدى الأمر إلى أن يعصم نفسه وأهله ومجتمعه منها، بحيث لو عرف أسباب وقوعها لعرف كيف يتجنبها ويتخطاها بسلام، ويتمسك بما وجهه الله تعالى من الطرق السليمة والأوامر الحكيمة.
8. لكل فتنة أسبابها الخاصة، والتي بسببها وقعت الفتنة، ومن أسباب وقوع الفتن الدينية عند المفسرين القدامى، هي إطاعة الشيطان، وضعف الإيمان، وإثارة الشبهات والشكوك.
9. من أسباب وقوع الفتن الدنيوية عند المفسرين القدامى، التي مرت خلال البحث، هي الانشغال بالدنيا عن الآخرة والاستعداد لها في التفريط في الصالحات، و الافتتان بالنساء، الافتتان بالمنصب والجاه.

10. ومن أسباب وقوع الفتن الدينية عند المفسرين المحدثين أهمها، عدم تحمل المشقة والأذى، كثرة

المغريات في هذا الزمن، التكبر عن قبول الحق، التحريف والتأويل الخاطئ.

11. من أسباب وقوع الفتن الدنيوية عند المفسرين المحدثين أهمها، المال والأولاد مصدر شقاء وتعب

للإنسان، شهوات الدنيا، إغواء الشيطان.

12. في هذه الدراسة تم عرض أقوال المفسرين القدامى وأقوال المفسرين المحدثين ونظرهم للفتن الدينية

والفتن الدنيوية، وعمل مقارنة بينهما والترجيح بين أقوالهم.

13. لا يوجد اختلاف كبير وواسع بين رؤية المفسرين القدامى والمحدثين للفتن، سوى بعض الفتن،

والتي تبرز حاجة عصر المفسرين لهذا الفرق.

14. تكمن أهمية مقارنة الفتن بين المفسرين القدامى والمحدثين، لفهم أعمق للفتن وتفسيرها وبيان

أسبابها وآثارها وطرق الوقاية والعلاج من هذه الفتن، والوصول إلى رؤية واضحة وشاملة تجمع

المنظورات القديمة والحديثة، وتسهم في إثراء المعرفة العلمية.

15. تنتشر الفتن في مختلف جوانب الحياة، وتؤثر على الفرد والمجتمع، فعلى المستوى الفردي، يمكن

للفتنة أن تؤثر على السلوك والشخصية والإيمان، وعلى المستوى المجتمعي، تؤثر الفتن على الأمور

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغالباً ما تنعكس سلباً، وقد تنعكس إيجاباً، وللفتنة تأثير كبير

على مجرى الحياة ويمكن أن تؤدي إلى انهيارات مجتمعية وأمراض كبيرة مثل الانقسام والصراع

والتطرف.

16. تبين من خلال الدراسة، أن للفتن عامة آثاراً إيجابية وآثاراً سلبية، فمن أهم الآثار الإيجابية هي:

اكتساب الأجور ومضاعفتها، تكفير السيئات، ومن أهم الآثار السلبية للفتن هي: تسلط

الأعداء، والضلال والانحراف.

17. عرفنا من خلال دراستنا، أهمية دراسة وفهم الآثار للفتن؛ وذلك لمعرفة اتجاهاتها ونتائجها، من خلال تحليل الظروف التي أدت إليها، والتمييز بين آثار كل فتنة.
18. من أهم آثار الفتن الدينية عند المفسرين القدامى هي: الخوف والاستضعاف، التمحيص، ابتغاء الفتنة بين الناس، الاختلاف والتنازع سبب هلاك الأمم وذهاب الدول.
19. من أهم الآثار الدنيوية عند المفسرين المحدثين هي: صلابة المسلم على دينه، التمييز بين المؤمنين والكافرين، نشر الآراء والأفكار المنحرفة، التعصب والتطرف.
20. تقاربت نظرة المفسرين القدامى والمحدثين للآثار الدنيوية، لأنها من الأمور التي تلازم حياة الفرد والمجتمع، فكان أثرها متقارب على مر العصور، وربما يختلف تأثيرها من عصر لآخر؛ بسبب ضعف النفوس، والابتعاد عن مراد الله تعالى.
21. من أهم الآثار التي اتفقت بين المفسرين القدامى والمحدثين للفتن الدنيوية هي: تحمل المصائب والآلام، التحاسد والتدابير والتباغض، الفساد والابتعاد عن الله تعالى.
22. من خلال الاطلاع على الفتن الموجودة التي ذكرها القرآن الكريم، نجد أن الله تعالى أوجد للفتن وقاية ومخارج ونتائج وعلاجات، وبينها المفسرون، والتي من شأنها أن تحجم وتغلق أبواب هذه الفتن.
23. لقد تنوعت أساليب المفسرين القدامى والمحدثين، في طرح الوقاية والعلاج من الفتن، بين الترهيب والترغيب، وبين الشدة واللين؛ حتى يكون لكل فتنة العلاج المناسب لها، ويمكن تدارك هذه الفتن، بالسير وفق الخطوات التي وضعها المفسرون.
24. من أبرز طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدينية عند المفسرين القدامى هي: الاستعانة بالله تعالى، الحكمة والموعظة الحسنة، والرجوع إلى العلماء، ونبذ الفرقة والتمسك بالوحدة.

25. من أهم طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدنيوية عند المفسرين القدامى هي: حسن

تربية الأولاد، والانفاق في سبيل الله تعالى، واستدكار الأجور العظيمة عند الله تعالى لمن ضبط

نفسه عند الشهوات.

26. تتبع المفسرون المحدثون قضايا الفتن ومداخلها ومخارجها؛ ليضعوا المسلمين على طريق مستقيم،

ويتجنبوا الخوض في الفتن قدر المستطاع، فمن أهم طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن

الدينية عند المحدثين هي: الصبر والثبات، والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، يجب على المسلم

الابتعاد عن مواطن الفتن والشبهات، ولزوم جماعة المسلمين ونبد الفرقة.

27. تقاربت طرق الوقاية والعلاج من الوقوع في الفتن الدنيوية عند القدامى والمحدثين؛ لأنها من الفتن

التي وجدت مع الإنسان، فكانت الوقاية والعلاج من هذه الفتن متقاربة إلى حد كبير على مر

العصور.

ثانياً: التوصيات

1. أوصي نفسي وإخواني من طلاب العلم التمسك بكتاب الله تعالى والانكباب عليه تفسيراً

وتدريسا وفهما وتدبرا؛ لأنه الحبل الذي لا ينقطع وفيه علاج لقضايا ومعضلات العصر.

2. أوصي نفسي وطلاب العلم بالالتفاف حول العلماء الربانيين، والأئمة المجتهدين الأتقياء

الصالحين، وعلماء عصرنا، فإن الالتفاف حولهم يعد سبيلاً مهماً للتحرز من الوقوع في الفتن،

وهو أحد السبل للوقاية والنجاة منها على مختلف أشكالها وأنواعها، كما يعين ذلك من الزيغ

والضلال، والابتعاد عن الطرق المنحرفة، فالعلماء هم نور ووهج الأمة الساطع، الذي ينير للناس

دروبهم.

3. الفتن في حياة المسلمين غورها عظيم وجذورها كثيرة، فعلى المسلمين أن يكونوا حذرين من

هذه الفتن، التي قد تُذهب بدين الرجال، وتبعدهم عن جادة الطريق.

4. يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بعمق الوعي القرآني، وفهم الدين على طريقة صحيحة لدى المسلمين، وتفعيل دور المؤسسات الدينية والتربوية، في مواجهة محاولات إثارة الفتن بين أوساط المسلمين.

5. طرح الفتن _ وخاصة المعاصرة _ وبيان أسبابها وآثارها وطرق الوقاية والعلاج منها في هذا العصر، أصبح من الضروريات؛ لأن الفتن اليوم باتت تشكل خطرا كبيرا على عقول المسلمين، خاصة بعد الانفتاح الاعلامي والتكنولوجي المخيف

6. يأمل الباحث أن تلهم هذه الأطروحة الباحثين والمهتمين بمجال الدراسات القرآنية؛ لاستكشاف مواضيع أخرى ذات صلة بهذا الموضوع، وتسير على هذه الخطوات، وتطوير الفهم والمعرفة.

7. يوصي الباحث بعدم الخوض في مسالك الفتن واطلاق الأحكام جزافا عند ظهورها، بدون حلم وروية؛ لأن اطلاق الأحكام يعد منزلقا كبيرا، يُخشى على صاحبه الوقوع في المحذور من القول والفعل.

المصادر والمراجع

- ابن أبي طالب، أبو محمد مكي القرطبي المالكي. الهداية إلى بلوغ النهاية. تحقيق: الشاهد البوشيخي. الإمارات: جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، 2008 م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي، 1422 هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984 م.
- ابن الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. دمشق: دار ابن كثير، 1989 م.
- ابن الجوزية، محمد بن أبي بكر. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. الرياض: دار العاصمة، 1408 هـ.
- ابن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف. أوضح التفاسير. د.م: المطبعة المصرية ومكتبتها، 1964 م.
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير. تحقيق: مجموعة من المؤلفين. الرياض: دار الهجرة، 2004 م.

- ابن المنذر، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس. تفسير ابن أبي حاتم. تحقيق: أسعد محمد الطيب. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419 هـ.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، 1379 هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي. تفسير ابن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. مجمل اللغة لابن فارس. وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986 م.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب. إغاثة اللهفان في مصاديد الشيطان، تحقيق: محمد عزيز شمس. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1432 هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان. تحقيق: محمد حامد الفقي. الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994 م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 1414 هـ.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف. زهرة التفاسير. د.م: دار الفكر العربي،

د.ت.

- أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي. **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني. **مسند أحمد**. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار الحديث، 1995م.
- أشرف شعبان محمد، **الفن وطرق علاجها في الإسلام**. القاهرة: جامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية، 1438 هـ.
- آل صبحان، أبو عبد الله فيصل بن حيان. **مسائل في الفن**. بيروت: مؤسسة الريان، 2005 م.
- الأصبهاني، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري. **تفسير ابن فورك**. تحقيق: علال عبد القادر بندويش. السعودية: جامعة أم القرى، 2009 م.
- الزركلي، خير الدين. **الأعلام للزركلي**. د.م: دار العلم للملايين، 2002 م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق: دار القلم، 1412 هـ.
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي. **تفسير الإمام الشافعي**. تحقيق: د. أحمد بن مصطفى الفرّان. السعودية: دار التدمرية، 2006 م.
- مجاهد بن جبر، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي. **تفسير مجاهد**. تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، 1989م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. بيروت: دار إحياء التراث

العربي، د.ت.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. **بغية الوعاة**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

لبنان: المكتبة العصرية، د.ت.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر الخطيب. **تاريخ بغداد**. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف. بيروت: دار

الغرب الإسلامي، 2002 م.

- البخاري، أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. **صحيح البخاري**. دار طوق النجاة،

1422هـ.

- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. **مسند البزار**. تحقيق: مجموعة من المؤلفين. المدينة

المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 2009م.

- البصري، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة. **تفسير يحيى بن سلام**. تحقيق: الدكتورة هند شلبي. بيروت:

دار الكتب العلمية، 2004 م.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. **تفسير البغوي**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ.

- البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي. **تفسير مقاتل بن سليمان**. تحقيق: عبد الله

محمود شحاته. بيروت: دار إحياء التراث، 1423 هـ.

- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. **تفسير البيضاوي**. تحقيق:

محمد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك. **سنن الترمذي**. تحقيق: بشار عواد

معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998 م.

- التُّستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن ربيع. تفسير التستري. تحقيق: محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية، 1423 هـ.
- التويجري، حمود بن عبد الله. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة. الرياض: دار الصميعي، 1414 هـ.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم. تفسير الثعلبي. تحقيق: عدد من الباحثين. جدة: دار التفسير، 2015 م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983 م. — التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق: د. علي دحروج. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1996 م.
- الجزائري، جابر بن موسى. أيسر التفاسير. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 2003 م.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، 1987 م.
- الحازمي، حسين بن محسن أبي ذراع. موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة. الرياض: مؤسسة الجريسي، 2000 م.
- الحازمي، حسين بن محسن أبي ذراع. موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة. الرياض: مؤسسة الجريسي، 2000 م.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر. تفسير الخازن. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. القاهرة: دار

الحديث، 2006م.

• الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين. تفسير الرازي. بيروت: دار إحياء

التراث العربي، 1420 هـ.

• الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. مختار الصحاح. تحقيق:

يوسف الشيخ محمد بيروت: المكتبة العصرية، 1420 هـ.

• الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة

من المحققين دار الهداية.

• الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى. التفسير المنير. دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418 هـ.

• الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله. تفسير الزمخشري. بيروت: دار الكتاب

العربي، 1407 هـ.

• السحيباني، عبد الحميد بن عبد الرحمن. الفتنة وموقف المسلم في ضوء القرآن. الرياض: دار

القاسم، د.ت.

• السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق:

عبد الرحمن بن معلا اللويحق. د.م: مؤسسة الرسالة، 2000 م.

• السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي. تفسير السمرقندي. تحقيق: د.

محمود مطرجي. بيروت: دار الفكر، د.ت.

• السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار. تفسير السمعاني. تحقيق: ياسر بن إبراهيم

وغنيم بن عباس بن غنيم. السعودية: دار الوطن، 1997م.

• السيوطي، جلال الدين. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. بيروت: دار الفكر، د.م.

- الشعراوي. محمد متولي تفسير الشعراوي. د.م: مطابع أخبار اليوم 1997 م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. طبقات الحفاظ. بيروت: دار الكتب العلمية 1403 هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. المعجم الكبير للطبراني. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1994 م.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر. تفسير الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، 2000 م.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة. شرح مشكل الآثار. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. د.م: مؤسسة الرسالة، 1494 م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. الفروق اللغوية. تحقيق: محمد إبراهيم سليم. مصر: دار العلم.
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن حجر. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق: محمد عبد المعيد ضان. الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972 م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. العين. تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الفنيسان، سعود بن عبد الله. اختلاف المفسرين أسبابه آثاره. الرياض: دار اشبيليا، 1997 م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005 م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس. لبنان:

دار الكتب العلمية، د.ت.

- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.

- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. تفسير القاسمي. تحقيق: محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية، 1418 هـ.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964 م.

- القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون د.م، دار الفكر، 1399 هـ.

- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القرعبي أبو البقاء الحنفي، الكليات. تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- الذهبي، شمس الدين بن قَائِمَاز. ميزان الاعتدال. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار المعرفة، 1963 م.

- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور. تفسير الماتريدي. تحقيق: د. مجدي باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية، 2005 م.

- المراغي، أحمد بن مصطفى. تفسير المراغي. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1946 م.

- المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل. المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هندراوي. بيروت: دار الكتب العلمية، 2000 م.
- المقدم، محمد بن أحمد بن إسماعيل. بصائر في الفتن. مصر: الدار العالمية، 2008 م.
- المناوي، زين الدين بن علي بن زين العابدين القاهري. التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة: عالم الكتب، 1990 م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. تفسير الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. تفسير النسفي. تحقيق: يوسف علي بديوي. بيروت: دار الكلم الطيب، 1998 م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. شرح النووي على مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1329 هـ.
- النيسابوري، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر. تفسير ابن المنذر. تحقيق: سعد بن محمد السعد. المدينة النبوية: دار المآثر، 2002 م.
- النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم. المستدرک علی الصحيحین للحاکم. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990 م.
- الهري، محمد الأمين الشافعي. تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن. بيروت: دار طوق النجاة، 2001 م.
- الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1951 م.

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. التفسير الوسيط. تحقيق: مجموعة من المؤلفين. لبنان: دار الكتب العلمية، 1994م.
- الواحدي، أبو الحسن علي. الوجيز للواحد. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دمشق: دار القلم، الدار الشامية، بيروت 1415 هـ.
- دروزة محمد عزت، التفسير الحديث. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1383 هـ.
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. إعراب القرآن وبيانه. حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية، 1415 هـ.
- سيد قطب، في ظلال القرآن. بيروت: دار الشروق، 1412 هـ.
- عسيري، مصطفى بن أحمد بن سلطان. سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة. الرياض: دار القبس، 2007.
- عسيري، مصطفى بن أحمد بن سلطان. سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة. الرياض: دار القبس، 2007 م.
- لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم. مصر: مؤسسة الأهرام، 1995 م.
- مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم. مصر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1993 م.
- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الكويتية. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1427 هـ.
- محمد بن يعقوب، مجد الدين أبو طاهر. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1996 م.

- محمد رشيد، بن علي رضا الحسيني. تفسير المنار. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط لطنطاوي. القاهرة: دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م.
- البُستي، محمد بن حبان الدارمي. مشاهير علماء الأمصار. تحقيق: مرزوق علي ابراهيم. المنصورة: دار الوفاء، 1991 م.
- محمد علي الصابوني. صفوة التفاسير. القاهرة: دار الصابوني، 1997 م.
- محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح. بيروت: دار الجيل الجديد، 1413 هـ.
- نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2009 م.
- وليد بن عبد المحسن العمري، المقولات التي أبطلها القرآن ومنهج في إبطالها (دراسة تأصيلية موضوعية).

الدوريات

- د. محمد رفعت زنجير، الأنبياء والرسل عليهم السلام ضحايا الظلم والعدوان (دراسة قرآنية لفلسفة الحدث في التاريخ البشري) بحث علمي محكم وقد نشر هذا البحث في مجلة الحكمة التي تصدر في مانشستر ضمن العدد 25 والصادر في رجب سنة 1423 هـ.
- الدويش، إبراهيم بن عبد الله. الفتنة ومعناها في ضوء الكتاب والسنة. وهو بحث محكم في مجلة رابطة العالم الإسلامي السنة الثالثة والعشرون العدد (221) العام 1428 هـ.
- الشرقاوي، أحمد محمد. اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه. جامعة الأزهر: كلية أصول الدين والدعوة، المجلة العلمية بالكلية العدد السابع عشر، 2004 م .

- العمري، وليد بن عبد المحسن. المقولات التي أبطلها القرآن ومنهج في إبطالها _دراسة تأصيلية موضوعية_. الرياض: كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، 1430هـ.
- باسعد، د. نوال عمر عبدالله. المنهج النبوي في التعامل مع الفتن. وهو بحث محكم نشر في جامعة جدة: كلية الآداب والعلوم الانسانية، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، 2020م.
- جمال سعد أحمد إبراهيم، ظاهرة التقليد والتبعية في القرآن الكريم، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين 2010 م.
- حميد بن محمد لحمويد، منهج الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم من خلال القرآن الكريم دراسة مقارنة، وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة المدينة العالمية في ماليزيا، كلية العلوم الإسلامية، 2014 م.
- سلامة، ليلي محمد عبد الحميد. منهج القرآن الكريم في الوقاية من فتن الحياة الدنيا. وهي رسالة لنيل شهادة الماجستير في الجامعة الأمريكية المفتوحة، كلية أصول الدين، 1426هـ.
- محمد عبد الرزاق عبد الحميد عبد اللطيف، سبل علاج الشباب من الفتن، وهو بحث نشر في مجلة العلوم الإسلامية وهي مجلة علمية فصلية محكمة، العدد 3.
- محمد عبد الرزاق عبد الحميد عبد اللطيف، سبل علاج الشباب من الفتن، وهو بحث نشر في مجلة العلوم الإسلامية وهي مجلة علمية فصلية محكمة، العدد 3.

السيرة الذاتية

أكمل الباحث كيلة الإمام الأعظم الجامعة في الرمادي سنة (2011) في قسم أصول الدين،
قُبِلَ في مرحلة الماجستير في الكلية نفسها في بغداد قسم أصول الدين تخصص تفسير، سنة
2012_2013 وتخرج منها 2015 / 2 / 17. عُيِّنَ إماماً وخطيباً في جامع الحارث بين يزيد العامري
سنة 2016، وكان في الجامع لمدة 5 سنوات، ثم نقل إلى جامع الفاروق.

- حصل على الإجازة في القراءات القرآنية بقراءة عاصم بن أبي النجود بسند متصل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من الدكتور مناف عبد الرحمن.
- يدرس حالياً مرحلة الدكتوراه في قسم أصول الدين، في جامعة (كاربوك) في دولة تركيا.
- مديراً للدورات الصيفية والدورات الدائمة لفترة تزيد عن 5 سنوات.
- لديه بحوث عدة ومشاركات بحثية في عدة جهات، من أهمها مشاركة في الندوة العلمية الموسومة ظاهرة التسول، في محافظة الانبار، وكانت المشاركة في بحث بعنوان: (التسول أسبابه وعلاجه وأثره على المجتمع).
- لديه مشاركة بحثية في ديوان الوقف السني في العراق بعنوان: (التحليل الدلالي لمفهوم الحياة في القرآن).



**KUR'AN ÂYETLERİ IŞIĞINDA ÇAĞDAŞ VE
KLASİK MÜFESSİRLER AÇISINDAN FİTNENİN
ÇEŞİTLERİ, SEBEPLERİ, TESİRLERİ VE
ONDAN KORUNMA YOLLARI**

**2024
DOKTORA TEZİ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ**

Firas Saleem Yaseen YASEEN

**Tez Danışmanı
Dr. Öğr. Üyesi Hossam Moussa Mohamed
SHOUSHA**